

د. محمد، فضل، وفاء

جامعة الخرطوم  
كلية الآداب  
قسم التاريخ

الجزيرة في خلال المهدية

UNIVERSITY OF KHARTOUM LIBRARY
١٨٩٨-١٨٨١
LOCATION
ACC. No. ١٨٩٨
CLASS MARK

احمد عثمان محمد ابراهيم

(رسالة لدرجة الماجستير)

سبتمبر ١٩٧٠

## ملخص البحث

هذا بحث عن الجزيرة في خلال المهدية (١٨٨١-١٨٩٨ م) ، يقع البحث هنا

في اربعة ابواب ، تتضمن اثني عشر فصلا .

الباب الاول تمهيدى ، الفصل الاول منه يعرف الجزيرة ويعطى فكرة عن جغرافيتها الطبيعية والبشرية ، ويلقى ضوءا على تاريخ المنطقة قبل المهدية ، وتاريخ الطرق الصوفية ومدى انتشارها في الجزيرة . والفصل الثانى يتعرض باختصار للثورة المهدية عامة .

ومن هذا المدخل نلج الباب الثانى الذى يعالج انتشار المهدية فسى الجزيرة ، فكرة وثورة ، والفصل الاول من هذا الباب يتحدث عن وقائع الثورة الاولى واثرها فى مقاومة السلطة التركية ونشر فكرة المهدية والفصل الثانى يعرض حصار سنار وسقوطها عرضا مفصلا ، ثم يعالج الفصل الثالث شقا حدث بين قائد السرية السنارية محمد عبد الكريم والخليفة عبد الله ، فيوضح طرفا من مشكلة الاشراف واهمية الجزيرة كمطقة للصدام بين الخليفة والاشراف ، ثم اثر ذلك فى طول حصار سنار .

وبعد ذلك يوضح الباب الثالث ادارة المهدية فى الجزيرة : الفصل الاول منه يتحدث عن التقسيمات الادارية والوظائف ، والمفصول الثلاثة <sup>الاخرى</sup> ~~للحاجات~~

تفصل ادارات العمال الذين ولّوا امر الجزيرة وهم عدلان محمد سرور ويونس الدكيس  
 واحمد السنّي كل منهم افردنا له فصلا •

اما الباب الرابع فهو تقييم لوضع المهدية في الجزيرة من حيث مقومات  
 البقاء وعوامل السفناء ، وفصول هذا الباب الثلاثة توضح اهم المؤثرات في ذلك ،  
 الفصل الاول عن اثر الوضع القبلي في تأييد المهدية وخذلانها ، والثاني عن مدى  
 تأييد الفقهاء ورجال الطرق ومدى اعراضهم عن الفكرة المهدوية ، واثر ذلك في بقاء  
 الفكرة ونائها • والثالث يناقش مدى التزام المهدية بما وعدت الناس به ، وهو  
 العود الى الدولة الاسلامية ، هذا الفصل يناقش الى اي مدى كانت نظم الحكم في  
 الجزيرة اسلامية واثر ذلك على فكرة المهدية والدولة •

ويلحق بهذا البحث ستة ملاحق : الاول بيان بمراجع البحث والثاني  
 والثالث خطابان مصوران من خطابات احمد السنّي والرابع خريطة تخطيطية لحصار سنار  
 والخامس خريطة عن اهم المدن والمواقع التاريخية بالجزيرة والسادس خريطة عن قبائل  
 الجزيرة •

## شكر واعتراف

ماكان لهذا البحث أن يكتمل ويرى النور لولا مالفيت من عون ممن سيأتى ذكرهم ، وهذا اعتراف لهم بالفضل . أشكر أولا أستاذى الدكتور صالح محمد نور الذى رعى هذا البحث حتى أوشك أن يكتمل ، وأشكر أستاذى الدكتور عثمان سيد احمد الذى أجهد نفسه بالاشراف والتوجيه المتصل وأشكر الدكتور تاج السر احمد محمد حران الذى بذل كثيرا من الجهد فى قراءة مسودات البحث واصلاحها ، وأشكر السيد أمين مكتبة جامعة الخرطوم ومعاونيه ، والدكتور محمد ابراهيم أبو سليم على ماقدم لى من نصائح ومقترحات مفيدة حول خطة البحث وأشكره أيضا والسادة موظفى وعمال دار الوثائق المركزية على ماقدموا لى من عون كل فى مجال اختصاصه فى العمل . وأشكر المشائخ الكرام الذين أمدونى بمعلومات نافعة ووضحوا لى بعض ماكان غامضا وتلحق أسمائهم بالطبق الأول من البحث .

---



رموز لبعض المراجع

المراجع

الرمز

Sudan Notes And Records

S.N.R.

Cairo Intelligence Department

Cairint

Sudan Intelligence

Intel

٢	ملخص الرسالة
ج	شكر واعتراق
د	رموز لبعض المراجع
هـ	الفهرست
١	<u>الباب الاول</u> ( تمهيد ) :
٢	١- ارض الجزيرة وسكانها قبل المهدية
٤٢	٢- الثورة المهدية
٧٨	<u>الباب الثاني</u> ( الغزو المهدوي للجزيرة ١٨٨١-١٨٨٥ ) :
٧٩	١- وقائع الثورة الاولى وانتشار المهدية
٩٤	٢- حصار سنار وسقوطها
١٠٥	٣- الشقاق بين الخليفة ومحمد عبد الكريم
١١٥	<u>الباب الثالث</u> ( ادارة المهدية في الجزيرة ) :
١١٦	١- عمالات الجزيرة وعمالها
١٣٠	٢- ادارة عدلان محمد سرور
١٤٦	٣- ادارة يونس الدكيم
١٥٦	٤- ادارة احمد السنن

١٨٣

الباب الرابع ( المهدية بين البقاء والفناء في الجزيرة ) :

١٨٤

١- الوضع القبلي وأثره في نصر وخذلان المهدية

## الباب الأول

### تمهيد

ويحوى الفصلين التاليين :

(١)

أرض الجزيرة وسكانها قبل المهديّة

(٢)

الثورة المهدية

### أرض الجزيرة ومكانها قبل المهديّة

الجزيرة هي " الأرض الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق ، تحدها الحبشة ونهر سوبات " <sup>١</sup> . وذكر نعوم شقير أن الجزيرة كانت تعرف بجزيرة سنار وجزيرة الخرطوم نسبةً إلى سنار والخرطوم اللتين اشتهرتا فيها وذكر أيضا أن تسميتها بالجزيرة فيه شيء من التجاوز لأنها ليست محاطة بالماء من كل جوانبها وإنما هي شبه جزيرة <sup>٢</sup> .

ولفظ " الجزيرة " لفظ عربي فلعله أطلق على هذه المنطقة منذ عهد الهجرات العربية واتصال العرب بها . وقد أشار الجغرافيون العرب الذين مروا بها ، أشاروا إليها بلفظ " الجزيرة " <sup>٣</sup> .

---

Gleichen, Count (ed): The Anglo-Egyptian Sudan : A Compendium Prepared by Officers of Sudan Government : London 1905 : Vol I : p. 117.  
(hereafter referred to as : Gleichen)

٢ نعوم شقير : جغرافية السودان وتاريخه : بيروت ١٩٦٧ م : ص ٢٢  
(فيما يلي نشير إليه : شقير)

٣ Yusuf Fadl Hasan : The Arabs & The Sudan : Ednburgh 1967 : pp. 6 & 7.  
(hereafter : Yusuf)

أيضا ذكر المقرئ في حديثه عن النيلين الأبيض والأزرق " وبين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية " فاطلق عليها لفظ الجزيرة . انظر : المقرئ / أحمد بن علي المقرئ (تقى الدين) : كتاب الموطأ والاعتبار في ذكر الخطوط والآثار (تحقيق M. Gaston Weit : Le Caire, Institute Fran-ais D'Archeologie Orientale, 1911-1924) : ج ٤ : ص ٢٦٤

وانما في هذه الدراسة المتواضعة لن نهتم بالجزيرة وحدها وانما سنخرج  
عن اطار حدودها الجغرافية المعرفة لعلاء حتى نشمّل الخط الممتد على النيل الازرق ،  
المعروف بالشرق<sup>١</sup> ، مما هو دون حدود قبائل الشكرية في البطانة .

وطبيعة الارض في هذه المنطقة على العموم خصيبة وافرة الانتاج حتى  
ان<sup>٢</sup> سليم الاسواني اعتقد انها تعمرها الجن ، لما رأى فيها من وفرة الزرع وفرط خصوبة  
التربة<sup>٣</sup> .

تنقسم الجزيرة الى قسمين اساسيين كل قسم متشابه في طبيعة تربته وامطاره  
وطريقة حياة السكان فيه ، وهما القسم الشمالى والقسم الجنوبى ، وتبلغ مساحة القسم  
الشمالى نحو ٧٥٠٠ ميلا مربعا ، تبدأ من ملتقى النيلين الابيض والازرق " المقرن "  
ثم يمتد جنوبا حتى خط سنار قوز ابي جمعة<sup>٣</sup> . هذه المنطقة خصيبة للغاية وتحمل  
على اديمها معظم سكان الجزيرة .

يتميز القسم الشمالى بأنه رملى التربة ، وتزداد خصوبته كلما اتجهنا جنوبا ،  
فتبلغ غايتها بين المسلمية والمناقل او عبود . والجزء الشرقى من هذا القسم اخصب  
من الغربى ، ويرجع الفضل في ذلك لما يحمل النيل الازرق من طمى . وتبدأ

١ لمزيد من التفصيل عن الشرق انظر : ص ١٢٣ ( الهامش )

٢ Yusuf : p. 3

٣ Gleichen : p.117

السهول الطينية في هذا القسم نحو ثمانين ميلا جنوب الخرطوم ، ولقلة المياه في هذا القسم تبدو اهمية الري الصناعى عظيمة فيه لاسيما في اواسطه <sup>١</sup> .

هذا القسم كله سهل منبسط خلو من الخيران والمرتفعات ويصعب تحديد انحدار الماء وصبه فيه بغير دراسة دقيقة لسطح الارض <sup>٢</sup> .

هذا القسم كله كان يعاني من شح ماء الشرب لاسيما في فصل الجفاف ، وكان الاعتماد اساسا على الابار التي يزداد عمقها كلما سرنا من النيل الازرق قاصدين الابيض ، اى من الشرق الى الغرب ، ففي المناقل مثلا ، وهي تقريبا في وسط الجزيرة الشمالية تتراوح اعماق الآبار بين ٢٠-١٠٠ قدما <sup>٣</sup> ، ويصل في بعض المناطق الى ٢٠٠ قدما . والعجيب في الامر ان آبار هذا القسم تزداد مقادير الملح فيها كلما ازداد استعمالها ، وفي النهاية يهجر القليب ويستبدل بلآخر غيره ، وكثير من الآبار مالح الطعم لا يصلح للشرب وقد تضطر بعض القرى لاستجلاب الماء من بضعة اميال . اما في الخريف فيعتمدون على ماء الخدران والحفائر <sup>٤</sup> .

---

Barbour, K.M. : The Republic of the Sudan, A Regional Geography : London 1961 : p. 180  
(hereafter : Barbour)

Gleichen : p. 117 ٢

Barbour : p. 181 ٣

Gleichen : p.117-18 ٤

أما خط عرض سنار كوستى فالآبار الممكن حفرها ضحله جدا وغير مفيدة ،  
 وفى منطقة جبال جنوب الجزيرة تحول طبقة صخرية دون الوصول الى منسوب الماء <sup>١</sup> .  
 أما القسم الجنوبي فهو الأرض الواقعة جنوب خط سنار قوز أبى جمعه .  
 يعتبر هذا القسم خاليا من السكان بين خطى طول ١٣ر٣٠ و ١٢ شمالا ، الا على  
 ضفتى النيل الازرق ، وبعض القرى بين قوز أبى جمعة والجبلين <sup>٢</sup> . والتربة هنا  
 خصيبة ايضا وتنتشر الجبال الصخرية هنا وهناك ، وعلى هذه الجبال هو جبل قروء .  
 ويعتبر هذا القسم خاليا من النباتات ، الا ماكان من شجيرات الكثر المنتشرة هنا  
 وهناك على ضفاف النيلين وفى سفوح التلال ، وتزداد الغابات والاشجار كلما اقتربنا  
 من المنطقة التى اسمها قلايشن بدارفنج <sup>٣</sup> .  
 ويفتقر هذا القسم الى ماء الشرب المستديم سوى بعض الآبار فى جبل  
 مزوم والجريبين ، ولا ترى فى هذه المنطقة خيرانا او اودية ، ويتعزز السفر فيها ،

---

Barbour : p. 184

Gleichen : p. 119

٣ وصفها بانها تحد شمالا بجبل جريوة وريرة وشرقا بجبل اتادى ومنطقة فيزغلى  
 وجنوبا حتى الحدود الحبشية وغربا حتى الدينكا على النيل الابيض ، وتشمل منطقة  
 جبل تاي الذى يسكنه الانفسه .

See, Gleichen : p. 112



لفرط وحلها ، الا على بعض الطرق التي تفتح في فصل الجفاف • وفي جنوب قولى  
تمتد غابات الطلح والهشاب بغير انقطاع حتى جبال تابى في الجنوب المشرقى  
وسركوم وكلى جنوبا • ونحو ٣٠ ميلا جنوب قولى تصير المنطقة صخرية وتزداد الخيران  
التي يصب فيها الماء المنحدر من الجبال فتسوء بذلك الطرق •

ومنطقة فيزغلى وكلى وجزء كبير من دل وكيرين فيها كثير من المرتفعات التي  
تتخللها مجارى المياه وتلالها اكثر من تلال المنطقة الغربية تجاه النيل الابيض • وهي  
تلال متقاربة الارتفاع متشابهة الطبيعة تغطيها الاشجار غالبا ، والسهول صخرية تتخللها  
الخيران<sup>١</sup> •

وفي الجنوب الشرقى لقولى يمتد سهل لا ينقطع حتى نهر بارو وسوبات •  
تحده من الناحية الشرقية جبال الحبشة ومن الغرب النيل الابيض ، وفي اواسط هذه  
المنطقة وشرقيها توجد بعض التلال ويتوفر فيها ماء الشرب وتختفى الجبال في منطقة  
الدينكا جنوب الجبلين وتحل محلها الاعشاب حتى نصل الى بداية الغابات الواقعة  
على نهر بارو وسوبات<sup>٢</sup> •

وأما الجزيرة تزداد كلما سرنا جنوبا وفي نحو خط عرض واد مدنسى

Gleichen : p. 119

Ibid : p. 120

١

٢

(٢٣ ر ١٤ تقريباً) تصل الامطار الى حوالي ١٤ بوصة (٣٥٠<sup>١</sup>) في العام .  
 وهذا المقدار لايسمح بزراعة الذرة الا على نظام التروس<sup>١</sup> . وتتراوح جنوب  
 هذه المنطقة بين ١٦-٢٠ بوصة (٤٠٠-٥٠٠<sup>٢</sup>) فتمكن من الزراعة في السهول  
 من غير تروس ، اما في اقصى الجنوب فقد تبلغ ٦٠٠-١٠٠٠<sup>٣</sup> في العام ، وتبدأ  
 الامطار في هذه المناطق الجنوبية منذ نهاية ابريل<sup>٤</sup> .

هذا وانه كان للمطر قداسة عظيمة في قلوب اهل الجزيرة لما كان له  
 من اهمية كبرى في معاشهم ، فكانوا يفرحون ويهلمون بقدوم فصل الخريف<sup>٣</sup> الى  
 جانب ذلك كانوا يعرفون منازل المطر معرفة دقيقة<sup>٤</sup> .

١ زراعة التروس معروفة في الجزيرة حتى الآن وقد شاهدت نماذج منها حين زرت  
 منطقة الحلاوين وسنار ، وتروس جمع ترس ، بقاء وراء مفتوحتين ، والترس حاجز  
 تحاط به المنطقة المراد زراعتها من ثلاث جوانب ويبقى الجانب الرابع وهو  
 اعلى جوانبها بلا حاجز لانه عال وليس بحاجة الى حاجز فيحفظ الترس الماء  
 لتمتصه الارض ثم تزرع بعد ريها .

٢ Barbour : p.p. 181,184,186 & Gleichen : p. 120

٣ كانت كل قرية تذهب ذبيحة في اول الخريف . وقد ادخل الغلات بعض الخرافات  
 في وسائل استدرار السماء الماء كأن يحبسوا سبعة جعارين سبعة ايام عن  
 الماء والطعام استعطافاً للاله ليزق لحالها وينزل الغيث

See : Jackson, H.C. : "Seed-Time And Harvest", S.N.R.  
 II, 1919 : p.p. 2 f.f.

٤ يشبهون الخريف بالاسد يخرج من الغابة ويرجع اليها على ثمانية مراحل تبدأ  
 بالنقرة وهي زئير الاسد على البعد في الغابة ثم الطريقة اي بداية ظهوره من الغابة ،  
 فالجبهه (وجهه) ، فالخرصان (كله) وهو اشد الخريف ، فالصرفه (انصرافه) ،

أن سهول الجزيرة الخصيبة الشاسعة هذه وصفت بأنها مشابهة لشبه جزيرة الدندر والرهد ، كما وصفت بأنها في طبيعتها أشبه شىء بأرض البطانة<sup>١</sup> .  
 وإنها كانت في يوم ما تحمل نفس النباتات والأعشاب التي تحملها البطانة . كل هذه المناطق التي تشابهها الجزيرة مناطق رعوية هامة فليس غريبا أن يكون على أرض الجزيرة ثروة حيوانية ضخمة إلى جانب الزراعة . ففي القسم الشمالي كمت ترى الأرض مغطاة بصنوف من الأعشاب التي تصلح لرعى الحيوان كالمحريب والحنقوت والنال<sup>٢</sup> ، وكلما سرنا جنوبا دخلنا منطقة السافنا حيث نلتقي بأشجار السافنا الشوكية كالهيبيل والقو وضنب الفلو وحقن الخديم وأبو جقرة وأبو مالحي والينو<sup>٣</sup> ، وأشجار الهجليج واللحوت والسيال والسعدة قريبا من الأنهار والمرعى المعروف بضنب الناقه في الأرض البعيدة عن النهر<sup>٤</sup> . وقد كانت أرض المناطق

== فالعوة وهي جعجعة صوت الاسد وهوراجع الى الخابة ، وتعني رعد آخر الخريف الذي ليس معه مطر ، ولخير السمك والغفر - وكل منزلة من هذه المنازل القمرية تقع في ١٢ ١/٢ يوما الا الجبهة فانها ١٣ يوما كاملة .

See : Jackson, H.C. : "Seed-Time And Harvest".

Harrison, M.N. : Report On A Grazing Survey of The Sudan (typed Copy, University of Khartoum Library) :

Appendix Two : p. 3

(hereafter : Harrison)

Gleichen : p. 117

Harrison : p. 8

Ibid : p. 10

١

٢

٣

٤

أطيبر هذه المراعى وأصلحها للحيوان خصوصا فى وقت الخريف اذ كانت خلوا من  
الآفات التى تصيب الحيوان ، وأرضها المعروفة " بالعزاز " كانت تجف مباشرة بعد  
هطول الامطار ، ولذلك كان ملوك الفنج يرسلون خيولهم ترمى فى تلك المنطقة فى  
وقت الخريف ، لانه كان من الصعب ان يعيش حيوان بسنار فى الخريف ، فكانت  
سنار تفقد معظم حيواناتها عند بداية هطول الامطار " الرشاش " <sup>١</sup> .

كانت ارض الجزيرة تفل اعدادا كبيرة من الخيل والابل حتى انه مما  
يروى فى أسباب سقوط مملكة علوة المسيحية أنها ضاغت الضرائب على الخيل والابل  
فأحفظ ذلك الناس عليها <sup>٢</sup> ، ولولا أن الخيل والابل كانت كثيرة مفرطة فى الكثرة  
لم يتأثر اهليها بالضريبة تأثرا يجعلهم حائقين على الدولة .

ولم تخل هذه المراعى مما يكدر صفوها . فقد عرفت الجزيرة بعض الآفات  
المؤذية للحيوان مثل ذبابة السروط (serut) التى كانت — ولاتزال تضطر الرعاة  
ليكونوا فى ذبذبة دائمة بين شمال الجزيرة وجنوبها ، فاذا جاء فصل الامطار تقدمت

---

Bruce, James : Travels to Discover The Source of The Nile, 1768-73 : Dublin 1790-91 : Vol. V : p. 225 ١

(hereafter : Bruce)

Jackson, H.C. : "Seed-Time And Harvest". ٢

قلق الذبابه فاضطرت الرعاة الى سيقها نحو الشمال • وفي الجفاف تنحسر الذبابسة جنوبا والى ضفاف الانهار فتعود الحيوانات تربي كلاً الجنوب • وتتكاثر جماعات السروط في المنطقة الواقعة جنوب سنار والشوال<sup>١</sup> •

ولقد نالت ارض الجزيرة اهتمام القبائل والجماعات والافراد منذ عهد بعيد ، سواء اكان ذلك الاهتمام من اجل الرعي أم من اجل الزرع ، فحينما هاجرت القبائل العربية الى الجزيرة كانت كل جماعة تصل تتخذ حصى من الارض لا ينافعها فيه منازع ، وكان الحصى بادي ذي بدء ملكا للقبيلة كلها — فكانوا يسمونه ارض " السروكة " اي الارض المشتركة ، ولما جاء عهد الفنج جعل ملوكهم ينعمون على الافراد والجماعات بالضيعة ، ويملكونهم اياها بوثائق ملكية مكتوبة ، ويكون ذلك لاسباب منها حسن خدمة السلطان أو مكانة الفرد الدينية أو نحو ذلك • ولعل أقدم وثيقة تمليك في عهد الفنج ترجع الى عهد الملك بادي بن نول الذي ولي الأمر بعد سنة ١١٣٥ هـ / ١٢ أكتوبر ١٧٢٢ م — ٣١ أكتوبر ١٧٢٣ م<sup>٢</sup> •

Gleichen : p. 118

٢ ابو سليم / دكتور محمد ابراهيم احمد : مجموعة النجوص — مخطوط (رسالة لدرجة الدكتوراه) : جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ١٩٦٦ م : ص ٢٦٢ (فيما يلي : ابو سليم : مخطوط) •  
أيضا : ابو سليم / دكتور محمد ابراهيم احمد (تحقيق) : الفونج والارض — وثائق تمليك : الخرطوم ١٩٦٢ •  
= (فيما يلي : ابو سليم : الفونج والارض)

كان الناس كثيرا ما يتعرضون للجوع في مناطق الجزيرة ، وذلك لاسباب مختلفة مثل الاوقات التي تصيب الزرع فتقضى عليه ، وقلة الامطار والحرب بين القبائل التي تؤدى الى تدمير الزرعة او الاشتغال عنها . لهذا كان الناس يلجأون الى ادخار الذرة في المطامير<sup>١</sup> لافترات الشدة . وكان هنالك كثير من الخيرين الذين يدخرون مقادير وافرة من الذرة في ايام الرخاء ليبيعوها بأثمان زهيدة في ايام الجوع والغلاء ابتغاء ثواب الله ، ومن اولئك الشيخ شادلى الذى وصفه بروس بأنه "يوسف لخربين الفنج"<sup>٢</sup> ، وأعظم من هذه مطامير الشيخ ود عبود الذى تقع قريته نحو ٢٤ ميلا شمال سنار ، وكانت مطاميره كثيرا ما تنقذ الأعراب من الموت في اوقات المجاعات ، كان الشيخ ود عبود يمنع ذلك حسبه لله أيضا مثل صاحبـــــــــــــــــه شادلى<sup>٣</sup> .

وكان بالجزيرة نشاط تجارى واسع النطاق داخل حدود البلاد وخارجها ، كانت هنالك تجارة نشطة مع الحبشة عن طريق القلايات وكيلى<sup>٤</sup> فكان يأتى من

١ جمع مظمورة : وهى حفرة أشبه بالبئر لكنها واسعة ولا تصل الى الماء ، تحفظ فيها الذرة مدفونة وهى معروفة حتى اليوم في أواسط السودان خاصة .

Bruce : p.p. 185, 228-29

Ibid : p. 185

Gleichen : p. 122

أيضا : Slatin, Rudolf C. : Fire And Sword In The Sudan (English translation by F.R. Wingate) : London 1896 : p. 186 (hereafter : Slatin)

الحبشة البن والعسل والشمع والطماطم وريش النعام والخيول والبغال والعبيد ، وكان يصدر اليها الحبوب والفول والقطن <sup>١</sup> ، وكانت هناك تجارة واسعة بين بلاد السودان ( الحالية ) ومصر عن طريق اسوان وكورسكو الى ام درمان وقد تأثرت الجزيرة بهذه التجارة بحكم قربها من ام درمان ، فكان التجار يأتون محملين بالسكر والبن " وبضائع مانشتر " والعسل والزبد والزيت والعطور والجبن ، ويحملون معهم سرا ، وهم عائدون ، التبغ والحشيش والافيون والذرة احيانا والدقيق <sup>٢</sup> ، وكان الذهب المستخرج من نواحي فيزوغلى يمثل سلعة هامة في التجارة الداخلية والخارجية <sup>٣</sup> ، كما كانت بضائع بلاد فارس ، كالسجاد العجمي ، وبضائع الهند كالحرير والعطور تصل الى " بلاد السودان " منذ عهد الفونج ، وكانت تستعمل في قصور ملوكهم ، وكذلك كان ملوك الفنج يستعملون ماء الزهر المستورد من مصر <sup>٤</sup> . ومن أهم السلع التي كانت تصل الى البلاد الصوف بالوانه لصنع حواشي المنسوجات منه ، والشمسيات والابر والمبارد والصفائح والفناجين والنشادر والقصدير والقلغونية التي

Department

Cairo Intelligence Reports (Cairint): 1/31/170  
 "Wingate Draft Reports On Sudan," 1890-91 : p. 27

١

Ibid : p. 44

٢

Gleichen : p. 126

٣

Bruce : p. 188

٤

تستعمل فى اللحام ، وأنواع الخرز والسوميت وورق الكتابة والكحل وحلى النحاس  
والاجراس الصغيرة التى تعلق فى أرسنة الابل والبقر والموايا والازرار والريش  
النمساوى ، والعطور والبخور والسيوف والبنادق وهلم جرا ، وكان معظم هذه  
البضائع يصل عن طريق مينائى سواكن ومصوع وطريق النيل من مصر والشام والحجاز  
وبلاد أوروبا والهند <sup>١</sup> .

كانت بضائع الهند تصل الى " بلاد السودان " من جدة ، وكانت تدفع  
أثمانها ذهباً . وكان للذهب السنارى شهرة وقيمة عالية ، وفى عهد الفنج كانت  
المملكة تصدر سلعا كثيرة الى خارج البلاد ، كالريش والحاج والرقيق ، والزجاج  
الذى كانت سنار تصدر منه ما يفوق جميع ما تصدره بلاد شرق افريقيا ، لكن هذه  
التجارة لم تلبث أن تحطمت وفقدت أهميتها ماعدا الذهب السنارى الذى كان  
يذهب الى الحجاز ومن هناك الى الهند <sup>٢</sup> .

ان هذه المعلومات التى آمدنا بها بروس وغيره من الرواة والناقلين لابد  
انها تحمل قدرا كبيرا من الحقيقة ان لم تنقلها كاملة لاسيما انها وصلت من أناس  
لا مصلحة لهم فى المبالغة فى هذا المضمار وهم من الاجانب الذين لاصلة لهم بالبلاد

١ شقير : ص ١٢٢-٢٨

٢ Yusuf : p. 7



تجعلهم يرمون الى الدعاية ونحوها من دوافع الانتحال والكذب .

أما سكان الجزيرة فانهم كانوا قبل الهجرات العربية ، عناصر مختلفة من السود ، مثل الانواب والكروى أو الكرسا والعنج والكفكا . وفي أقصى جنوب الجزيرة كانت تسكن بعض القبائل العربية ، التي لا يعرف المؤرخون عنها كثيرا ، لكنها قد تكون هي قبائل التاكوتا التي أشار اليها المؤرخ العربي ابن الفقيه ، أو الباكوتا التي أشار اليها المسعودي <sup>١</sup> .

وليس معروفا على وجه الدقة والضبط التاريخ الذي دخلت فيه القبائل العربية الجزيرة ، وإنما يرجح أن بعضها سبق بعضا ، فمثلا يعتقد أن هجرة قبائل رفاعة وجهينة كانت أسبق الهجرات الى الجزيرة ، وتليها بقية القبائل مثل كنانة ودغيم والمسلمية والكواهلة وغيرهم <sup>٢</sup> .

وسكان الجزيرة بعد الهجرات العربية نستطيع على العموم أن نضعهم في إطارين كبيرين : الأول يحوى القبائل العربية ، وهي التي كان لها الأثر الأكبر في تاريخ هذه المنطقة القريب ، أعني الفترة بين تكوين المملكة السنارية ١٥٠٤م ونهاية عهد المهديّة ١٨١٨م . والاطار الثاني يحوى القبائل غير العربية ،

Yusuf : p. 7

١

Ibid : p. 160

٢

وهي نوعان : السكان الذين سبقوا العرب الى هذه البقاع مثل الدينكا والشلك والبيرون والانقسنه ، ثم الذين هاجروا اليها حديثا ، مثل قبائل الفلاته على اختلافها .

والقبائل العربية تعود المؤرخون أن يقسموها الى قسمين كبيرين : القبائل العدنانية - أي المهاجرة من شمال الجزيرة العربية - وتعرف في السودان باسم المجموعة الجعلية ، ثم القبائل القحطانية - قبائل جنوب الجزيرة العربية - وتعرف في السودان باسم المجموعة الجهمنية<sup>١</sup> . وهناك فئة صغيرة اسمت نفسها بالاشراف ، وهو لاء يدعون الانساب اما الى النبي او الى ابني عمه علي وجعفر الطيار ابني ابي طالب . ولا حرج في أن نلتزم نحن هذا التقسيم ان لاحيف يقع على التاريخ من التزامه . لكن لا بد من الاشارة الى ان هذا التقسيم فيه كثير من التجاوز ، فمن تحرّ الدقة لم يصل الى حل في امر ارجاع هذه القبائل الى اصولها الاولى لكثرة الدعاوى في النسب واختلاف الروايات ، فمثلا نجد أن الذين يدعون النسب الشريف - سوى المذكورين - أكثر من تسع وعشرين

---

MacMichael, H.A. : A History of The Arabs for The Sudan : London 1967 : Vol. I : p. 237  
(hereafter : MacMichael)

عشيرة أو اسرة في السودان <sup>١</sup> .

واننا حينما نتحدث عن قبائل الجزيرة لانحنى أن هذه القبائل تعيش في الجزيرة لا تخرج عن حدودها ابدا ، او اننا لم نغادر قبيلة من هذه القبائل الا احصيناها . ان القبائل لاتحدها الحدود في انتشارها ويتعذر حصرها واحصاؤها لما يفتاب احوالها من الحركة والتغير . فعلى سبيل المثال نجد ان قبائل البقارة التي ظلت تنتمي الى كردفان ، او الى الغرب عاممة منذ الحكم التركي المصري <sup>٢</sup> ، نجد ان فرعا منها هم دار محارب طرد من بين قبائل الجمع ، وانتقل للضفة الشرقية للنيل الابيض ، ثم لم يلبث بعض هؤلاء أن عادوا الى موطنهم الاول بعد حين <sup>٣</sup> . فحديثنا ان يكون على الاغلب الاعم لا على الدقة والحصص .

هذا ، وان بعض الاسر والعشائر في الجزيرة قد اصبحت لها من الاهمية في تاريخ هذه المنطقة ما يجعلها اهلا للاشارة في هذا المقام ، لما لانها تجمع

Yusuf : p. 171 ١

Reid, J.A. : "Some Notes On The Tribes Of The White Nile Province", : S.N.R. XIII, 1930 : p.p. 149 f.f. ٢

Yusuf : p. 171 ٣

حولها عددا من " الميردين " - مثل العركيين واولاد بدر ، او لانها تكاثرت حتى

اصبحت فى حكم القبيلة مثل محس العيلفون والحلاوين •

أما القبائل غير العربية فمنها الشلك والدينكا والمنجى والدمر والفلاته وغيرهم •

وتسكن قبائل الشلك والدينكا فى جنوب سهل الجزيرة حذاء ضفتى النيل الابيض ،

يحتل الدينكا الضفة الشرقية والشلك الغربية ، وطريقة حياة القبيلتين مقاربة ان

يعتمدون أساسا على الرعى وصيد السمك من النيل <sup>١</sup> • وتساکهم على الجوار من ناحية

الجنوب من القبائل العربية قبائل سليم التى تبدأ حدود منطقتها نحو عشرة أميال

جنوب الجبلين على الشاطىء الغربى •

كانت منطقة فيزغلى كلها تخضع لحكم مك من الفنج ، فكان يسكن الجبال

الخارجية منها قبائل البرتا ، أما الجبال على شاطىء النهر الايمن فكان يسكنها

المنجى والدمر • هذه القبائل كانت مضطهدة منذ القرن الثامن عشر ان كانت

كثيرا ما تتعرض لهجمات القبائل الكبرى المقيمة فى أسفل النيل الازرق لاسيما الفنج <sup>٢</sup> •

أما الفلاته <sup>٣</sup> فقد بدأت هجراتهم الى السودان منذ عهد بعيد بقصد

Barbour : p. 238

١

Gleichen : p. 128

٢

٣ يطلق لفظ الفلاته فى السودان على الاجناس النيجرية عامة ، ويبالغ فى تعميمه حتى يشمل قبائل البرقو احيانا وهم لاعلاقة لهم بسكان نيجريا • انظر :

Reid : Notes : p.29

الحج ولكنها نشطت في اواخر القرن الثامن عشر بعد حركة عثمان دان فوديو وخلفائه من قادة حركة الجهاد في نيجريا<sup>١</sup> . وان صاحب الفضل الاول في استقرار الفلاته بالجزيرة هو جد الشيخ محمد توم طلحة<sup>٢</sup> الذي عمل هو وابناؤه على أن يستقر كثيرون من الفلاته بالجزيرة . وكثير من هجرات الفلاته مرتبط بهجرات افراد من الفلاته لهم اتباع من قومهم ، وقد كان بعضهم سببا في استقرار بعض ، ومن هؤلاء الحاج عابدين ود العقور ، والشيخ حاج احمد بدوي ود التوم ، والشيخ محمد بيلو ، والشيخ

١ حركة الجهاد في نيجريا شبيهة بحركة المهدي في السودان ، ومن قادتها في برنو شخص يدعى رابح ظهر سنة ١٨٩٤ م ، وآخر يدعى حياتو كان ختنا لرابح وتابعا له يدعو باسمه . وقد ظهر قائد جهاد آخر بين الفلانيين في اقليم فكا وقسم يدعى ملام جبر الله واعتقله الانجليز سنة ١٩٠٢ م وقاد فلول انصاره احد ابنائه وهو مايرنو الى السودان . وكان الشيخ محمد توم طلحة سببا في استقرار مايرنوس بالجزيرة إذ منحه جزءا من ارضه وقربه . وقرية مايرنو السكوتو والفلاني وبعض البرنو .

انظر : Reid : Notes : p. 30-31

٢ جد الشيخ محمد توم طلحة مختلف فيه ان تقول المخابرات السودانية انه الشيخ عيسى بينما يذكر المستر ريد انه الشيخ حسين وافقت الروايتان في ان احد سلاطين الفنج وهب جد الشيخ محمد توم ارضا في منطقة الشيخ طلحة الحالية (جنوب شرق سنار) فاستقر وجرا اليه كثيرون من الفلاته على رأسهم مايرنو .

انظر : Ibid : p. 32

ايضا : Sudan Intelligence (Intel) : 2/43/362 : History of Fallata Fekis, 1923.

أبا زيد الملقب بـود السلطان على دينار<sup>١</sup> .

ومن القبائل العربية - من المجموعة الجعلية - عمرت الجزيرة عشائر وبيوت

هامة . والمجموعة الجعلية هذه تدعى أن نسبها ينتهي إلى العباس ابن عبد

المطلب عم النبي (ص)<sup>٢</sup> . ومن فروعها بالجزيرة الخوالده والجعليون بطابست

والمدينون واليعقوباب وأولاد الترابي وغيره ولا\* .

والخوالده فرع صغير من القبائل الجعلية أو الجهنية ، وقد ذكر ماكمايكل

أنهم من القبائل شبه الرعوية ويعتمدون أساساً على الأغنام والماعز مع الزراعة وتسكن

طائفة منهم جنوب الجزيرة . وقد ذكر المستر ريد أنهم ساندوا الوزير الهممجي

محمد أبولكيلك ضد الفنج فساندهم بنفهم ضيقة واسعة في النويلة حيث استقر

جماعة منهم هنا<sup>٣</sup> .

Intel : 2/43/362  
op.cit.

١

Holt, P.M. : The Mahdist State In The Sudan 1881-1898 : Oxford 1963 : p. 12

(hereafter referred to as : Holt : Mahdist State)

٢ محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، سكانه وقبائله : طبعة ثانية ، القاهرة

١٩٥٦ م : ص ١٦٤

(فيما يلي : عوض)

٣ وضع ماكمايكل الخوالده بين العرب الجهنيين ووضعهم المستر ريد بين الجعليين

MacMichael : p. 249

انظر :

Reid : Notes : p. 42-43

أيضاً :

أما جعليو طابت فهم بعض ذرارى الشيخ احمد الطيب البشير راجل  
 امرحى الذى هاجر فى رهط من اتباعه للجزيرة فمنحهم الوزير محمد ابولكيلك ارضا  
 قرب طيبة العركين (نحو ٢٥ شمال غرب ود مدنى) حيث اسسوا قرية اسموها امرحى ، <sup>١</sup> شعر ،  
صعيد . وقد كان غرض الوزير من استقرار الشيخ احمد الطيب هنا ان يساهم  
 الشيخ فى علاج الوزير الذى كان قد اصيب بالفالج <sup>١</sup> .

والمدينون عائلة صغيرة تسكن ود مدنى والكريبه وهى قرية صغيرة فى جنوب  
 غرب ود مدنى ، وينتسبون اصلا الى البصيلية الذين هاجروا للسودان من اسنا <sup>٢</sup> . وقد  
 نال المدينون اهمية كبيرة على صغر عائلتهم ، وذلك بفضل بعض الصالحين من  
 رجالهم مثل جدهم الشيخ دشين ود حامد قاضى العدالة الذى كان احد القضاة  
 الاربعة الذين عينهم المك عجب ود نايل بأمر الملك دكين ، وكان دشين  
 لايحيد عن الحق حتى اصبح مضرب المثل فى العدالة <sup>٣</sup> ، وكان حفيده الشيخ  
 محمد مدنى من الصالحين اهل الصيت ايضا ، وقد اثنى عليه الشيخ ود ضيف الله ثناء عظيم <sup>٤</sup> .

---

Reid : Notes : p. 60

Jackson, H.C. : "Two Gezera Families", : S.N.R. III, ٢  
 1920 : p.p. 94 f.f.

٣ ود ضيف الله / محمد ضيف الله بن محمد الجعلى : كتاب الطبقات : الطبعة  
 الاولى ، القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م : ص ٩٠  
 (فيما يلى : ود ضيف الله)

٤ نفسه : ص ١٥٥

ومثل المدنيين في المكانة والصيت اليعقوباب ، وهم من الجعليين المستقرين  
 بسنار ، ولهم سجادة جمعت حولها كثيرا من المريدين ، ويرجع الفضل في احراز  
 اليعقوباب تلك المكانة الى جدهم الشيخ بانقا الضير الذي كان جنديا يجمع  
 الضريبة في عهد الملك نايل ود عماره دنقس (١٥٤٤-١٥٥٦ م) . وقد ارسله  
 الملك نايل ليأخذ الشيخ عجيب الى سنار ، " فلما جاء في غيبه ارجى اجتماع  
 بالشيخ تاج الدين البهاري عند محمد الهندي " وقد كان من اول من اخذ عليه  
 الطريقة <sup>١</sup> .

وشبه بهذين البيتين بيت اولاد الترابي ، وهم اصلا من بديرية دنقلا ،  
 وقد هاجر جدهم عبد الرحمن حامد واستقر بالطيلة قرب الكاملين ، وأنجب ابنين  
 تحدث الناس عن صلاحهما ونسبوا اليهما كثيرا من الكرامات ، ويرجع الفضل  
 اليهما في اشتهار هذا البيت والتفاف المريدين حوله . هذان هما الشيخ ننه  
 والشيخ حمد ، والترابي لقب لحمد ، يقال انه سئل في مكة من أين هو  
 فقال : أنا من تراب . فلقب بالترابي وشمل الاسم العائلة كلها <sup>٢</sup> .

Jackson, H.C. : "Two Gezera Families"

١

Reid : Notes : p. 73-76

٢

ايضا : ود ضيف الله : ص ٦٠ وما بعدها ، ص ١٧٧



أما المجموعة الجهنية فإنها تنقسم إلى الصحابي عبد الله الجهني ، ولكم ،  
 يزحفون حتى وصلوا الجزيرة • وأكبر فروع الكواهل هم الحسانيه والحسينات ، ورغم  
 أن الحسانيه فقدوا كثيرا من رجالهم في المهدية إلا أنهم ظلوا أكبر فروع الكواهل

- 
- |   |                     |
|---|---------------------|
| ١ | عوض : ص ٢١٠         |
| ٢ | نفسه : ص ٢١٤        |
| ٣ | MacMichael : p. 317 |
| ٤ | Ibid : p. 325       |
| ٥ | Yusuf : p. 162      |

على الإطلاق ، وهم الآن استقلوا عن القبيلة الام ، واصبحوا قبيلة قائمة بذاتها .  
وتعيش الحسانية والحسينات على شاطئ النيل الابيض ، وحياتهم مزيج من الزراعة  
والرعى . والحسينات ينقسمون الى اليوازي والشتاويه <sup>١</sup> .

ومن القبائل الجهنية المترحلة بالجزيرة قبائل كئانه ودغيم وقبائل رفاعه . اما  
كئانه ودغيم فهم بنو عمومهم ، وينتسبون الى كئانه العربية ، بعضهم يسكن كردفان  
ولكن اغلبهم يسكن الجزيرة ، وينتقلون بين شطى النيل الازرق جنوبى سنجه وسنار مع  
رفاعه ، ويربون الابل والغنم ، ينزحون شمالا فى الخريف لتفادى الذبابه الى البطانسة  
والى جبللى سقدي وموية <sup>٢</sup> .

اما قبائل رفاعه فانها تسكن قبيلة جهينه الاصلية ، فى جنوب الجزيرة  
وقد دخلت هاتان القبيلتان السودان عن طريق الشرق ، وبينهما صلة وتزاوج كثير  
على الرغم من أن كل واحدة منهما محتفظة بشخصية مستقلة ، وتنسب رفاعه أحيانا الى  
الاشراف ، وربما كان ذلك لان العركيين ، وهم من رفاعه أصلا ، يدعون النسب  
الشريف ، ولكن هنالك شبه اتفاق بين المؤرخين بأن رفاعه يغلب عليهم العنصر  
الجهنى <sup>٣</sup> .

MacMichael : p. 239 ١

Reid : J.A. : "Some Notes On The Tribes Of The White Nile Province" ٢

MacMichael : p. 239-40 ٣  
Yusuf : p. 159 ايضا

كانت رفاعه فى عهد الفنج قبائل بدوية رعوية مترحلة وكانت مراكزهم فى سنار  
 واريجى والطلحه ، أما الآن فهم ينتشرون على شاطئ النيل الأزرق حتى جنوب سنجه ،  
 وفى شمال الجزيرة يسكنهم الدناقلة والمحس والجعلين ، والعبدلاب جزء منهم ،  
 لكنهم الآن استقلوا عن القبيلة ، وهم يعمرون المنطقة من المقرن حتى اريجى على النيل  
 الأزرق <sup>١</sup> .

والجزء الجنوبي من رفاعه رحل ، وغالبا ما يشار اليهم بجهينه ، وهم قسمان  
 رفاعه الهوى (ناس ابوروف) ، ورافاعه الشرق (ناس ابو جن) وابوروف وابوجن  
 هما البيتان الحاكمان بين هذه القبائل ، وابوروف من فرع بنى حسن وابو جن من  
 بنى حمادة <sup>٢</sup> .

ومن أقسام رفاعه أيضا الطوال والهلالية وبنو حسن وبنو حسين <sup>٣</sup> وهناك فرع  
 صغير منها يعرفون بالكمانير ، انقرض معظمهم فى الحروب المتصلة بينهم وبين الفنج  
 خلال القرن الثامن عشر ، وكان زعيم الكمانير يلبس الطاقية أم قرنين <sup>٤</sup> .

---

Macmichael : p. 240

Ibid : p. 241

عوض : ص ٢١٧

Macmichael : p. 246

١

٢

٣

٤

لما الاشراف من عرب الجزيرة فثلاث مجموعات وهي المسلمية والعركيسين والطوال وهناك مجموعة اخرى تنقسم الى جعفر الطيار خارج حدود الجزيرة غرب النيل الابيض ، هم الجعافرة بجهة الدويم ، ومن اشهر بيوت الاشراف ايضا اولاد بدر بام ضيان<sup>١</sup> .

ويرى ماكمايكل ان موقف العركيين المتأرجح بين الاشراف وقبائل رفاعه شبه بالحيرة ، فبعضهم يأنف ان ينتمى الى اى شجرة نسب غير الدوحة الشريفة ، لما اشتهروا به من الصلاح ، كما ان بعضهم يثبت نسبته الى رفاعه ولكنه يحسب ان يسمو برفاعه كلها الى النسب الشريف<sup>٢</sup> .

وقد اشتهر العركيون بالولاية والصلاح والتف حولهم كثير من الاتباع والمريدين ، ومن اشهر اوليائهم جدهم الاول دفع الله بن مقبل الذى قدم من بئر سرارة فى دار الريح بشمال كردفان ، وتزوج هديه بنت عاطف الجميعاى وانجب منها خمسة اولاد يعرفون بالخمسة العدول ، وهم حمد النيل وعبد الله وابو ادريس وابوبكر ابوعائشة والمجنوب<sup>٣</sup> . وقد ذاع صيت الشيخ عبد الله وكان ذا علم وورع . واشتهر من احفاد الشيخ دفع الله ابن للشيخ محمد ابو ادريس شيخ

١ Reid, J.A. : "Some Notes On The Tribes Of The White Nile Province"

٢ Macmichael : p. 239

٣ ود ضيف الله : ص ٨٥

يدعى دفع الله أيضا وكان زاهدا ناسكا جمع بين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة ، وأخذ الطريقة القادرية على يد أحمد تلاميذ الشيخ تاج الدين البهاري بالحجاز وقد أثنى عليه صاحب الطبقات ثناء عظيم<sup>١</sup> .

واشتهر من بعد هؤلاء الشيخ محمد الطريفي والشيخ يوسف أبو شرا وآخرون سواهما ، وانقسمت سجادة العركيين أخيرا بين بني حمد بن دفع الله بابي حراز ، وبني عبد الله في مهلة والطلحة<sup>٢</sup> .

هذا ، وإن هنالك قضية هامة — تخص تاريخ قبائل الجزيرة — لم يحسمها المؤرخون بعد ، ألا وهي قضية أصل الفنج ، أو غصنهم الذي اليه ينتمون . وقد دار فيها كثير من الجدل ، وانفق جهد كبير في معارك كلامية لم تصل بالأمر إلى نهاية .

وقد أثار النقاش فيها رأى جيمس بروس حيث قال يعنى الفنج " . . . . .  
وهذه الجماعة الزنجية تعرف في وطنها الأول بالشلك ، وقد أسسوا سنار . . . . .  
ونقلوا عرش ود عجيب إلى أربجي حتى يكون أقرب إلى عينهم " <sup>٣</sup> .

---

١ ود ضيف الله : ص ١١٢

٢ Reid : Notes : p. 24

Bruce : p. 212 ٣

وذكر بروس أيضا ان الفنج اعتنقوا الاسلام لتيسر معاملاتهم التجارية مع مصر ، واسموا  
انفسهم بالفنج ، اى الفاتحين او الوطنيين الاحرار<sup>١</sup> . وقد ايد آركل هذا الرأى  
ودافع عنه<sup>٢</sup> .

ويستند بروس فى رأيه هذا على امرين : الاول تقديره الشخصى ، والثانى  
الروايات التى بلغته وهوفى سنار ، واهمها ما نقله عن احمد سيد القوم ، ولذلك  
لقى هذا الرأى معارضة شديدة من شاتوى الذى نسب الفنج الى الاحباش ، وطعن  
فيما روى بروس عن احمد سيد القوم واتهم الاخير بقصور العلم والسذاجة والمرض وانسه  
تختلط عليه الاحداث . وقال شاتوى : ان بروس جاء الى سنار واحوالها السياسية  
مضطربة ، وهو نفسه لم يكن فى طمأنينة ، وكان يعيش فى حذر وهلع شديد ، فليس  
من السهل على رجل فى مكانه ان يصل الى نتيجة الدارس المحقق ، وقال  
انه من الخطل ان يؤخذ برأى بروس من غير تمحيص<sup>٣</sup> .

---

Bruce : p. 213

Arkell, A.J. : "Fung Origins", S.N.R. XV, 1932  
p.p. 201 f.f.

Chataway, J.D.P. : "Notes On The History Of The Fung", :  
S.N.R. XIII, 1930 : p.p. 247 f.f.

ان آركل نفسه قد تحول عن رأيه الاول بعض التحول ، او عدّل فيه ، فذهب الى القول بأن مؤسس اسرة الفنج الاول هو عثمان قاضي البرناوى أحد ملوك برنو ، وقد خلع من العرش سنة ١٤٨٦م وطرد - او قد يكون ذلك المؤسس الاول ، على حد قول آركل ، واحداً من سلالة عثمان المذكور ان لم يكن هو نفسه ، ويقول آركل : ان ذلك الطك ربما حل على النيل الابيض فى دار الشلك ، وهو هارب من بلاده ، ومن هناك جمع الشلك وغزا بهم علوة وأسس السلطنة الزرقاء<sup>١</sup> . ولكن الرواية التقليدية عن اصل الفنج والتي يعتقد بها الفنج انفسهم ، هى التى تنسبهم الى العرب ، ويبدو ان الروايات التى وردت فى هذا الشأن اخذت كلها من نفس المورد ، فانها لاتكاد تختلف حتى فى العبارة ، ومنها رواية كاتب الشونة<sup>٢</sup> ، ورواية نعم شقير<sup>٣</sup> التى قال : انه اخذها عن الشيخ عبد الدافع ، وهذه الروايات تنسبهم فى العرب الى احد اصلين : اما بنى امية او بنى هلاله .

١ Arkell, A.J. : "More About Fung Origins", S.N.R. XVII, 1949 : p.p. 87 f.f.

٢ الشاطر البصليلى عبد الجليل (تحقيق) : مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية : القاهرة ١٩٦١م : ص ٤  
(فيما يلى : كاتب الشونة)

٣ شقير : ص ٣٨٦-٨٧

والمطعن في نسبة الفنج الى العرب عند آركل انها غالبا ماتكون من ابتداء  
 المؤرخين العرب ، من امثال السمقندي ، ارادوا بها التقرب الى ملوك الفنج <sup>١</sup> .  
 وعلى كل فشق الخلاف بين المؤرخين في اصل الفنج واسعة ، ونحن هنا  
 لانجد مجالا لاثباتهم بين الجهنيين او الجعليين من عرب الجزيرة ، ولسنا كذلك في  
 حل من ضمهم الى القبائل غير العربية في هذه المنطقة ، ولكن تقاليدهم وتاريخهم  
 وعصبيتهم الى التراث العربي تجعلهم اقرب الى العرب .

في العجالة الموجزة اعلاه تحدثنا عن ارض الجزيرة ومناخها والعناصر التي  
 تقطنها ومصادر الرزق فيها ولكي تكمل الصورة لابد من ذكر شيء عن تاريخ هذه  
 المنطقة من حيث السلطة السياسية وأهم جوانب الوضع الاجتماعي قبل ظهور الحركة  
 المهدوية في الجزيرة . ومن ناحية اخرى فان تجاهل هذه الجوانب يخفى اهم  
 المؤثرات في تاريخ المهدية في الجزيرة سواء كان ذلك سلبا ام ايجابا .  
 كانت الجزيرة قبل السلطنة الزرقاء تحت حكم مملكة علوة المسيحية <sup>٢</sup> ، ولقد  
 ورث علوه في هذه المنطقة سلطنة الفنج او السلطنة الزرقاء ، ولعله من المتفق عليه

---

Arkell, A.J. : "Fung Origins"

١  
 ٢ ذكر آركل ان آثار نقوش مملكة علوه امتدت حتى الرصيرص وذلك يشمل معظم  
 الجزيرة .

See : Arkell A.J. : "Fung Origins", ...



بين الموءرخين أن سنار لم تكن معمورة قبل الفنج وأن أول من اختطها عاصمة للمملكة هو عمارة دنقس سنة ١٥٠٤م<sup>١</sup> ، والعاصمة الأخرى لهذه المملكة كانت أربجي مقر شيخ العبدلاب ، وقد ذكر الشاطر البصيلي أن أربجي أسست في أواخر القرن الخامس عشر أي قبل ظهور المملكة السنارية<sup>٢</sup> ، ولكن شيخ العبدلاب اتخذها عاصمة نحو سنة ١٥٧٢م<sup>٣</sup> .

إن كيفية مال الحكم من أيدي الأثواب أو العنج المسيحيين إلى الفنج والعرب المسلمين مجال خلاف وجدل ، فهناك من يرى أن مملكة علوه تم غزوها بالثقافة العربية الإسلامية أولا ، وبالتطعيم العنصري والامتزاج الدموي ثانيا ، ثم آلت تلقائيا إلى أيدي المسلمين ولم يأخذوها بالسيف والرمح . ويرى آخرون أنها أخذت غلابا<sup>٤</sup> .

١ شبكة / بروفيسور مكي (تحقيق) : تاريخ ملوك السودان : الخرطوم ١٩٤٧م : ص ١

(فيما يلي : شبكة : ملوك السودان)

أيضا : : Crawford, O.G.S. : The Fung Kingdom of Sennar : London 1951 : p. 80 (hereafter : Crawford)

أيضا : شقير : ص ٣٨٦

٢ كاتب الشونه : ص ٤

٣ Crawford : p. 68

٤ Yusuf : p. 124

كانت مملكة سنار تمتد من الشلال الثالث الى اقصى جبال فازغلي شمالا وجنوبا  
ومن سواكن الى النيل الابيض شرقا وغربا . ومن ارجى جنوبا كان تابعا لملاك الفنج  
رأسا وماسواه تابعا لهم عن طريق مشايخ العبدلاب<sup>١</sup> . وكانت مملكة سنار مقسمة الى  
عدة ممالك ومشيخات " من سود ونوبه وعرب وحضر وباديه ، وكان كل ملك أو شيخ  
يدفع الجزية لملاك سنار الا أن له نوعا من الاستقلال " <sup>٢</sup> . وكان يعود على  
ملك سنار ايضا نصيب معين من ضرائب مشايخ قرى<sup>٣</sup> . وكان هؤلاء المشايخ  
يتفاوتون في المكانة - أعني مشايخ الممالك الصغيرة - فبعضهم يلبس الطاقية ام  
قرينات رمز المانجليه وبعضهم لا يلبسها ، وكان بعضهم يشريها بالمال من سنار  
لينال بها المكانة بين اقرانه<sup>٤</sup> .

كان مشايخ قرى يعتبرون في المرتبة الثانية لملاك الفنج ، ولم يكن  
العبدلاب راضين عن هذا الوضع ، فقد ثاروا اكثر من مرة - مرة في كركوج سنة  
١٦١١م وأخرى سنة ١٧٠٥م - الا أن ثورتهم لم تنجح<sup>٥</sup> .

---

١ شقير: ص ٢٨٧

٢ نفسه: ص ٢٨٧

٣ Bruce : p. 197

٤ Crawford : p. 81-82

٥ Ibid

وقد كان هنالك كثير من التنافس والتناحر بين ملوك الفنج انفسهم ان نلاحظ ان كثيرين منهم انزلوا عن العرش راغمي الانف أدلة مثل عمارة ود نايل وأونسا وابنه عبد القادر وكثيرين سوى هو<sup>١</sup> لاء<sup>١</sup> ، واخيرا ذهبت ريح الاضطرابات بأخر ملوك الفنج الاقوياء بادي ابوشلوخ وصار الامر للهمج يسيرون الحكم كيف شاءوا ، وكان قائد ثورة الهمج هو الوزير محمد ابولكيلك المتوفى سنة ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦-١٧٧٧ م<sup>٢</sup> .

على أنه قد كان لبعض ملوك الفنج شأن عظيم واثار باقية مثل دكيسين ود نايل الذي اشتهر بعدله وهو أول من جعل للدولة قوانين منظمه ، والسلطان بادي ابو دقن الذي غزا كثيرا حتى بلغ مناطق الشلك وجبال تقلى ، فأرسي دعائم الدولة واشتهر بفكره العلماء واهتمامه بالعلم وكان كثير الاتصال بمصر حتى مدحه بعض علماء الازهر الشريف بالشعر<sup>٣</sup> .

أما فترة العهد التركي فلم تشهد فيها الجزيرة اطمئنانا للموضع السياسي ولقد خلفت تلك الفترة أسوأ الآثار على مجتمع الجزيرة . ويمكن أن نقسم فترة الحكم التركي من حيث طبيعة الادارة الى قسمين : الادارة العسكرية ، وتشمل السنوات

Bruce : p. 219

١

شبيكه : ملوك السودان : ص ٦-٧

٢

نفسه ص ١-٦

٣

الستة الاولى ثم الادارة المدنية وهى مابعد عهد خورشيد على الذى بدأ فى

عام ١٨٢٦ م .

وانقضت الفترة الاولى مخلفة فى اذهان السكان اسوأ رأى فى الحكم

الجديد ، فقد لقي الناس عنقا شديدا من بطش الحكام وارهاب حملات الرقيق

وشدة جياة الضرائب الذين كانوا يقتفنون فى التعذيب والعقاب لكل من تلكا

فى دفع مايفترض عليه ، وقد اضطر كثير من الناس الى مغادرة اوطانهم هربا ،

لاسيما فى عهد عثمان بك قائد الالاي الاول ، الذى كان لسياسته آثار وخيمة على

الجزيرة والقضارف ونواحيها <sup>١</sup> .

كانت عاصمة البلاد الاولى فى مستهل العهد التركى سنار ثم نقلت الى

ود مدنى <sup>٢</sup> . ولا بد ان وجود العاصمة فى الجزيرة كان عاملا من عوامل السعرب

والارهاب لانها كانت تحت الرقابة المباشرة . ومنذ بداية هذا العهد فكر حكامه

فى اقتناص السود من ابناء البلاد فكانت حملة بقيادة اسماعيل بن محمد على الى

جبال جنوب الجزيرة ( الصعيد ) . وحملة اخرى بقيادة اخيه ابراهيم الى جهات

١ شبيكه / بروفيسور مكى : السودان عبر القرون : بيروت ١٩٦٥ م : ص ١١٤ -

١١٥ .

( فيما يلى : شبيكة : عبر القرون )

٢ نفسه : ص ١٠٨

الدينكا على النيل الابيض<sup>١</sup> . ثم وضعت الضرائب على الناس وليس على اساس  
عادل وانما حسب حاجة الحكام الى المال فلم تكن فئات الضريبة ثابتة وانما ظلت  
الذين جاؤوا لاجراض ادارية مختلفة ، وابناء هؤلاء يعرفون " بالمواليد " أو

---

١ شبيكة : عبر القرون : ص ١٠٦

٢ Reid, J.A. : "Some Notes On The Tribes Of The  
White Nile Province"

" المولدين " . ثالثا كان الجيش قويا وقد نجح فى كسب ولاء كثيرين من أبناء البلاد وتجنيدهم وهم قسما : أبناء القبائل الجنوبية والنوبة وهو لاء يعرفون بالجهديـه السود ، ثم الشايقية الذين حلوا محل الجنود غير النظامية ( الباشـبوزق ) التى جاءـت مع الجيش الفاتح <sup>١</sup> .

كانت هناك محاولات لايقاف تجارة الرقيق وقد لقيت اهتماما كبيرا فى عهد الخديوى اسماعيل ( ١٨٦٣-١٨٧٩ م ) . لكن اثر تلك المحاولات جاء عكسيا فى اقتصاد البلاد رغم الدوافع الانسانية التى كانت من ورائها . وتغل ذلك الاثر على الخصوص فى ناحيتين هامتين : اولا الرقيق كانوا يستخدمون فى اعمال الزراعة والحرث والاعمال المنزلية ونحو ذلك من الاعمال الشاقة ، ولذلك سخط ملاك الرقيق على الوضع لانه غير وجه حياتهم كله . ثانيا ان هناك طبقة من التجار اصبح كسبها ومصدر رزقها من المتاجرة بالرقيق ، هذه الطبقة كانت فى مقدمة قيادة التدمر ضد الحكومة <sup>٢</sup> .

هذا الوضع السياسى المضطرب جعل الجزيرة شأنها شأن سائر البلاد محبة لثورة للتغيير . وقد بذر هذا الوضع بذور كراهيته بيده فى نفوس الرعية .

Holt : Mahdist State : p. 14-15

١

Ibid : p. 25

٢

ان الثورة حينما يندلع لهيب نيرانها بين الناس انما ينفجر ذلك اللهيب من طبيعة تكوين هذه الامم ومايسود بينها من افكار ومعارف . ولذلك فان الحديث عن الوضع السياسى وحده انما يلقى لنا جانبا من الضوء ولا يتضح كل شئ حتى نعرف بعض ملامح الصورة الاخرى ، كالجوانب الفلسفكرية والثقافية ونحوها . ولعل اهم شئ فى هذا المقام هو دراسة الوضع العقدى فى الجزيرة ، فقد كانت الجزيرة محط كل جديد وقديم من تفكير دينى ظهر فى العالم الاسلامى بفضل ماكان لها من ارتباط وصلة عن طريق التجارة والسياسة وغيرها كما وضحنا فيما مضى ونوضح فيما يلى <sup>١</sup> .

فبحلول القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى كان الاسلام قد انتظم معظم اجزاء الجزيرة ، وان كان مشوبا بالخرافة والجهل بكثير ممن احكامه . ولقد حفل هذا القرن بتشجيع " العلماء لدخول السودان على اختلاف اجناسهم وتوثيق الصداقة بين عدد من اقطار العالم " <sup>٢</sup> الاسلامى . ومن اهم العلوم التى دخلت السودان فى هذا العصر علم التصوف - والتصوف هو احد

١ لتفصيل الحديث عن الصلات التجارية انظر : ص ١٢-١٥

وللصلات السياسية انظر : ص ٣٣ ومابعدها

٢ قريب الله / حسن محمد الفاتح : التصوف فى السودان الى نهاية عهد الفنج

(رسالة للماجستير) : جامعة الخرطوم - كلية الآداب : يناير ١٩٦٥ : ص ٢٣٧ .

(فيما يلى : قريب الله)

العلوم الشرعية المستحدثة في الأمة الإسلامية<sup>١</sup> .

كان التصوف يعنى على وجه الخصوص بالسعى وراء الذات الالهية بالطرق الروحية الغامضة ، وكان المتصوفة يعتمدون في ذلك السعى على سند صوفي يصرون على ذكره ، والسند الصوفي يريدون به الوسيلة ( الوسيلة ) التي تربطهم بالله سبحانه عن طريق الرسول ( ص ) فجبريل عليه السلام قرب العزة عز وجل . لذلك كانت كل الطرق الصوفية تصر على طاعة الشيخ طاعة عمياء حتى الموت<sup>٢</sup> .

ولقد طغى التصوف في الجزيرة حتى غطى على الاسلام السني ، واصبح تحيز الناس الى جانب المتصوفة ( اهل الباطن ) دون علماء الشريعة ( اهل الظاهر ) ، وظهر ذلك في مساجلات الاقاصيص التي كانوا يروونها حول الفقهاء والمتصوفة ، فكانوا ينتصرون للمتصوفة دائما ، وخير شاهد على ذلك قصة الشيخ الهميم والقاضي دشين ، ان روى ان الهميم تزوج اكثر من اربع نساء وجمع بين الاختين على خلاف

١ قريب الله : ص ٢٣٧

٢ Willis, C.A. : "Religious Confraternities In The Sudan". S.N.R. IV, 1921 : p.p. 175 f.f.

ايضا : ذكر قريب الله ان الشيخ تاج الدين البهاري اشترط على الذين اخذوا الطريقة على يده اول حضوره للسودان ان يذبح المريد بعد ان ياخذ الطريقة ، ولم ينفذ هذا الشرط وانما اراد به اختيار ولاء المريدين ، وقد قبله بعضهم . انظر : قريب الله : ص ١٠٢ ، ١١٤-١١٦ .



الشرعية ففسخ القاضي دشين عقد نكاحه • ودخل الشيخ ادريس ود الارباب واسطة بينهما ، ولكن دشين اصر على فسخ النكاح ، فدعا عليه الهميم بفسخ جلده ففسخ الله جلد دشين ومات <sup>١</sup> •

هذا وان حلول الشيخ تاج الدين البهاري ، الذي قدم السودان في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، يعتبر بداية لعهد التصوف الجماعي ، اى انتظام الروابط الصوفية الجماعية على غرار ماكان يجرى في بقية العالم الاسلامي <sup>٢</sup> •

اما قبل هذا العهد فقد كان النشاط الصوفي امرا فرديا لم يخرج عن محاولات ذاتية لم تتأثر بطرق صوفية معينة أو شيخ ( وسيلة أو سند ) معين • وكان اولئك الافراد يعتمدون على الاطلاع على كتب الصوفية واثارهم ، وقد اشتهر اولئك المشايخ ، الذين تأثروا تاريخ المتصوفة ، اشتهروا بالورع والصلاح حتى نسب الي بعضهم التنبؤ بالغيب واجتمع حولهم كثير من المحبين <sup>٣</sup> •

ولعل عهد التصوف الفردي هذا هو الذي وصفه دكتور ب • م • هولت بعد ظهور البيوتات الدينية التي كان رجالها يقومون بنشر التعاليم الاسلامية

١ ود ضيف الله : ص ٩٠

٢ Willis, C.A. : "Religions Confraternities In The Sudan".

٣ قريب الله : ص ٥٣ وما بعدها

وكتاب الله المقدس وكانت لهم قداسة عند الناس ويعتقد انهم اهل بركة <sup>١</sup> .  
والجزيرة كانت من اعظم بلاد السودان تأثرا بتعاليم الاسلام والتعاليم  
الصوفية أيضا وانتشر فيها كثير من الطرق ، وتجلت اولى مظاهر النشاط الصوفى  
الجماعى فى ظهور الطريقة البكرية على يد الشيخ محمود العركى <sup>٢</sup> . ومن اهم  
الطرق التى انتشرت فى الجزيرة الطريقة القادرية التى تأسست على يد الشيخ  
عبد القادر الجيلانى سنة ١٠٢٩هـ / ١١٨٦م ونقلها الى السودان الشيخ تاج  
الدين البهارى الفارسى ، ومن اهم من اخذ علو يد البهارى اربعة هم محمد  
الامين عبد الصادق بجهة السوكى ، وبانقا موسى شعبة اليعقوباب ، وعجيب  
المانجلك بن عبد الله جماع ، وعبد الله العركى ومن اهم مشائخها ايضا الشيخ  
ادريس ود الارباب <sup>٣</sup> . والطريقة الخلوتية المنسوبة الى موسى سسها الشيخ محمد  
الخلوتى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ومن اهم فروعها بالسودان السمانيه التى  
نقلها الى السودان الشيخ أحمد الطيب البشير المتوفى سنة ١٨٢٣م ، ومن اهم

---

Holt, P.M.: Holy Families And Islam In The Sudan : ١  
Princeton Near East Papers, No. 4 : Princeton University,  
1967 : p. 1.

٢ قريب الله : ص ٦٣ وما بعدها

٣ نفسه : ص ١٣٤

مشائخها الشيخ محمد شريف ود نور الدائم والشيخ هجو الغلاتي بجهة سنار<sup>١</sup> .  
 والطريقة الختمية المنبثقة عن الاحمدية وقد اسسها السيد محمد عثمان الميرغني الكبير  
 المولود بالحجاز سنة ١٢٨٢م ، وقد حاول السيد محمد عثمان والد السيد عيسى  
 الميرغني نشر الطريقة بكثير من بقاء السودان وقد شمل طوائفه الجزيرة • كانت  
 الختمية من اشد الطرق معارضة للمهدية وقد اضطر السيد محمد عثمان بعد اشتداد  
 امر المهدي للهجرة الى مصر<sup>٢</sup> • وهناك الطريقة الرشيدية التي برزت منها طائفة  
 بالجزيرة يعرفون بجماعة ابي جريد او الزبالعة ، وتنسب هذه الطائفة الى أبكر  
 الملقب بابي جريد • وقد عاش ابكر في النصف الاول من القرن السابع عشر الميلادي  
 تقريبا ، وقد صار للزبالعة انصار كثيرين موزعون بين سنار والبلاد الواقعة بين  
 الدندر والرهدي • ويبدو ان اعتماد مشائخهم على افعال السحركان السرفي التفاف  
 كثير من الاتباع حولهم<sup>٣</sup> .

Willis, C.A. : "Religious Confraternities In The Sudan" ١

Ibid ٢

٣ قريب الله : ص ٢١٢

ايضا : شقير : ص ٦٧

الثورة المهدية

ولد محمد احمد بن عبد الله في السابع والعشرين من رجب سنة ١٢٦٠هـ /  
 ١٢ أغسطس سنة ١٨٤٤ م بجزيرة لبب المعروفة بجزيرة الاشراف بمديرية دنقلا وكان  
 ينسب الى عائلة تدعى أنها من الاشراف . كان أبوه نجارا يصنع المراكب النهرية  
 وقد اضطرته ظروف العمل الى الارتحال بأبنائه الأربعة - وكان محمد احمد أصغرهم -  
 الى كررى نحو ٢٠ ميلا شمال الخرطوم حيث يتوفر الخشب لبناء المراكب .  
 وكان محمد احمد ، على نقىض اخوته الذين اشتهروا عمل أبيهم ، كان  
 ميالا الى طلب العلم فتعلم على الشيخ الامين الصويلح يتعلم القرآن في " خلوته"  
 بالجزيرة ، ثم انتقل منه الى الشيخ محمد الضكير - الذي غير اسمه المهدي فيما  
 بعد الى محمد الخير - بالغيش بجهة بربر<sup>١</sup> . وقد اشتهر محمد احمد بذكائه  
 وحسن سيرته بين اقرانه وبرز في الدرس كما اشتهر بالورع والزهد فقد كان يأنف  
 ان يأكل من طعام الشيخ محمد الخير لانه كان يتلقى عونا من الحكومة فكان محمد  
 الخير يطعمه مما تنتج أرضه كما كان يعتمد على صيد السمك من النيل بنفسه<sup>٢</sup> .

---

 ١ Holt : Mahdist State : p. 37

 ٢ شبكه : عبر القرون : ص ٢٠٩

رأى محمد احمد أن يسلك إحدى الطرق الصوفية التي كانت سائدة في زمانه حتى يبلغ غايته من المراتب الدينية فاختر الشيخ محمد شريف ود نور الدائم حفيد الشيخ احمد الطيب البشير راجل ام مرحى ليأخذ عنه الطريقة السمانية فمكث عنده سبع سنين منذ عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦١ م يخدمه باخلاص وامانة حتى نال الاجازة بتسليك الطريق<sup>١</sup> .

ولما نال الاجازة ذهب يضرب في الارض يشفى الرزق فعمل مع أحدهم في بيع الحطب في النيل الابيض ولكهما سرعان ما اختلفا وافترقا ولان محمد احمد بالجزيرة ابا والتزم العزلة هناك وكان يسكنها بعض الاعراب والشك<sup>٢</sup> .  
واتصل جبل المودة بين محمد احمد وشيخه حتى اقترح محمد احمد على شيخه ان يرحل الى العريبيه قريبا من الجزيرة ابا ففعل في نحو سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧٢ م ولكن تلك المودة لم تدم وفي نحو عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨ م اختلف محمد احمد وشيخه واسباب الخلاف قيل انها من جراء اعتراض محمد احمد على اقامة الافراح التقليدية من رقص ودغوف في ختان ابناء الشيخ محمد شريف

١ شبكة : عبر القرون : ص ٢١٠

Holt : Mahdist State : p.p.38-39

٢ شبكة : عبر القرون : ص ٢١١

وقيل انها الغيرة الطبيعية من الشيخ على تلميذه الذي اصبح يحتل مكانة كبرى  
في قلوب اهل الطريقة السمانية وادت تلك الخلافات الى طرد محمد احمد من الطريقة  
السمانية<sup>١</sup> .

لما طرد محمد احمد ورأى ان سنده الصوفي قد انقضم رأى ان يبحث عن  
شيخ اخر فقبله الشيخ القرشي ود الزين وكان احد المشايخ الضالعين في السمانية  
وكان يقيم بالجزيرة بمنطقة الحلاوين قريبا من الحصاصيما فاصبح محط الثقة والاکرام  
عند شيخه القرشي ، ولما توفي الشيخ القرشي في اواخر سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٨٠م  
اشرف محمد احمد على بناء قبته . وكان اهل الطريقة السمانية يعتقدون ان المهدي  
سيكون من بينهم ويعتقدون ان اشارة الشيخ القرشي لمحمد احمد بالخلافة من بعده  
تعني انه ربما كان المهدي المنتظر<sup>٢</sup> .

وفي احتفال ببناء القبة التقى محمد احمد بعبد الله بن محمد التعايشي  
الذي كان ابوه يضرب الرمل في دار البقارة فخر عبد الله مخشيا طيه امام

---

Holt : Mahdist State : p. 38

١ أيضا : شقير : ص ٦٣٨

٢ شببكة : عبر القرون : ص ٢١٢

أيضاً : Holt : Mahdist State : p.p. 42-43

أيضا : لقد نقلنا تفسيراً لاشارة القرشي هذه عن الشيخ دفع الله محمد امام  
حبوبه الموجود بالحلاوين حاليا . انظر : ص ٢٠٤ ( الهامش )

محمد احمد واسرالى محمد احمد بأنه يعتقد ان محمد احمد هو المهدي المنتظر الذي خبره أبوه بأنه سيكون له خليفة ومن هنا بدأت صلة محمد احمد بعبد الله النعاشي<sup>١</sup>.

ومن هناك عاد محمد احمد الى الجزيرة ابا يصحبه عبد الله بن محمد ومن الجزيرة ابا ذهب الى كردفان حيث كان محمد احمد يتصل بشخصيات هامة مثل الياس باشا ام برير والملك آدم ام دبالو مك تقلى يسر اليهم بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لنصرة الدين ثم عاد من كردفان وبدأ اخطر مراحل دعوته وهي انه اظهر لعبد الله بن محمد وبعض خاصته انه المهدي المنتظر ذلك كان في ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ هـ / مارس ١٨٨١ م ثم كتب الخطابات الصريحة الى رجال الدين بأن الله قد خصه بالمهدية وامره باعلانها وسيمشي النصر بين يديه ، ولم نعره الحكومة المركزية اهتماما في بادئ الامر واعتبرته مجذوبا من مجازييب<sup>٢</sup>.

✓ اعتاد المؤرخون اعتبار سوء الادارة في العهد التركي والضرائب الفادحة ونحوها من المساويء الاجتماعية والاقتصادية من ضغط وقهر ونحوه - مثل حملة

١ Holt : Mahdist State : p. 43

٢ شبكة : عبر القرون : ص ٢١٢-٢١٣

ايضا : Mahdist State : p.p. 44-45 Holt :

لدفتردار وغيرها - اعتادوا أن يذكروها كأسباب للثورة المهدية إلى جانب أسباب أخرى مثل محاولة الحكومة التركية الحصرية وقف تجارة الرقيق الخ ولكن يبدو أن تفسير قيام الثورة في ذلك الوقت بالذات هو أن السلطة الفعلية للمخديوي قد انتهت بنهاية عهد اسماعيل باشا سنة ١٨٧٩ م أما ابنه محمد توفيق فقد أصبح دمية تحركها القوى الأجنبية كيف شاءت . وإن أحداث الثورة العرابية في مصر قد أفقدت السلطة المركزية في مصر القدرة على ضبط الاداة الادارية في مصر والسودان معا ، وعليه فإن ضعف السلطة في مصر والسودان هو الذي مهد الطريق للثورة . أما ما كان من امر سوء الاوضاع في السودان وتذمر الناس وضيقهم بها فإن تلك تعتبر عوامل ساعدت على تأجيج نار الثورة وسرعة انتشارها في البلاد<sup>١</sup> .

هناك سوء ال آخر لا بد من الاجابة عليه ، وهو ما عني المهدية وما عني أن يقوم محمد احمد أنه مهدي ؟ لقد عرف محمد احمد نفسه بالامام اى القائد والامير الذى يسير الناس خلفه ثم ذكر انه خليفة رسول الله اى الذى يسير على هديه ثم انه المهدي المنتظر وهو الذى سيملا الارض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما . هذه المعاني الثلاثة هي التى توضح معنى المهدية التى يدعيها محمد

أحمد<sup>٢</sup> .

Holt, P.M.: A Modern History of The Sudan : London 1961: ١  
p. 78

Ibid : p. 8



لما علم الحكمدار رؤوف بخطورة محمد احمد ووصلت اليه منشوراته أرسل اليه بعثة من العلماء على رأسها ابو السعود الذي كان يد الحكمدار اليمنى ولكن المهدي لم يقتنع بأراء العلماء ولم يخش بأمن الحكومة وادعى انه ولي الأمر الواجبة طاعته فرجعوا خائبين . وهنا أعد الحكمدار حملة بقيادة ابي السعود توجهت الى ابا وكان محمد احمد قد نصب في ابا رايته وكتب عليها لا اله الا الله محمد المهدي خليفة رسول الله \* وخرج العساكر من وابورهم للقاء المهدي الذي خبا رجاله فداموا الجنود وقضوا عليهم الا من فر وعاد ابو السعود صفر اليدين خائب الامل الى الخرطوم ليحمل النبا الى الحكمدار وابتهجت الجزيرة ابا بهذا النصر الذي اعتبر كرامة من كرامات المهدي ، وكانت الواقعة المعروفة بواقعة ابا في ليلة الجمعة ١٦ رمضان سنة ١٢٩٨ هـ / ١٢ / ٨ / ١٨٨١ م وقد جرح المهدي في هذه الواقعة في كتفه وفقد اثني عشر من رجاله <sup>١</sup> .

ولما كان لابد للحكومة من أخذ امر المهدي مأخذ الجد بعد واقعة ابا فقد ادرك المهدي تلك الحقيقة وهاجر من ابا الى جبال النوبة ولم يعتبر انصاره ذلك هربا من السلطة وانما اعتبروه افتقاء لاثار الرسول الذي هاجر الى

١ شقير : ص ٦٥٣-٦٥٤

أيضا : Theobald, A.B.: The Mahdia : London 1965 : p. 34 (hereafter : Theobald)

المدينة من مكة ولم تتمكن الحكومة من اللحاق به وقد حاول محمد سعيد مدير كردفان ذلك وفشل لما لقي من سوء الطريق وسوء معاملة السكان فعاد الى الأبيض في اول القعدة ١٢٩٨ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨٨١ م<sup>١</sup> .

لما المهدى فلم يلق مقاومة في طريقه الا من المختار ملك جبل جراد الذي هزمه المهدى في نهاية الحجة الموافق ٢٤ أكتوبر من نفس العام .

وقد حاول راشد بك ايمن مدير فشوة القضاء على المهدى رغم عسدم موافقة الحكماء بذلك ولكنه لما بلغ قديرا داهمته قوى المهدى في ١٦ محرم ١٢٩٩ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨٨١ م وقضت على جميع رجاله الا قلة واسر منهم ١١١ شخصا ومات راشد وكانت عدة جنوده نحو ٤٠٠ من النظامية و ١٠٠٠ من الشلك وقد استفاد المهدى من السلاح الذي وجدته في غنائم واقعة راشد واثبتت للمهدى كرامة كبرى بالانتصار على راشد وذاع صيته بها بين الناس<sup>٢</sup> .

وفي اوائل مارس ١٨٨٢ عزلت الحكومة المصرية محمد رؤوف من حكمدارية السودان لفشله في اخماد ثورة المهدى واستبدلته بعبد القادر باشا حلمسى

---

Theobald : p. 36

١

أيضا : شقير : ص ٦٥٦

٢ شقير : ص ٦٥٦-٦٥٧

ولكن عبد القادر حلمي تأخر فتاب عنه جقلمر باشا حتى لوائل مايو سنة ١٨٨٢ •  
استأذن جقلمر باشا مصر في أن يقضى على المهدي في قدبر قبل أن يستفحل امره ،  
فأذن له فالتى جيشا من ١٣ بلكا و ١٥٠٠ من الباشيبوزق وعقد لواءه ليوستف  
باشا الشلالى • وصل يوسف الشلالى الى جبل الجراءه فأقام حصنا من الشوك  
لجنوده يستريحون فيه الليل ولكن المهدي لم يمهلم ان داهمهم فى حصنهم  
بعد أن علم خبرهم من طلائعه وكانت واقعة الشلالى فى ١١ رجب سنة ١٢٩٩ /  
٢٩ مايو ١٨٨٢ وقتل الشلالى نفسه ولم ينج الا القليل وكانت واقعة الشلالى  
عند الناس بمثابة التاكيد بمهدية محمد احمد واضبرت كبرى الكرامات وقد استفاد  
محمد احمد من غنائم هذه الوقائع من أسلحة وغيرها ١ •

وفي هذا الاثناء كانت الجزيرة قد بدأت تتحرك لصالح المهدي يبحث  
برسله اليها ويذكي نار حماسها انتصاراته فى الوقائع الحربية وكان جقلمر باشا  
وعبد القادر حلمي من بعده يحاولان اخماد الثورات فيها دون جدوى ٢ •  
وبعد واقعة الشلالى بنحو شهرين تحرك المهدي نحو الابيض لاستلامها  
وكانت قد سبقته رسله الى دارفور وحاميات كردفان الاخرى ان أرسل مذهبو على

---

١ شقير : ص ٦٥٨ ومابعدها

٢ انظر : الباب الثانى من البحث : ص ٧٨ ومابعدها

رأس جيش إلى دارفور وأرسل ألفا إسماعيل ليستولى على حاميات كردفان ولقد سقطت حاميات كردفان في يد الانتصار وبقيت الأبيض وبارا حتى وصول المهدي ، ولم يتأخر المهدي إلا شهرا في جبال الكواليب رغم شدة هطول الأمطار ، ونزل على بعد نحو ستة أميال جنوب غرب الأبيض بمنطقة كابا وأرسل رسولين إلى مدينة الأبيض يدعوان أهلها إلى التسليم ولكن الرسولين شنقا ، ولكن المواليين للمهدي من أهل الأبيض كانوا يخرجون إليه خلصة وأهم أولئك كان الياس باشا أمير الذي قيل عنه أنه كان متواطئا مع المهدي من قبل <sup>١</sup> .

وكان محمد سعيد باشا حاكم دار غرب السودان قد حصن المدينة بخندقين وكان لديه نحو الستة آلاف من الجنود النظامية والباشبوزق ، وقد هزم الانتصار في أول هجوم لهم على مدينة الأبيض وكان يوم ٨ سبتمبر ١٨٨٢ ومات منهم نحو ١٠٠٠٠ قتيلاً بينهم أخو المهدي محمد وعبد الله وقاضيه أحمد ود جباره ولعل السبب في هزيمتهم أنهم تركوا الأسلحة النارية الثقيلة خلفهم في منطقة الكواليب فبعث المهدي لأحضرها . وأحكم المهدي الحصار وأباد المدد الذي أرسل للأبيض وباراه من الجنود ، ولما علم عبد القادر بشدة الحصار

---

١ شبكة : عبر القرون : ص ٢٣٢-٢٤٠  
أيضا : Theobald : p. 39-42

على بارا والابيض وهم بالقضاء على النجدة التي ارسلها كتب الى مصر يطلب  
 مزيدا من الجهد ويحذر من فقدان السودان ان لم تجب مصر بارسال نجدة ولكن  
 المهدي لم يمهّل عبد القادر حلمي فقد سقطت بارا في يد النجوى في ٥ يناير  
 سنة ١٨٨٣ م ولما أحست الابيض بسقوط بارا انهارت معنويات الجند فيها  
 فسلموا للمهدي بعد ان اشتد عليهم الحصار حتى اكلوا المحرمات وتم تسليم الابيض  
 في ٧ يناير ١٨٨٣ م وارغم محمد سعيد باشا على اخراج كل خفي من المال  
 والسلاح وقتل سعيد وبعض اعوانه فيما بعد . ولم يبلغ خبر سقوط الابيض وبساره  
 الحكومة المركزية بالخرطوم الا بعد نحو شهر<sup>١</sup> .

في الرابع من مارس ١٨٨٣ م بدأ عهد جديد باعلان علاء الدين  
 باشا حكامدارا على السودان واستدعاء عبد القادر حلمي الى مصر وارسل مع علاء  
 الدين باشا نيازى باشا وهكس باشا وكان ثلاثتهم مفوطا بهم امر قيادة حملة جديدة  
 للقضاء على المهدي وكان الكولونيل هكس انجليزى الجنسية وكان ينبغي ان يكون  
 القائد الفعلى للحملة المزمع ارسالها رغم صغر مرتبته العسكرية عن زميله<sup>٢</sup> . وقد  
 جر هذا التكوين الى خلاف بين نيازى وهكس في بداية الامر فنقل نيازى حكامدارا

---

Theobald : p. 39-42

١

Ibid : p. 42

٢

على البحر الاحمر ، ثم امتد الخلاف الى علاء الدين وهكس فكان علاء الدين يسرى  
ان تذهب الحملة الى المهدي في كردفان وهكس يرى ان المسافة ستترقى الحملة  
ومن الخير ان تدافع عن الخرطوم واخيرا انتصر رأى علاء الدين فوجهت الى كردفان  
حملة من اكثر من عشرة آلاف من الجنود . وقد سارت الحملة عن طريق الدويم  
فلقيت كثيرا من المشقة من السكان الذين لم يتعاونوا معها بل فروا من طريقها  
حسب ارشاد المهدي وقد دفنوا جميع الابار الموجودة في الطريق ولقيت الحملة عنقا  
كثيرا من فقد ماء الشرب والمرعى لركائبها ولقيت عنقا اشد من طلائع المهدي التي كانت  
تهاجمها على البعد فلا تعطى الجنود فرصة للاستجمام او النوم وقد كان لمنشورات  
المهدي التي يطلقها بين جنود الحملة اثر عظيم في تثبيط همهم وحط معنوياتهم ،  
ان هددهم بالموت على سوء الخاتمة ، وانهم لاشك ميتون وان لقيهم بفرد كذا  
خبره سيد الوجود - في زعمه - وان لمثل ذلك اثرا عظيما في نفوس جنود  
مسلمين ، فدب السام والياس في نفوسهم ، واخيرا التقى المهدي بهكس وجنوده  
في شيكان واباد الحملة عن اخرها وقد كانت آخر قوة من الجنود النظامية تملكها  
الحكومة . كانت المعركة في ٥ نوفمبر ١٨٨٣ م ولم يبق من جنود هكس الا مائة  
او مائتان اخذوا اسرى اما هكس وعلاء الدين فقد قضى عليهما ولم يبلغ الخبر

الخرطوم الا في اواخر ديسمبر سنة ١٨٨٣<sup>١</sup> .

أما في دارفور فقد جمع مادبو جيشا كبيرا من حوله ، وكتب الى سلاطين ينصحه بالتسليم لما كان بينهما من سابق المودة ، ولكن سلاطين أصر على الحرب . وكان أول عمل حربي قام به مادبو ان قضى على حامية شاكلا ، وغنم سلاحها في ٢٠/٧/١٨٨٢ م ، وأول واقعة التقى فيها بسلاطين كانت واقعة ام وركات في اواخر اكتوبر من نفس العام ، وقد هزم فيها سلاطين ، وبعد هزيمته أصبح سلاطين يعاني من امرين : عصيان الجنود كما حدث من حامية دارة التي حكم بقتل جندها جميعا فقتلوا ، ثم من اعتقاد الجنود بأنهم لاريب مهزومون لان قائدهم مسيحي ، واضطر اخيرا سلاطين الى اتخاذ حيلة لرفع معنويات جنوده ، ان أعلن فيهم انه قد اسلم ، ففرح الحساكر بذلك وعادوا الى طاعته . وظل مادبو يناوش سلاطين فالتقى به مرة في كرشو واخرى في واقعة البويرة .

وكان مدير دارة محمد خالد زقل ابن عم للمهدى ، فلما علم سلاطين بأن بينه وبين المهدى مكاتبات سرية ذهب اليه واتفق معه على ان يذهب للمهدى ليخبره بأن دارفور لاتمانح في التسليم له ، ان رأى من المهدى منعة وقوة ،

Theobald : p. 48-63

أيضا : شبكة : عبر القرون : ص ٢٤١-٢٤٢

ومن ناحية أخرى اذا قضى هكس على المهدي فان سلاطين سيفسفع لزقل ولكن لما رأى زقل ماصار للمهدي من سلطان لم يهتم لاتفاقه مع سلاطين ، وبعد شيكان عيسن المهدي زقل اميرا على دارفور ، فسلم له سلاطين بغير حرب في ٢٣ ديسمبر ١٨٨٣م . ثم سلمت حامية كيكابيه ، ولم يلق زقل مقاومة الا من حامية الفاشسر التي رفضت التسليم فاضطر لحصارها حتى مات كثير من الجنود واهل المدينة عطشا وظلوا في قتال مع الحامية طيلة مدة الحصار حتى اضطر قائدها السيد بك جمعه الى التسليم في ١٥ ربيع اول ١٣٠١هـ / ١٣ / ١ / ١٨٨٤م .

واخيرا سلم السلطان دود بنقه الذي كان مقيما بجبل مرة هو واتباعه وذلك في سبتمبر ١٨٨٤م .<sup>١</sup>

وامتدت اثار الثورة حتى وصلت بحر الغزال ، وكان لبتن بك مديرا عاما على بحر الغزال ، ويساعده ساتوك مديرا ، ثم محمود المحلاوي مفتشا عاما لمضج تجارة الرقيق . بدأت الثورة في بحر الغزال بتدمير قبائل الجانقي الذي بدأ في اوائل ١٨٨٢م ، وقد هاجر بعضهم وباع المهدي ، ثم تدمر التجار الدناقلة الموجودون في بحر الغزال ، وانتهت قصة التدمير في بحر الغزال بأن



أرسل المهدي إليها جيشاً بقيادة كرم الله الشيخ محمد - وكان أحد التجار الذين فروا إلى المهدي ، وفي ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٠١هـ / ٢٢ أبريل ١٨٨٤ م سلم لبتن الحامية إلى كرم الله ودانت بحر الغزال للمهدي أيضاً<sup>١</sup> .

أما شرق السودان فقد بعث إليه المهدي برجل قدير من قبائل البجة ، ذلك هو عثمان دقته<sup>٢</sup> . ومن المشاكل التي واجهت عثمان دقته أول ما اتجه إلى الشرق أنه وجد معارضة من المرافقة مشايخ الطريقة الختمية ومعظمهم في مديرية كسلا ، لكنه وجد سنداً عظيماً في الشيخ الطاهر المجذوب شيخ الطريقة الشاذلية . اتخذ عثمان دقته سنكات مركزاً له وتجمع حوله كثير من رجال البجة ، وفي الخامس من أغسطس ١٨٨٣ م قاد أول هجوم له على سنكات فردته الحامية وجرح عثمان دقته نفسه وفقد عدداً من رجاله وتعرف هذه بواقعة أوكاك ، وهاجم عثمان دقته مرة أخرى مائتين من جنود الحكومة ولكنه هزم للمرة الثانية في طريق أركويت<sup>٣</sup> في خورقيان ١٢ القعدة / ١٤ سبتمبر من نفس العام .

١ شقير : ص ٧٣٥-٧٤٣

٢ كان عثمان دقته يتاجر مع اخوته بين جده وشرق السودان يعمل في تجارة الرقيق وغيرها من السلع وفي سنة ١٨٧٧ م قبضت على تجارتهم سفينة انجليزية حربية فصادرت تجارتهم وذهب رأس مالهم واضطر عثمان دقته للذهاب إلى بربر بعد أن قضى بعض الوقت في السجن ، ومن هناك اتجه إلى المهدي والتقى به بعد سقوط الأبيض مباشرة فأمّره المهدي على الشرق وأرسله لينشر الثورة هناك . انظر : Theobald : p. 64  
Ibid : p. 65

ثم نقل المدير توفيق بك مدير سواكن ليحل محله نيازى باشا الذى اختلف مع هكس وكانت فاتحة عهد نيازى أن قضى عثمان دقنه على مائة وستين من جنوده وهم فى طريقهم لانقاذ حامية سنكات ولم يبق من الجنود الا خمسة وعشرون وغنم عثمان دقنه ماكان معهم من السلاح وكان ذلك فى ٢٦ اكتوبر / ٢٣ الحجة • ثم ظل عثمان دقنه محاصرا سنكات وقطع الخط بين حاميات الحكومة الموجودة فى منطقة البحر الاحمر كلها •

وقد حاول نيازى باشا امداد طوكر بخسمائة جندي لانقاذها ورفع الحصار عنها فارسلهم فى باخرة انزلتهم فى ميناء صغير يعرف بترنكات ، ولكن رجال عثمان دقنه التقوا بهم فى موقعة الساحل الاولى وبادوهم وغنموا كثيرا من السلاح ، ولم ينج الا من فر الى الباخرة ، وقتل فى هذه الواقعة منكرىف القنصل البريطانى بسواكن ، وكان ذلك فى الرابع من محرم سنة ١٣٠١ هـ / ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ م •

• ولما أحست مصر بسوء الموقف فى البحر الاحمر رأت أن ترسل حملة من قوات الجندرمه لانقاذ حاميات البحر الاحمر ، ولكن الجندرمه تمردوا على الذهاب

للقتال في السودان ان لم يكن ذلك واجبه ولكنهم حملوا حملا على السفر، وبذلك الروح وصلوا الى ترنكات يقودهم بيكر باشا اخو السير صمويل بيكر ويبلغ عددهم نحو ٣٦٠٠ جندي ، وهناك التقوا بقوات المهدي فهزمتهم شر هزيمة في وقعة الساحل الثانية وابادت منهم نحو الفين في العاشر من ربيع الثاني سنة ١٣٠١هـ / ٨ فبراير ١٨٨٤م وبعد مضي خمسة عشر يوما من ذلك التاريخ استولى الانصار على طوكر ايضا .

ولما رأى الانجليز انتصارات دقته امروا الجنرال استيفسون بارسال قوة بقيادة الميجر فراهام ، ولما وصل فراهام الى سواكن علم بسقوط طوكر ، فقرر ان يرد شرف الامبراطورية بالقاء ضربات قاسية على عثمان دقته فالتقى به في ثلاث وقائع : في واقعة الساحل الثالثة في اول جماد الاول سنة ١٣٠١هـ / ٢٩ فبراير ١٨٨٤م ، وهزمه وزحزحه عن طوكر ولكنه لم يحتلها ثم في تمای في ١٤ جماد اول / ١٣ مارس ، ولخيرا اخذ قرية عثمان دقته تمانيب في ٢٨ جماد اول / ٢٧ مارس ، وعاد بمفرده الى سواكن وظل عثمان دقته محتفظا بسنكات وطوكر ومسيطر على طريق سواكن - بربر ، وبقيت سواكن وحدها في ايدي القوات المصرية<sup>١</sup> .

ان القضاء على حملة هكس في شيكان ترك نوعا من الحيرة على مصر وانجلترا  
 معا ، فشل تفكيرهما حينما من الزمن ، وقد أثرت حكومة جلالة الملكة في بداية أمرهما  
 واعتزال امر السودان ، ولكنها ما لبثت ان رجعت عن ذلك القرار بحجة ان احوال  
 مصر المالية لن تمكنها من الاحتفاظ بالسودان والقضاء على الثورة فيه ورأب ما حدث  
 له من صدع من جراء العراك الطويل ، فحمل المعتمد البريطاني الحكومة المصرية  
 على قبول فكرة اخلاء السودان من الحاميات والجنود المصرية فاستقال رئيس  
 الوزارة المصرية شريف باشا لانه لم يكن موافقا على الاخلاء — استقال في ٧ يناير  
 ١٨٨٤ م وفي اليوم التالي خلفه نوبار باشا والتزم بتنفيذ سياسة الاخلاء<sup>١</sup> .

فكرة الاخلاء جعلت مصر امام حيرة اخرى في وسيلة تنفيذ الاخلاء ومباشرة  
 فاقترحت عليها بريطانيا الاستفادة من غردون<sup>٢</sup> في ١٦ يناير فقبلت مصر استخدام  
 غردون ولكن مهمة غردون كانت غامضة منذ البداية ، فقد كانت حكومة جلالة الملكة

١ شبيكة : عبر القرون : ص ٢٤٨ وما بعدها

أيضا : Theobald : p.p. 67 f.f.

٢ غردون سبق ان استخدمه الخديوي حكاما على السودان لمدة عامين منذ  
 ١٧ فبراير ١٨٧٧ م وأهم عمل قام به في تلك الفترة محاولة وقف تجارة  
 الرقيق — وكان قد أعطى كل السلطات المدنية والعسكرية في السودان —  
 لهذا لم يكن غريبا استخدامه مرة اخرى \*  
 انظر : شقير : ص ٦٠٥

ترى أن مهمة غردون استشارية عن الحالة في السودان يعد حولها تقريراً يرفعه إلى مصر وإنجلترا ويعود ولكنها أضافت أنه يمكنه القيام بأية أعمال أخرى يكلفه بها الخديوي ، وسرعان ما تحول ذلك الفهم عند غردون فاعتبر مهمته تنفيذية ، وأن عليه أن يقوم بإخلاء السودان وهكذا أيضاً كانت تفهم مصر ، ووصل غردون القاهرة وغادرها في ٢٦ يناير ١٨٨٤ م متوجهاً إلى السودان ووصل بربر في الحادي عشر من فبراير / ١٨٨٤ م ومن هناك اتضح الأمر الذي جاء إليه بأنه سيخلي السودان ويضعه في أيدي أهله ، وكان هذا الإعلان خيبة أمل لكل مؤيد للحكومة وصرف كثيراً من الناس عن تأييدها إلى تأييد المهدي اتقاء لشربه وضماناً للسلامة<sup>١</sup> .

وصل غردون الخرطوم في ١٨ فبراير ١٨٨٤ ، ولكن لم يكتمل على مكتبه بالخرطوم شهر واحد حتى بدأ الانتصار يحاصرون الخرطوم إذ كان المهدي قد قرر التوجه إلى الخرطوم بعد الاستيلاء على الغرب وأوفد عنه بعض قادته لحصار الخرطوم مثل أبي قرجه الذي استلم فداسي من صالح الملك ثم توجه إلى الخرطوم كما أنه كتب إلى بعض رجاله في الجزيرة ونواحيها لأحكام الحصار على الخرطوم

---

١ شبكة : عبر القرون : ص ٢٤٨  
 أيضاً : Theobald : op.cit. <sup>pp. 67-68</sup>

فقصد الشيخ العبيد ومحمد الطيب البصير وآخرون لحصار الخرطوم وكان ذلك قبيل  
منتصف مارس ١٨٨٤ م<sup>١</sup> .

وقد عزل ذلك الحصار غردون عزلا تاما عن الدنيا لاسيما حينما سقطت بربر  
في يد الشيخ محمد الخير في ١٩ مايو ١٨٨٤ م ، فأصبح في حيرة لاتدانيها حيرة  
لاتعرف مصرولا انجلترا شيئا عنه ، ولخيرا وتحت ضغط الراى العام الانجليزى  
والبرلمان قررت حكومة فلادستون اعتماد ثلثمائة الف جنيه لانقاذ غردون واعداد حملة  
لذلك الغرض<sup>٢</sup> .

وفى غرة رمضان ١٣٠١ هـ / ٢٥ يونية ١٨٨٤ أمر المهدي ود النجومى  
على جميع المحاصرين للخرطوم فتحرك من الرهد بجيش يبلغ الاربعة آلاف جنديا  
مسلحين بالاسلحة النارية فوصل الخرطوم فى اوائل سبتمبر . ولما وصل النجومى  
خاطب غردون ولكن غردون لم يستجب ولم يدر فى خلداه ان يسلم المدينة قط ، وفى  
٢٩ شوال / ٢٢ اغسطس تحرك المهدي من الرهد غازيا الخرطوم حتى حل فسى  
ابى سعد بام درمان فى ٢٨ الحجة ١٣٠١ / ١١ اكتوبر ١٨٨٤ م ، وفى هذا الاثناء

١ انظر : الباب الرابع : الفصل الثانى : ص ١٩٨

٢ شبكة : عبر القرون : ص ٢٤٨ وما بعدها

ايضا : Theobald : p.p. 67 f.f.

ايضا : شقير : ص ٧٩٠

كانت حملة الانقاذ المذكورة اعلاه فى طريقها الى الخرطوم ، وظل المهدي يخاطب  
 غردون بلهجة لينة يدعوهم الى الاسلام والتسليم ويخاطب اهل الخرطوم بالتسليم  
 ويحذرهم من سوء المصير . ولقد تسلل الى المهدي كثيرون من اهل الخرطوم من  
 فرط ضغط الجوع والضغط النفسى <sup>١</sup> .

وفى ٢٠ يناير بلغ المهدي هزيمة الانصار فى ابى طليح على يد فرقة  
 الصحراء التى انفصلت من الحملة وجاءت عبر الصحراء تاركة بقية الحملة تأخذ طريق  
 النيل ، وهنا ادرك المهدي خطورة الموقف اذا وصلت الحملة ، وان اقل نتيجة  
 له ستكون فقد كثير من الانصار ان لم تكن هزيمة الانصار - وكان المهدي منتظرا  
 من غردون التسليم حقنا للدماء وقد ظل غردون يماطله املا فى الفرج - واخيرا  
 صمم المهدي على الهجوم وترك تنفيذه لقائديه النجومي وابى قرجه ، ولما كان فجر  
 السادس والعشرين من يناير هاجم الانصار المدينة من ناحية النيل الابيض الجنوبيه  
 وكان بالاستحكامات ضعف هناك ، يقال ان احد ضباط غردون افشى سره للمهدي  
 واخذت المدينة عنوة واقتيل غردون رغم ان المهدي كان يريد حيا ، وسقطت  
 البلاد كلها فى يد المهدي ماعدي بعض الحاميات التى قضى عليها فيما بعد

---

١ شقير : ص ٨١٧ ، ٨٢٤ ، ٨٤٦ وما بعدها .

ووصلت الحملة بعد يومين من سقوط الخرطوم ولما نظرت البواخر على البعد ولم تر العلم الانجليزى على السراى ادركت ان كل شىء قد انتهى ورجعت القهقرى وجلا الانجليز حتى عن دنقلا التى احتلها محمد الخير بعدهم فاصبحت تابعة للدولة المهدية<sup>١</sup> .

اعتمد المهدي فى تركيز دعوته فى بادىء الامر على الدعاية المكتوبة التى تميزت بصفتين صفة الانذار والتحذير لمخالفيه ، وصفة الترغيب والحديث عن ان امره ربانى من قبل الرسول فى الحضرة النبوية التى شهدها الاولياء الصالحون ، فكان كل من دخل فى المهدية بعد التبليغ والانذار يربط فيها بالعهد والبيعة التى كانت لها صيغة معينة<sup>٢</sup> .

كان المهدي هو الرجل الاول منذ البداية ، وكانت له السيطرة الفعلية ولم يكن رأسا رمزيا فقط ، وكان الخليفة بعده فى المنزلة ، فبعد سقوط الخرطوم اثر المهدي ان يحتزل السياسة العملية فأوكل الامر الى سبعة من أصحابه اسماهم الامناء ، وجعل احكامهم تسرى فى جميع الامور بعد ان يجيزها الخليفة عبد الله

١ شبكة : عبر القرون : ص ٢٩١-٣٠٢

Holt : Mahdist State : p.p. 98-101



فتختم بختم المهدي<sup>١</sup> .

أما نظام المهدي المالي فقد انشأ المهدي منذ عهد قدير بيتا للمال وفي جماد الآخر ١٣٠٠ هـ / أبريل مايو ١٨٨٣ م عين احمد سليمان المحسى أمينا لبيت المال وكان يغذي بيت المال من الغنائم في بداية الامر ، ولقد أصاب الانصار غنائم كثيرة بعد وقعة الشلالى وراشد وبعد فتح الابيض ، وخطر ما كان يواجه المهدي حربه لمحاولات الانتفاع الفردي بالغنائم فقد كان يريد ان تذهب الغنيمة لبيت المال او ماتبقى منها بعد خمس المهدي ، ومن بيت المال يصرف للأفراد حسب الحاجة ولصدر المهدي اوامر مكتوبة في عدم اخفاء الغنائم وحذر من ذلك . ولقد فرض المهدي الزكاة على القبائل بعد سيطرته على رقعة اوسع من الارض وكانت تؤخذ الزكاة حسب القواعد والمقادير الشرعية .

أما تشاريح المهدي فقد كان يحاول ما امكن ان يأخذها من الكتاب والسنة مصدرى الشريعة الاسلامية ولكنه احيانا كان يجد نفسه مضطرا الى اعمال رايه في بعض المسائل وفي امثال هذه الحالات كان يتحدث كالموحي اليه ويزعم ان سيد الوجود اخبره بكذا وكذا . وللمهدي تشريعات في الارض وملكيتهـا ،

ووضع المرأة الاجتماعى وغيره وفى أشياء اجتماعية اخرى كالاسراف فى المهور والنواح والحويل فى العاتم وليس الحلى وغير ذلك <sup>١</sup> .

توفى المهدي فى التاسع من رمضان ١٣٠٢ هـ / ٢٢ يونيه ١٨٨٥ م ، بعد مرض لم يدم معه اكثر من اسبوع - لعلة الحمى الشوكية او التيفود - فبويح الخليفة عبد الله من بعده من غير اشكال ، وقد بدأ بمبايعته بقية الخلفاء ثم اصحاب المهدي من كبار الزاده والمقربين والاشراف ثم تلقى بيعة الناس عامة ممن حضر ، وقد خلف المهدي لعبد الله تركة مثقلة بالمشاكل ، فلا تزال حاميات سناروكسلا وسواكن تقاوم ، والحدود الشرقية والشمالية لم تكن فى سلام مع النظام الجديد فى السودان وان لم تظهر معارضة فعلية \* والوضع الداخلى لم تتضح حقيقته بعد للخليفة من حيث ولاء القبائل والاشراف ونحوهم .

لقد كان المهدي مقدسا فى نظر المعتقدين فيه وكان احترامه قائما على تلك القداسة ، فكيف يكون امر الخليفة من بعده ، ان الخليفة قد اخذ يحتاط لنفسه ، فاستدعى اهله من البقارة ليتخذ منهم درعا ضد اعدائه ، فى الداخل فما ان حل عام ١٨٨٢ م حتى كان البقارة فى جوار الخليفة ، وبحلول نفس العام ايضا التقى الخليفة بأولى المشاكل القبلية وهى تمرد صالح فضل الله سالم شيخ

الكتابيش يسنده قومه ، ثم ثورة المرضى لى روف ورجاله من رفاة الهوى ، وفى يونيه من نفس العام أيضا استقبل الخليفة مشاكل معقدة فى الغرب بدات بخروج محمد خالد زقل متوجها بجيشه الى امدرمان ، ليسند الخليفة محمد شريف ضد الخليفة عبد الله لاختذ السلطة من الاخير ، وخرج على الخليفة ايضا السلطان يوسف الذى تركه زقل حينما غادر دارفور ، وكان يؤيد السلطان يوسف زايد سلطان جبل مرة . ولخطر من اولائك فى الغرب كانت ثورة ابي جميزة <sup>١</sup> .

لما فيما يخص الحاميات فقد سقطت كسلا وسنار فى يوليو واغسطس ١٨٨٥ م على التوالي ، اما الاشراف فقد كانت لهم قوة تتركز فى جيش الخليفة شريف وقيادات مثل قيادة محمد عبد الكريم <sup>٢</sup> ومحمد خالد زقل ولكنه الخليفة عبد الله جردهم من كل جندى وسلاح وزج ببعضهم فى السجون فضى على كل آمالهم اما زقل فقد قبض عليه ابو عنجه فى الابيض وجرده من جيشه وارسله الى الخليفة فى اوائل ١٨٨٦ م <sup>٣</sup> .

١ شقير : ص ٨٣٥

أيضا : Theobald : p.p. 140-50

٢ أنظر : ص ٩٤-١١٤

٣ أنظر : شقير و Theobald : المرجعين السابقين

وفى اوائل عام ١٨٨٢ م قبض على صالح الكباشى وقتله ، وكذلك المرضى ابو روف قبض عليه وشنت شمل رجاله وسبيت نساؤه هم واخذت اموالهم غنيمة <sup>١</sup> وفى منتصف ١٨٨٢ م قضى على السلطان يوسف والمطان زايد فى دارفور ، وفى اوائل فبراير ١٨٨٩ م تم القضاء نهائيا على ابي جميزة الذى كان جانب الخطورة فى ثورته انهما انتهجت نهجا دينيا فالتف حوله كثير من الاتباع وبالقضاء على هؤلاء الخارجيين انتهى الخليفة مما كان يهدده من خطر داخلي .

اما على الحدود فكان الخلاف بينه وبين الحبشة خلافا عقديا فقد كان يكتب الى الملك يوحنا ان يسلم ويدخل فى المهدية ولكن كبرياء الملك يوحنا ابي الا ان يوجه هجوما الى دولة المهدية فى اوائل عام ١٨٨٢ م فجرد اليه الخليفة حملة بقيادة ابن عمه يونس الديكم الذى ظل يلحق الهزائم بالاحباش حتى بلغ اسراهم نحو الالف ، واستمرت الحرب بين الحبشة والخليفة ولم تشهد الحدود الشرقية منذ ١٨٨٢ م حتى ١٨٨٩ لم تشهد هدنة الا جانبا من عام ١٨٨٨ م ، ومن اهم قادة المهدية الذين اشتركوا فى تلك الحروب حمدان ابو عنجة الذى مات فى الانقلابات فى مطلع ١٨٨٩ وقد توغل ابو عنجه فى الحبشة وعاد بكثير من الاسلاب والاسرى ولم يكن موته فى الحرب وانما كان من جراء مرض أصابه ، وخلفه

---

١ لمزيد التفصيل عن ابي روف ورفاعة انظر ص ١٨٥-١٩٣

على القيادة الزاكي طمل الذي لختتم تلك المعارك بهزم الاحباش وقتل الملك يوحنا  
 في مارس ١٨٨٩م وقد شهد هذا العام قمة انتصارات الخليفة وقمة عظمته وسلطانه<sup>١</sup> .  
 ولكن تلك الانتصارات لم تستمر طويلا ، فقد شهد نفس العام بداية انحطاط  
 دولة الخليفة ، واول مظاهر الوهن تجلت في امرين في هزيمة حملة النجومي التي  
 بعث بها الخليفة الى مصر للاستيلاء عليها في اول يوليو ١٨٨٩م وكانت حملة  
 ضخمة تتكون من نحو ٥٠٠٠ مقاتلا ، يسير في ركابهم عدد من الاتباع من النساء  
 والاطفال نحو ثمانية آلاف وقد سارت تلك الحملة بالشاطئ الغربي للنيل ، ومن  
 اكبر المشاكل التي واجهتها الحملة الامدادات من طعام وماء ولما بلغ الجنود الحدود  
 المصرية كانوا قد استنفدوا كل طاقة في الجسد من فرط الجوع وطول المسير ، ولقد  
 منعتهما جيوش الاعداء في الحدود المصرية من ورود الماء حتى مات بعضهم ظمأ  
 ولم يكن القضاء على الحملة اشكالا كبيرا رغم ان الانتصار استماتوا في الحرب حتى  
 قضى على كثير منهم واسر آخرون ولقد وجد النجومي ميتا من ثلاث اصابات من  
 الرصاص ويقدر قتلى الانتصار بنحو الف ومائتين واسراهم نحو اربعة آلاف ، وفر  
 منهم نحو ٨٠٠ جنوبا . ثم النصر للكولونيل كشنر قائد القوات المصرية على

النجومى فى نوشكى فى ٣ أغسطس ١٨٨٩<sup>١</sup> .

وفى مطلع عام ١٨٨٨ بدأت مشاكل الحدود فى ساحل البحر الاحمر وكسلا ،  
ففى ١٢ يناير ١٨٨٨ م هاجم الكولونيل كشنر عثمان دقته فى هندوب نحو ١١ ميلا  
شمال سواكن فهرب عثمان دقته وتقهقر كشنر الى داخل المدينة وجرح كشنر وسافر  
الى مصر واستولى بعده القيادة الميجر شكشير ، وحاول عثمان مرة اخرى حصار  
الحامية بعد ان وصله مدد من ام درمان ولكن سواكن وصلتها امدادات من مصر  
كذلك فخرجت اليه وهزمته هزيمة منكرة فى ١٨ ديسمبر . واختتمت تلك المناوشات  
بسقوط طوكر فى ايدى القوات المصرية فى ١٩ فبراير ١٨٩١ م وتقهقر عثمان دقته الى  
نهر عطبرة نحو ٢٠٠ ميل غربا فذهب جزء كبير من الحدود الساحلية الى ايدى  
القوات المصرية ونزلت قوة عثمان دقته من مركز السيطره الى الهزيمة التامة<sup>٢</sup> .

وزاد الطين بلة فى الشرق احتلال الطليان كسلا فى يوليو ١٨٨٤ م وقد كان  
الطليان استولوا على ارتريا ١٨٩٠ م ولقد حاول الامير احمد ود على القيام بحملات

Theobald : p.p. 158-64

١ أيضا : بابكر بدرى : تاريخ حياتى : الخرطوم ١٩٦١ م : الجزء الاول ١٢٧٩-  
١٣١٦ هـ ص ٤٤-٧١ (فيما يلى : بابكر بدرى)

Theobald : p.p. 165-69

٢ أيضا : شقير : ص ٨٢-١٠٨٨ ، ١١٤٥-١١٥٥

تأديبية على القبائل الارتيرية لانصياعها للطليلان ولكن ذلك دفع الطليلان لاحتلال كسلا  
والى هنا يكون الخليفة قد فقد جزءا من اراضيه كبيرا فى الشمال والشرق وكشفت هذه  
الحدود للاعداء<sup>١</sup> .

ان حدود دولة المهدية شهدت كثيرا من التغير بسبب الحروب الخارجية  
والتمرد ونحو ذلك ، فكانت تزيد وتنقص ، وحتى فى الداخل لم تكن حدود العمالات  
ثابتة ، ان كانت تتغير لاسباب مالية او ادارية او عسكرية الخ ، وكانت العمالات  
تنقسم الى نوعين : العمالات العسكرية وهى التى تخضع لادارة احد القادة العسكريين ،  
والعمالات المدنية وهى التى يكون فى اعلى جهازها الادارى عامل مدنى وتكون تابعة  
راسا للعاصمة ، وكانت العمالات العسكرية تمثل الدرع الواقى للعاصمة من نواحي  
الحدود وهى عمالات دنقلا وشعر سواكن والبحر الاحمر والقضارف والقلابات وعمالمة  
الغرب المكونه من كردفان ودارفور وكان لكردفان وكيل عن عامل عمالة الغرب ورغم  
ان بربر وكردفان لم تكونا على الحدود الا ان النظام الادارى فيها كان عسكريا .  
هذه العمالات كان لكل واحدة بيت مال خاص يتغذى من الضرائب والزكوات  
المفروضة على القبائل اما العمالات غير العسكرية فهى عمالات شرق الاقليم وغربه وحدودهما

من الحلفاية الى حجر العسل الاولى على شاطئ النيل الشرقى والاخرى على الغربى  
 فعمالة البادية الشرقية ، وهى تشمل بدو البطانة وماجاورها ، وعمالة البادية الغربية  
 والجزيرة ، وغرب البحر الابيض وتمتد من امدردمان الى شيشه ثم عمالة شات ، وكانت  
 هنالك عمالات او شبه عمالات متداخلة مع بقية العمالات مثل عمالتي اطيان السفى  
 وعمالة المهاجرين الذين كانوا يزرعون بالجزيرة من البقارة المستجلبين من الغرب <sup>١</sup> .  
 أما ادارة العمالات العسكرية فتتكون من القائد وهو عامل العموم ، وتحت  
 صغار القواد ، فوكيل بيت المال ، فمشايخ القبائل ولعيانها ، فنائب الشرع  
 وكاتب التحريات ومعظم القادة فى عهد الخليفة ومعظم اهل الوظائف الهامة كانوا  
 ينتخبون من البقارة . اما فى العمالات المدنية فكان طاقم الموظفين غالبا ما يتكون من  
 اربعة هم العامل ومهمته تتعلق بجمع المال الى حد كبير ، فقائد الجهدية  
 الذى كان رجاله حرسا وشرطة يوم دون المهمتين معا للعامل ، وكان قادة الجهدية  
 دائما من التعايشة ، ثم امين النقود ثم الكاتب <sup>٢</sup> .

Holt : Mahdist State : p.p. 225-27

ولمزيد من التفصيل عن معنى العمالة كوحدة ادارية انظر ص ١١٧-١١٨

Holt : Mahdist State : p.p. 227-29



لم يكن الخليفة يزور هذه العمالات بنفسه وإنما كان يديرها من أم درمان ولكنه كان إذا دعا الحال يرسل بعض أهل الخير من أصحاب المهدي لحل الاشكالات الكبرى ، وكان هؤلاء الوسطاء أو الحكام يعرفون بأمناء الامناء الواحد منهم أمين الامناء .

كانت أم درمان عاصمة البلاد تعرف بالبقعة ، أو بقعة المهدي ، وأهم ما كان يتركز في العاصمة من رئاسات مرافق الدولة بيت الخليفة ، وبيت الامانة الذي تحفظ فيه ادوات الحرب وآلات صناعتها ، وبيت المال والسجن العمومي ، وكان الخليفة يدير جميع الدولة بما يرى لا يترك امرا لاحد سواه حتى في حالات المرض ، رغم انه كان له بعض المستشارين مثل اخيه يعقوب وابنه عثمان شيخ الدين وبعض عقلاء البقارة ، وأهم الموظفين في الدولة المهدية كان أمين بيت المال وقاضي الاسلام<sup>١</sup> .

أما جيش الخليفة فكان معظمه من الجهدية السود ، الذين كان يقيم ١٢ ألف منهم في العاصمة ، وكان حرس الخليفة الخاص يعرف بالملازمية ، قيادتهم عند عثمان شيخ الدين ، وكانت الجبة المرقعة هي الزي العسكري الرسمي ، أما فرق

الجيش فكانت تنقسم الى رايات على كل راية امير والامير تحته عدد من رؤوس المائه  
(مفردة رأس ميه ) ورأس الميه يرأس نحو خمسة مقادير كل مقدم لديه نحو عشرين ميه  
العساكر<sup>١</sup> .

لما الجانب الاقتصادى فى عهد الخليفة فقد تدهور تدهورا ملحوظا سواء  
اكان فى الزراعة أو التجارة ولعل لصدق شاهد على ذلك مجاعة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ -  
١٨٨٩ م التى عمت جميع اطراف البلاد ، ولعل أسباب ذلك التدهور فى ما يخص  
الزراعة كثرة الحروب التى شغلت الناس عن الزراعة ، وانتشار الاوبئة ، وفوق ذلك  
فقد فشل الخليفة فى حماية الزرع من هجمات الجنود وغيرهم ممن ينقسمون الى  
الدوله فكان ذلك عاملا مشبطا لهمم الزرع<sup>٢</sup> .

لما التجارة فقد تأثرت بنظرة الخليفة الشيقة التى جعلته يعتبر العالم  
خارج حدود المهدية دار حرب ، ويعادى كل جبرته ، فتعطل بذلك النشاط  
التجارى وان لم يمت نهائيا ، وهناك عامل هام ايضا اثر فى النشاط التجارى  
اثر عكسى وهو ارتفاع الضريبة الجمركية على التجارى الى ١٠ % وكان سابقا - قبل  
عهد النور الجريفاوى امين بيت المال - يؤخذ منهم ٢ % وهو الزكاة الشرعية .

Theobold : p. 178

Holt : Mahdist State : p. 235

Theobold : p. 172

أريينا :

وكانت عملة الخليفة المحلية سيئة في ماداتها وقيمتها وكانت البلاد تتداول عملات مختلفة غير عملة البلاد الرسمية يعنى ذلك ان العملة لم تكن موحدة القيمة فكان ذلك سببا من اسباب خمول السوق وكساد التجارة <sup>١</sup> .

كان دخل دولة الخليفة من مصادر مختلفة منها اطيان الفى\* والزكــــــــــــــــوات والمشاريع والجزائر ، وجنائن الخرطوم ، والاموال المصادرة ، والغنائم والتبرعات ، والصمغ وغير هذه ، وكان هذا الدخل يوزع <sup>بين</sup> بيت مال الملازميه الذى انشىء ١٨٩٤ ، وهذا يعتمد اساسا على دخل زكوات الجزيرة ، ثم بيت مال خمس الخليفة وهو المعروف ببيت مال الفى\* وهو خالص بالخليفة انشىء سنة ١٨٩٥ ، ثم بيت مال العموم ، ثم خزانة الحرب وخزانة الشرطه وهاتان صغيرتان <sup>٢</sup> .

اما النظام القضائى فكانت تاتى فى قمته محكمة الاسلام التى تتكون من قاضى الاسلام ووكلائه ، وتنظر فى القضايا العامة - التى تخص الدولة - والقضايا الفرديه الخاصة ايضا ، كما ترفع اليها الاستئنافات من العاصمة والاقاليم ، وللاقاليم محاكم ايضا يعرف قضاتها بنواب الشرع وكانت هناك محاكم صغيرة فى اهدرمان كمحكمة

Holt : Mahdist State : p. 236

Ibid : p.p. 238-40

السوق وتتكون من نائبى شرع وعدد من مصلحي السوق ، وتنظر فى قضايا الشرطة ، ومحكمة بيت المال وتنظر فى القضايا المالية ، ولم يكن القضاء مستقلا بالحق وإنما كان يقف حيث يكون هو السلطة سواء فى العاصمة أو الأقاليم<sup>١</sup> .

منذ مارس ١٨٩٦ بدأت إنجلترا تعيد النظر فى امر السودان ، فقررت إرسال حملة لاسترجاع دنقلا ، وطلت إرسال تلك الحملة بحجة أنهم يريدون أولا مساعدة الطليان فى كسلا ضد الاحباش ، وثانيا يريدون توسيع حدود مصر الجنوبية ، والتخلص من هجمات الدراويش ، التى بدأت تترى على الحدود المصرية منذ سنة ١٨٨٩ ، ولقد كانت صوارده آخر حدود الانصار الشمالية بعد توشكى كان يقيم فيها الامير حموده ادريس على رأس حملة وكان هو تحت ادارة محمد ود بشاره عامل عموم دنقلا ، تقرر ان يقود الحملة كشنر باشا ، سردار الجيش المصرى ورصد للحملة نصف مليون من الجنيهات ، وكانت حملة ضخمة وقد انفلحت فى احتلال شمال السودان حتى موى ووضع حاميات لحراسته بعد ان التقى مع الانصار فى معارك دامية هزم الانصار فيها جميعا ، وفى ٧ يونيو / ١٨٩٦ م

حدثت بينهم واقعة في فرقة ثم أصيب الجيش بوباء الكوليرا ، الذي أخرج مسيرها

حتى التقى بالانصار في ١٨ أبريل ١٨٩٨ وأسر الأمير محمود وأحمد .

وبعد موقعة النخيلة عرف الخليفة أن الجيش لا محالة أت إليه فأعد العدة

للغناء فبنى الطواشي على النيل وجمع بقايا جيوشه فأصبح لديه ماينوف على الستين

الفا ، وحاول الخليفة وضع الغام في النهر لتدمر الواهورات ولكنه لم يفلح ، ولما

١ شقير : ص ١١٨٩ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ - ١٢٢٣

أيضا : شبكة : عبر القرون : ص ٣٥٥-٣٦٨

قرب كشنر من البقعة رفع نظارته فرأى جيوش المهديّة من فرسان ومشاة تدب دبيب النمل ، فبدأ يقصف أم درمان بالقنابل فأصاب بعض الطواشي وأصاب رأس قسيمة المهدي وأخيراً رأى أن ينتظر جيوش المهديّة ظاناً أنها متحركة نحوه ، وعند كبرى وقت وأبورات صفاء على النيل ، وأحاط بها جنوده في هيئة قوس وتره الوابورات وظلوا ساهرين الليل كله ينتظرون الهجوم ، ولكن جيوش المهديّة لم تتحرك حتى صلى الأنصار الصبح مع بزوغ الفجر واندفعوا نحو العدو فأطلق العدو فيهم نيرانه والرصاص يحصد الأنصار صفاء صفاء وهم يتهافون نحوه كالفراس ، وكان الأنصار قد أعدوا كمينا بين تلال كبرى أوشك أن يفتك بقوة الفرسان من الجيش المصري لسولا ثباتها وإغاثة بقية الفرق لها ، وانجلت المعركة عن نصر لجيش مصر في الثاني من سبتمبر سنة ١٨٩٨ م .

أما الخليفة فإنه قد أخذ أهله وبعض خلصائه وفر إلى الغرب واستباح الجيش أم درمان ثلاثة أيام ، ورفع العلمان الإنجليزي والمصري على أطلال المراسي ، رغم تدمير الجنود المصريين ، وآخر ماتبقى من جيوش الخليفة كان جيش أحمد فضيل الذي قضى عليه بعد سقوط أم درمان وتتبّع السردار تحركات

الخليفة حتى علم بمكانه في ام دويكرات فبعث له ونجت باشا على رأس حملة  
 قضت على الخليفة ومن كان حوله من الانصار المخلصين والجنود بعد ان افنوا آخر  
 مالدتهم من طاقة في المقاومة واسدل الستار على قصة دولة حكمت البلاد نحو  
 اربعة عشر عاما<sup>١</sup>.

---

١ شقير : ص ١٢٦٩-١٢٩٢  
 ايضا : شبكة : عبر القرون : ص ٣٦٨-٣٧٤

## الباب الثاني

### الغزو المهدوي للجزيرة ١٨٨١-١٨٨٥م

ويحوي الفصول التالية :

(١)

#### وقائع الثورة الاولى وانتشار المهدية

(٢)

#### حصار سننار وسقوطها

(٣)

#### الشقاق بين الخليفة ومحمد عبد الكريم



### وقائع الثورة الأولى

ثم الغزو المهدوي للجزيرة - من حيث الفكرة والثورة - تدريجيا ولكنه انتظمها كلها في اواسط عام ١٨٨٥ م . والنشاط المهدوي الذي اتى بنتائج مثمرة واضحة في الجزيرة انما كان جله بعد هزيمة الشلالى في قدير ، ان أخذ كثير من أهل الجزيرة يتوافدون الى المهدي في قدير ببايعونه ، من أمثال عبد الرحمن النجوى ، الذي كان من أشهر تجار الرقيق بالمسلمية ، والشيخ حمد النيل الريح العركي ، والشيخ الشريف محمد الامين <sup>١</sup> .

أما نشر الدعوة في الجزيرة فقد كان على مرحلتين : مرحلة المكاتبات مسن قبل المهدي للأفراد والجماعات <sup>٢</sup> - ونتج عن هذا الهجرة الى قدير ، أو مبايعة وكيل المهدي بالجزيرة ، الشيخ محمد الطيب البصير <sup>٣</sup> . ثم مرحلة بث الرسل فسي انحاء الجزيرة المختلفة ، واذكاء نار الحركات السياسية المؤيدة للمهدية ، ومن رسل

Reid : Notes : p. 15

- ١ انظر : منشورات الامام المهدي : تصوير وطبع ادارة المحفوظات المركزية - وزارة الداخلية : الخرطوم ١٩٦٤ ج ١ ، ٢ ، ٣ : في مواضع متعددة .
- ( فيما يلي نشير لها منشورات وانذارات واحكام بالتتالي ) .
- ٢ لمزيد من المعلومات عن محمد الطيب البصير انظر ص ٢٠١-٢١٢

المهدى ود الصليحي وود برجوب ، على النيل الابيض ، بجهة الجبلين والمضوى  
عبد الرحمن واحمد المكاشفى فى داخل الجزيرة ، وقد قاد الثورات كثيرون آخرون  
سنفصلهم فيما يلى .

ان احداث الثورة ووقائعها فى الجزيرة نعتقد انها ذات لونسين ،

احداث تمهيدية ، تبدأ بهجرة احمد المكاشفى وثورة اخيه عامر فى سنار فى السادس  
من <sup>أبريل</sup> سنة ١٨٨٢ م ، وتنتهى بتسليم صالح المك فى فداى فى السابع والعشرين من  
ابريل من عام ١٨٨٤ . طيلة هذين العامين الذين بدأ بأبريل وانتهيا به ظلت  
الجزيرة تشهد صراع قوتين ، قوة فتية نامية ، هى قوة الانصار ، وقوة بلغت ذروة  
جبروتها ومنعتها ولحذت فى الانهيار والانحدار ، تلك قوة الحكومة .

تمثل هذا الصراع فى احداث صغيرة ، انتقلت بين شرق الجزيرة وغربها  
ووسطها ، فكان لها اليد الطولى فى نشر الدعوة المهدوية وتوطيد دعائمها ، كما  
كان لها الاثر الاكبر فى استنزاف طاقة الحكومة وشغل مركز السلطة بها عن الثورة  
فى غرب السودان . واللون الآخر للاحداث هو المواجهة المباشرة لمركز الحكومة  
بالجزيرة اعنى سنار ، والاعتماد فى ذلك على الحصار الطويل الذى تتخلله الهجمات  
أو رد الاعتداءات .

بدأت الاحداث الاولى بعد واقعتى راشد ايمن والشلالى<sup>١</sup> ، اللتين جلبت  
نتائجهما كثيرا من التأييد للمهدي في اطراف البلاد المختلفة ، واكسبت الثوار ثقة  
اعظم .

- كان احمد المكاشفى فقيها من فقهاء الكواهلة ، وهو اول مهاجر للمهدي  
من الجزيرة ، عندما هاجر احمد رأى الحكومة ان فى هجرته جرأة كبيرة على السلطة ،  
٢ التقرير الذى اخذنا منه لم يذكر اى الربيعين هو ولكن شقير اورد ان الواقعة  
كانت فى السادس من ابريل سنة ١٨٨٢ م  
انظر : Cairo Intelligence Department (Cairint) 1/10/53/D3/A  
ايضا : شقير : ص ٦٧٠-٦٧١  
٣ ذكر هولت انه كان بسنار خمسة وسبعين من الجنود النظامية وثلاثة وثلاثون من غير  
النظامية . انظر : Holt : Mahdist State : p. 58

لتغذية حملة الشلالى . سيطر عامر على الموقف ، واستولى على خزانة المديرية فى بادى الامر ، ولكن المدير استرد انفاسه وهاجم عامرا ورجاله ، وطردهم الى غابة الكيوش ، حيث اخذ عامر جريحا الى هناك .

وفى التاسع من ابريل ، من نفس العام اعاد عامر الكرة ، فهاجم الشونة فى شمالى المدينة ، واخذ مافيهما ، وقطع خط التلغراف المؤدى الى الخرطوم ، حتى ارسل الى سنار صالح المك على رأس مائتى جندي ، ففك الحصار عن المدينة ، وفر عامر المكاشفى الى بركة تيقو ، قريبا من سنجة .

فى هذه الفترة كان جقلى رئيس مصلحة التلغراف السودانية حكاما بالانابة ينتظر وصول الحكماء الجديده ، عبد القادر باشا حلمى ، الذى وصل فى الحادى عشر من مايو ١٨٨٢ م<sup>١</sup> . فوجد جقلى فى جولة بالجزيرة ، يحاول تهدئة الاحوال والقضاء على الثورات التى انشأت تظهر هنا وهناك .

وقد اشرف جقلى بنفسه على القضاء على حدثين هامين : الاول ثورة الشريف احمد طه ، وهو احد مشايخ السمانية ، وكان له انصار كثيرون من البطاحيين والشكرية والجعليين والداقلة فى المنطقة ما بين ابى حراز ورفاعة ، وقد جمع الشريف

انصاره اولئك ( عرض مهديه )<sup>١</sup> ، فارسل له جقلم السنجق يوسف الشايقي ، على رأس مائة من العساكر ، ولكن الشريف قضى عليهم جميعا حتى قائلهم . وذهب جقلم بنفسه وظل في ابي حراز حتى انته نجدة من القلايات ، بقيادة البكباشي سرور اف بهجت ، والتقى بالشريف في الرابع من مايو ١٨٨٢ م ، ولكن عساكر الحكومة هزموا ، فاستعان جقلم بالشيخ عوض الكريم ابوسن ، شيخ مشايخ الشكرية ، الذي سار برجاله خلف العساكر ، وهدد كل من يتقهقر بالموت . واخيرا قضوا على الشريف ، واحرقوا قريته ، في السادس من مايو ، وحمل جقلم رأس الشريف الذي الخرطوم حيث علقت للناس آياما<sup>٢</sup> .

وبينما كان جقلم في سنار ، علم بشرة احد فقهاء التكرية ، يدعى محمد زين ، في قرية ابي شوكة ( وتعرف حاليا بام شوكة ) . وتقع ام شوكة على نحو مسيرة سبع ساعات شمال سنار<sup>٣</sup> . امر جقلم بارسال السرسواري على اغا ، على رأس السف

١ ( عرض مهديه ) عبارة كانت تستعمل في ذلك الوقت لتعني ثار مناصرا المهديه - والعرضه اساسا ابداء شعور الفرح بالقفز المتكرر امام الناس .  
حسب تفسير البروفسور مكى شبينة

٢ شقير : ص ٦٧٢-٦٧٣

ايضا : برقية مخابرات بتاريخ ٨ مايو ١٨٨٢ : Cairint 1/3/11/1882/4

٣ بيدوان تقديرات شقير والتقارير العسكرية للمسافات والزمن كانت بحسب المسير على الاقدام ، فقد زرت بعض هذه المناطق ولم ار وجها يحمل عليه التقدير سوى السير على الاقدام .

من الباشيزوق والجنود النظامية ، فهزموه وارسلوا رأسه الى سنار . ثم ذلك فـ  
الخامس والعشرين من مايو ١٨٨٢ م .

وعاد جقلى الى الخرطوم ليخلع اعباء الحكمارية لحلمى باشا ، وكان اول  
شئ بدأ به حلمى فى الجزيرة ان صمم على القضاء على الثورة فيها ، فارسل صالح  
المك ليلاحق عامر المكاشفى بتيقو ، فقام على رأس الف من الباشيزوق والجنود النظامية ،  
فالتقى بعامر ، فهزمه شر هزيمة ، وهرب عامر قاصدا المهدي فى قدير ، بعد ان  
شتت شمل رجاله واسر بعضهم ، واخذ صالح المك الاسرى الى سنار حيث شنعهم  
جميعا . وكانت فى الرابع من يونيه ١٨٨٢ م . واكتشف عبد القادر حقيقة ان  
كتاب سنار كانوا متواطئين مع ود المكاشفى فاغرقهم جميعا فى النيل وكان بينهم  
الوزير ود ضوة الكاتب المشهور<sup>١</sup> .

وتحول مركز ثقل الثورة الى النيل الابيض ، بعد حلول بعض دعاة المهدي  
الذين بعث بهم الى جهة الجبلين ، بعد هزيمة الشلالى . وهم الشيخ المصوى  
عبد الرحمن والشيخان ود الصليحاني وود برجوب .

١ شقير : ص ٦٧٣-٦٧٤

ايضا :

لم يكن المصوى كصاحبه صلبا في اعتقاده بالمهدية ، أمينا على رسالتها .  
 والمصوى من ذرية الشيخ ادريس ود الأرباب المحسى ، وكان المصوى من العلماء  
 الذين درسوا بالازهر الشريف . هاجر المصوى الى المهدي لا لبياعه ، ولكن  
 ليستيقن من حقيقة ما يروى عن المهدي . لكنه لم يكن يجزوه على التصريح بالذي  
 في نفسه . ولما التقى بالمهدي ، واقام عنده ، وعرف حاله ، أصبح في شك وحيرة  
 من امره ، فهو يرى رجلا يدافع عن عقيدة الاسلام ببذل المهجة والمال في  
 سبيلها ، وفي الوقت ذاته يخالف الاسلام في جوانب اساسية . أخذ المصوى على  
 المهدي أنه يكفر جميع الذين لا يؤمنون به وبالمهدية ، علما بأن الايمان بالمهدية  
 عموما ، او بمهدية محمد احمد على وجه الخصوص ، ليس بين اركان الاسلام التي  
 يعرفها العلماء . واخذ على المهدي انه كان يحابي اهله في الخنائم ، ولا يقيم  
 عليهم الحدود ، ولم يكن المصوى يعتقد ان بالمهدي محمد احمد علامة واحدة من  
 علامات المهدي المنتظر .

لكل هذا ، فبعد ان عاد المصوى من قدير ، قعد وتناقل عن الجهاد ،  
 فذهب الى كركوج حيث كانت عائلته ، ولم ينهض للجهاد الا بعد ان أرغمته  
 الاحداث ، عندما زحف المهدي على الخرطوم .

وقد لاحظ شك المصوى هذا في المهدية صاحبه ، ود برجوب وود الصليحاني ،

واوشكا ان يفتكا به ، غير انه خدعهما ونجا بنفسه <sup>١</sup> .

ترك المضوى صاحبيه فى الجبلين واتجه الى كركوج ، وفى الجبلين جعل  
الرجلان يدعوان الناس الى الجهاد فانضمت اليهما اعداد كبيرة من اعراب رفاعة  
الهوى ، التابعة فى ادارتها لآل ابي روف <sup>٢</sup> . ولما رأى شيخ العرب ، الشيخ  
محمد مالك ابوروف ، التقاف قومه حول ود الصليحي وود برجوب ، تملكت الغيرة  
قلبه فأبلغ الامر الى الخرطوم ، فارسلت فرقة من الخرطوم ، استعانت بابي روف فى  
مقاتلة صاحبيه المهدي ومن التف حولهم ، وكانت معركة الجبلين فى اواخر شعبان  
١٢٩٩ هـ / اواسط يونية ١٨٨٢ م .

فى هذه المعركة انتظم جند الحكومة فى مربع كان أحد اضلاعه ابوروف  
ورجاله ، وصبوا الرصاص على الثوار صبا . ولما اشتد الضرب فقد الانصار كثيرا من  
رجالهم ، حتى رق قلب ابي روف الى قومه ، واشفق عليهم ، مما حل بهم ففتح  
لهم ضلعه فتسللوا الى قلب المربع ، واخذوا يعملون الاسلحة البيضاء فى جند الحكومة

١ شقير : ص ١٢٢-١٢٨

ايضا : Holt : Mahdist State : p. 59

٢ لمزيد من التفاصيل عن رفاعة الهوى انظر ص ٢٤-٢٥  
ولمعرفة موقف العام من المهديّة انظر ص ١٨٥-١٩٣



حتى هزمهم ، فتقهقر السعيد بك قائد جند الحكومة حتى دخل الوابور بمن يقى

من جنوده ، ورجع الى الدويم ، وعاد ابو روف ورجاله الى سنار .

وتحولت قيادة الانصار الى ود بروجوب ، الذى ظل فى الجبلين ، الى ان

هزمه هكس ، وهو فى طريقه الى شيكان ، وشتت شمل من كان حوله من العربان .

هذا وانه من اهم الاحداث التى ازعجت السلطة المركزية فى النيل الابيض

حدثان آخران ، الى جانب قصة الجبلين ، وهما سقوط شات فى يد احمد

المكاشفى ، الذى جاء من المهدي ، واستولى على شات فى الثامن من اغسطس

١٨٨٢م ، وكانت بها حامية تتكون من مائتين من الجنود . والآخر محاولتان للهجوم

على الدويم الاولى من قبل احمد المكاشفى ، ردها السعيد بك ، والاخرى بقيادة

احد رجال الطريقة السمانية ، يعرف بعبد الباسط ، ظل عبد الباسط محاصرا

للدويم حتى ارسل اليه عبد القادر حلمى جقظ بنفسه فهزمه ورفع الحصار عن

الدويم ، فى الثامن عشر من نوفمبر ١٨٨٢م<sup>١</sup> .

كان عبد القادر يتبع هذه الاحداث ، التى ظلت تنبت هنا وهناك

فى الجزيرة ، يعتقد انه سيخمدنها لينعم بالعافية بعدها ، فيخطط للقضاء على

١ شقير : ص ١٢٨-١٨٠

ايضا : Holt : Mahdist State : p. 59-60

الثورة الام في كردفان ، ولكن رغم ما بذله هو ومعاونوه ، مثل جقلمر وصالح المك ،  
فانه لم يصل الى نتيجة . فبعد احداث شرق الجزيرة تحولت الحركة الى مناطق  
النيل الابيض ، على اطراف الجزيرة . ليس هذا وحسب ولكن ظهرت في غرب  
الجزيرة ، بعد احداث الدويم هذه تحركات للمهديين ، بقيادة فقيه يعرف  
بود كريف ، او ولد الكريف ، كما سماه المهدي ، في خطاب منه للخليفة عبد الله .  
كان ود الكريف يقيم بقرية ام سنيطة ، بجهة المناقل ، فعرض مهديه وقطع خط  
التلغراف بين الكوة والمسلمية ، فارسل له عبد القادر باشا فرقة من الكوة ، في اوائل  
صفر ١٣٠٠ هـ / اواسط ديسمبر ١٨٨٢ م ، ولكنه هزمها وقتل نحو نصف رجالها ،  
وظل ود الكريف حتى التقى به عبد القادر باشا في واقعة معتوق ، وهزمه في الثاني  
من يناير ١٨٨٣ م <sup>١</sup> .

وبعد ان هزم عبد القادر باشا ود الكريف بمعتوق ، اتجه الى سنار  
ليقتضي على ود المكاشفي ، الذي امره المهدي على سنار ، فاتجه اليها بعد  
انخذه في الدويم . كان احمد المكاشفي قد نزل بحلة الحجاج ، على بعد ست

١ شقير : ص ٦٨٠

ايضا : ابوسليم / دكتور محمد ابراهيم احمد : المرشد الى وثائق المهدي : طبعة  
دار الوثائق المركزية - الخرطوم ١٩٦٩ : وثيقة رقم ٨٥٦ : ص ٤٠٤  
( فيما يلي : ابوسليم : المرشد )

ساعات من سنار (١٨ ميلا غربا) • كان بساطي بك مديرا على سنار حينئذ • ارسل بساطي فرقة اشتيكت مع احمد المكاشفي ، قبل وصول عبد القادر باشا ، فهزموا ود المكاشفي وحاصر سنار وقطع خط التلغراف والبوستة •

ثم التقى عبد القادر باشا باحمد المكاشفي ، في موقعة الداعي في ١٦ ربيع الآخر ١٣٠٠ هـ / ٢٤ / ٢ / ١٨٨٣ م • وحمل وطيس المعركة ، حتى جرح عبد القادر حلمي نفسه ، واختتم القتال بفرار احمد المكاشفي الى جبلي سقدي ومويه •

ولكن عبد القادر لم يترك احمد المكاشفي يهنا بالراحة والاستقرار هناك ، اذ ارسل اليه صالح الملك ، الذي هزمه وشتت شمله ، هو واخاه عامرا ، الذي التقى به ، ففر الاخوان الى ود برجوب بالجيلين ، وكانت الواقعة في الثاني من مارس سنة ١٨٨٣ م <sup>١</sup> •

كان هناك تابع من اتباع احمد المكاشفي المنتمين اليه ، جاء مرافقا لياه من قدير • ذلك هو احمد عبد الخفار ، الذي جمع حوله بعض اعراب رفاعة الهوى ، لما رأى انهزام صاحبه في سنار وفي سقدي ، ولكن عبد القادر لم يمهله ، فقد

قضى عليه في واقعة التبنة ، بالقرب من سنار ، في ٢٢ جماد الاول ١٣٠٠ هـ /  
 ٢٦ مارس ١٨٨٣ م<sup>١</sup> .

بعد هذا الحدث الأخير أصبحت الجزيرة هادئة ، حتى اواخر ديسمبر  
 من نفس العام ، لم يعكر هذا الصفو الا حدث عارض ، في لاسك عام ١٨٨٣ م .  
 بينما كان صالح المك عائدا من فامكة ، ليأتي لحاميتها ببعض الغذاء والكساء مسن  
 سنار ، اعترض سبيله احد الاشراف الموالين للمهدى ، يدعى آنجضو ، قرب شلال  
 الرصيرص ، فقاتله حتى قتله وشتت شمل رفاقه ، وواصل سيره حتى كركوج حيث  
 وجد امرا هناك من سنار ، بان يبقى في سيرو ، تجاه كركوج ، على الضفة الاخرى  
 للنيل<sup>٢</sup> .

هذا الهدوء الذي انتظم الجزيرة لاشك انه كان نتيجة للعمليات الحربية  
 التي قام بها جقلمر وحلمى في اطراف الجزيرة المختلفة ، ولكن هذا الهدوء لم يكن  
 يعنى القضاء على فكرة المهدي التي كانت قد انتشرت وشملت معظم الجزيرة وليس

١ شفير : ص ٦٨٢

ايضا : تقرير من مرسل سرف ومرسال عبد الباري :

Cairint, 1/10/53/D.4/1/5

٢ شفير : ص ٢٩٦

ادل على ذلك مما بذل الناس في سبيل اشهارها من ارباح وجهد في المعارك التي تحدثنا عنها في ماسبق . والموقف في الجزيرة الآن يصوره احسن تصوير كلمات الشيخ احمد ، عم الشيخ محمد مالك ابوروف ، حينما رأى ان عبد القادر باشا قد اهلك كثيرا من رجال رفاعة الهوى ، في المعارك ، وجه له هذه القولية اللاذعة الصادقة : " لقد افنيت الرعية ببطشك ياسعادة الباشا ، فدع عنك هذه المناوشات واقتل الدبابة من راسها " <sup>١</sup> . هذه هي الحقيقة ، لقد كان ماضعه جقلم وعبد القادر حلمي كفعل من يبتز من ذيل الثعبان ، والثعبان حي ، ينمو الذيل مرة اخرى في مكانه ولا يضار الثعبان شيئا .

ولقد حدث ذلك بالفعل . بعد شيكان ، التي انتهت في الخامس من نوفمبر ١٨٨٣ م ، طفق المهدي يبعث الرسل الى بلاد السودان المختلفة ، فارسل الى الجزيرة الشيخ عبد الله بن حمد النيل شيخ الحركيين ، وعبد الله ود البحر شيخ الكواهلة في وسط الجزيرة ، ومعهما رسالة الى كل من عبد الله بسن عوض الكريم باشا ابي سنن ، والطبيب ود حامدون ناظر الجعليين بالمسلمية ، يومر

المهدي كلا منهما على قومه ، فانضم هو لاه الاربعة الى محمد ود البصير ، وكييل  
المهدي بالجزيرة ، واشهروا العصيان والوقوف ضد الحكومة ، وبدأوا الحرب بسان  
قتلوا عسكريا من عساكر الحكومة ، في سوق الحلاوين ، وغمسا رماحهم في دمه . كان  
ذلك في اواخر ديسمبر ١٨٨٣ م .

اتفق ان طلب صالح المك بالخرطوم بعد حادث ود البصير ورفاقه فرأى  
ان يقضى على عصيانهم ، وهو في طريقه للخرطوم . فاخذ معه ١٤٠٠ رجلا ممن  
الباشوزق الشايقية ، مسلحين بالاسلحة النارية ، فلما علم ود البصير بتحرك صالح  
المك اخذ انتصاره وقابل صالح المك في ود مدني ، في ١٧ يناير ١٨٨٤ م ، فحصر  
ود البصير خمسمائة من رجاله فيهم الطيب ود حامدون . ولكن ود البصير لم ييأس  
ان جمع فلول جيشه ولحق بصالح المك في فداسي ، فرد صالح المك بخسارة الف  
من الانصار فلجأ ود البصير اخيرا الى حصار صالح المك في فداسي ، فاحتقر  
صالح المك خندقا هناك ، وظل محاصرا . وقد حاول صالح المك شتى الطرق  
ان يرفع ذلك الحصار واستعان ببعض المشايخ غير الموء يدين للمهدية ليستفيد  
من نفوذهم .<sup>١</sup>

١ التوضيح محاولات صالح المك للاستعانة بالمشايخ انظر : ص ٢١٢

صالح صالح المك  
بالبصير  
١٨٨٤

١ / وجاء عوض الكريم باشا ابوسن برجاله الى الضفة الاخرى للنيل ، فظهر  
للاخبار انه محاصر صالح الملك ، واتفق سرا مع صالح الملك بأن يبعث الى الخرطوم  
في طلب المدد ، فبعث لهما غردون بترقية في رتبتهما تشجيعا لهما ، ولم يكن  
لديه اكثر من ذلك ، في هذا الوقت . واخيرا ضاق الخناق على صالح الملك ،  
وكان يخشى ان ينكل به ود البصير ، ان سلم اليه ، فبعث الى المهدي بالابيض  
يخبره بذلك ، فارسل اليه المهدي الامير محمد عثمان ابوقرجه الدنقلاوي ، فسلم  
صالح الملك ، في الثامن من جماد الثاني ١٣٠١ / السابع والعشرين من  
ابريل ١٨٨٤ م .<sup>١</sup>

وبنهاية صالح الملك<sup>٢</sup> فقدت الحكومة ساعدها الايمن في الجزيرة ، واخذ  
ميزان القوى يتحول لصالح انصار المهدي ، واخذ موقف الحكومة المركزية في الجزيرة  
وموقفها في سنار عاصمة الجزيرة يزداد سوءا ، يوما بعد يوم ، ولم  
يبق للحكومة حول المقاومة بالجزيرة ، الا العاصمة سنار ، التي وجه المهدي  
جهدا اليها بعد ذلك .

١ شقير : ص ٢٩٧-٢٩٨

ايضا : تقرير العسكري محمود احمد : Cairint, 1/10/53/D.4/11C

٢ ارسل صالح الى المهدي بالرهدي فحاول صالح الملك مكانة غردون فاكتشف المهدي  
ذلك فسجنه حتى مات بام درمان سنة ١٨٨٩ م . انظر : شقير : ص ٨٠١

١٨٨٤/٤/١٧  
المستند  
الملك  
المهدي

### حصار سنار وسقوطها

ان الخطة التي اتبعها الانصار في الاستيلاء على الجزيرة ، سواء اكانت مرسومة ام جاءت بالصدفة المحضة ، كانت من اجود الخطط ، اذ انهم بدأوا بحركات العصيان والمقاومة في أنحاء الجزيرة كلها ، فعاد عليهم بذلك فائدتان هامتان : الاولى اجهاد جيش الحكومة وشغله عن متابعة الحركة في الغرب ، والثانية نشر الفكرة بين الناس وتحميم الدعوة في الجزيرة ، وهي اقرب مناطق البلاد للعاصمة .

نحن لانعلم ان المهدي رسم هذه الخطة رسماً ، ولكننا لانستطيع ان نففي ذلك ، بل لعل هناك ما يعزز قول من يقول بانها كانت خطة مدروسة مرسومة ، فان المهدي كان ، بين الحين والحين ، يبحث عن يجدد الثورة والمقاومة في الجزيرة كما رأينا في الفصل السابق . وانه كذلك ترك وكيلا ثابتا يأخذ البيعة عنه في الجزيرة<sup>١</sup> ، الشيء الذي لم يفعله في أية جهة أخرى ، منذ بداية الحركة . وبهذا ربط المهدي أهل الجزيرة ربطاً عملياً متصلاً بفكرة الجهاد . وجعل قوات الحكومة في نعر دائم ، وفي حالة حرب دائمة ايضاً ، الامر الذي يبعث القلق

١ لتفصيل الحديث عن وكالة ود البصير والدور الذي لعبه في الجزيرة انظر ص ٢٠١-٢١٢



والسلام في نفوس جنود الحكومة •

بعد ان سلم صالح الملك في فداسي ، للامير ابي قرجة ، انفصلت فرقة من جيش ابي قرجة ، بقيادة ابي الحسن اليعقوباني السمانى الطريقة ، واتجهت الى سنار • حاول ابو الحسنى محاصرة المدينة لكنه هزم وشتت شمل انصاره ، وذلك في الحادى عشر من يولية سنة ١٨٨٤م<sup>١</sup> •

هذا الحدث رغم صغره ، كان ، فى رأينا ، <sup>ذا</sup>إنفاً فائدة كبيرة للانصار فقد اتاح لهم تقدير قوة سنار للاستعداد لمواجهتها • ثانياً انه كان يسير وفقاً للخطة التى انتهجها المهدي فى الجزيرة : اسلوب الحرب الاستنزافية ، الطويلة الاجل ، التى تعتمد على الهجمات المتقطعة ، وتنتهى بالحصار ، الذى يقود الى النتيجة النهائية •

ان سنار ظلت مطمئنة ، رغم مفاوضة الانصار لها ، لان غردوين ، بسعد حلوته بالخرطوم ، كتب الى حسن بك صادق واهل سنار ، فى اوائل سبتمبر

١ شقير : ص ٨٠٨

ايضاً : تقرير البكباشى باشبوزق اسماعيل اغا ابراهيم :

سنة ١٨٨٤ م ، يبشرهم بأن مددا كبيرا سيصل اليه ، وما عليهم الا ان ينتظروا قليلا حتى يقضى على الخارجيين من انصار المهدي . ولكنهم لم يلبثوا شهرين حتى صدرت اوامر المهدي الى المرضى ابي روف بمحاصرة سنار ، بعد ان تحرك المهدي من الرهد نحو الخرطوم ، فصدع المرضى ابوروف الى امر المهدي ، ونزل بحلة عابدين ، نحو عشرة اميال جنوبى سنار ، فى اواسط نوفمبر ١٨٨٤ م<sup>١</sup> .

أما فى داخل مدينة سنار فقد كان هنالك خلاف كبير بين حسن بك صادق ، مدير عموم سنار ، وأحد معاونيه ، يدعى النور بك . فانحاز الجنود الى جانب النور بك ، وسجنوا المدير فى منزله ، ولم يفته ذلك النزاع الا بعد ان فشل النور بك وهزمه ابوروف فى اول لقاء بينهما<sup>٢</sup> .

كانت المناوشات مستمرة بين ابي روف الذى ظل محافظا على حصار المدينة ، وبين النور بك ، الذى كانت القيادة فى يده ، حتى سقطت الخرطوم فى ٩ ربيع ثان ١٣٠٤ هـ / ٢٦ يناير ١٨٨٥ م . وهنا ادرك النور حقيقتين الاولى

---

Slatin : p. 380

Cairint 1/10/53/D.4/1/3

ايضا :

شقيق : ص ٩٨٢

١

٢

انه لم يكن قادرا على مواجهة ابي روف وحده ، والثانية انه بعد خبر سقوط الخرطوم لا بد له ان يوحد صفوف الجنود ان لم يعد هناك مجال للشقاق ، فقد اصبح الخطر واضحا ، فلجأ الى المدير يعرض عليه توحيد الصف ، فانتهاز المدير الفرصة واملى الشروط التي يريدتها ، وهي ان توكل اليه قيادة الجيش مرة اخرى . وعرض عليهم ان يحاربوا المرضى البروف ، وان يقاوموا جيش محمد عبد الكريم ، الذي بلغهم ان المهدي قد اعد له لسنار ، فان انتصروا بها ونعمت ، والا فروا جميعا الى

وبعد أن دخل المهدي الخرطوم ، وسقطت في يده في ٩ ربيع ثان /  
 ٢٦ يناير، كانت سنار من أولى الاهتمامات التي التفت إليها ، ولاغرو فان سنار  
 تمثل المكنم الثاني للخطر بعد الخرطوم ، بحكم قربها من العاصمة . ندب المهدي  
 ابن عمه محمد عبد الكريم<sup>١</sup> فاستجاب محمد عبد الكريم الى امر المهدي<sup>٢</sup> ، وخرج  
 بجيش كثيف ، من راية الخليفة شريف " راية الكرار " في يوم الخميس الثاني من  
 جماد الآخر ١٣٠٢ هـ / ١٩ مارس ١٨٨٥ م<sup>٣</sup> ، ووصل الى سنار في الثاني من رجب /  
 ١٨ ابريل ، ومعه من الامراء المضيى عبد الرحمن ومحمد احمد الشيخ ادريس - أحد  
 اقارب المهدي - ومصطفى ود جبارة ، و خليل عمر ابوزهانه ، ومعه الوابور محمد علي<sup>٤</sup> .

١ هو ابن عم المهدي ، ومن اصحاب السبق في المهديّة ، وكان أحد الامناء الخمسة  
 الذين اصطفاهم المهدي لقضاء حوائج الناس (كقضاة) بعد التشاور والاستعانة  
 بالخليفة عبد الله وذلك في رجب ١٣٠١ هـ / ابريل - مايو ١٨٨٤ م .  
 انظر : ابوسليم : المرشد : وثيقة ٣١٢ : ص ١٦١

٢ امر انتدابه الى سنار ذكره المهدي في خطاب منه للنجومى وابي قرجه ولخريسن  
 بتاريخ ١٢ جماد اول ١٣٠٢ م / ٢٨ فبراير ١٨٨٥ م ، ولا يعرف خطاب خاص  
 بمحمد عبد الكريم في هذا الصدد .

انظر : ابوسليم : المرشد : وثيقة ٥٩٤ : ص ٢٩١

٣ شقير : ص ٩١٩

Intel 2/43/360

أيضا : شقير : ص ٩٨٨

ولما وصل محمد عبد الكريم سنار نزل بالبقرة ، قرب المدينة ،<sup>١</sup> واحاط  
 المدينة بجنده من جميع الجوانب ، وارسل خطابا الى اهل سنار ، يسألهم القائمين  
 على الامر في التسليم ، ويعددهم خيرا ان هم سلموا ، وكان الامير خليل عمر ابو زهانة  
 واسطة المفاوضات بين الطرفين ، لانه كان يعرف النور بك من قبل ، وكانت بينهما  
 مودة ، ولعل تلك المودة هي التي حملت الامير ابو زهانة لان ينصح النور بك ألا يسلم ،  
 ويخبره بأن محمد عبد الكريم سيعذبهم ويسبي الجميلة من نسائهم ان اسلموا امرهم  
 اليه .

ومن هنا اخذ النور بك يماطل محمد عبد الكريم في الاجابة ، ويقوى حصون  
 المدينة ، فعمق خندق المدينة<sup>٢</sup> ، وبنى عليه سبعة ابراج ، لقام عليها مدافع  
 ولقام على حراسة اضلاع الخندق الثلاثة ٨٠٠ عسكرو من النظامية والباشبوزق على  
 كل ضلع<sup>٣</sup> ، وحمى بنفسه الضلع الغربي ، وجعل زميله الدالي وحسن بسوك

١ انظر الخريطة المرفقة الخاصة بحصار سنار الملحق الرابع  
 ٢ ان اول تحصين لسنار كان في اوائل عهد عبد القادر باشا حلمي ان قام المدير  
 بمساطي بك ببناء سور حول المدينة ، جعل عليه المزغل ، وحفر خارجه خندقا  
 عمقه ثلاثة امتار ، وعرضه متران ، واحاط الخندق بسياج من الشوك .

انظر : شقير ، ص ٦٢٤

٣ ورد في اقوال عبد الفتاح احمد ، شيخ هجانه بوسته البري بين سنار والخرطوم وسنار  
 وفي زغلي ، ان قوة سنار كانت مكونة من ٨٠٠ جندي مصري وخمسة ارادي باشبوزق  
 تتراوح كل منها بين ١٠٠ و ٥٠٠ جندي و ١٤٠٠ جندي سوداني .

الكريتلى على قيادة الجانبين الآخرين • وكان النيل يمثل الضلع المكمل للمربع ، على الضفة الشرقية •

لما رأى محمد عبد الكريم طول المطال فطن الى الحيلة ، فارسل بعض جنوده لحصار ضفة النيل الشرقية ، فكانوا يرمون بالرصاص كل حى يرونه من الناس والسائمة حتى اضطر الناس لاخت ماء الشرب من النيل ليلا <sup>١</sup> •

كان محمد عبد الكريم قائدا ممتازا ، يفهم اسرار الحرب ووسائلها ، فقد عجم عود الحامية السنارية بأول هجوم حدث بين الطرفين — وكان هو البادى به — فى فجر الثانى من شعبان ١٣٠٢هـ / ١٢ يونيه ١٨٨٥م ، وتسلسل رجاله خلف اسوار المدينة فدخلها بين الالف وخمسة و الالفين منهم ، ففرت واجهة الحراسة من جند سنار ، فاوشك الانصار على الانتصار ، لولا ان انتبهت فئة اخرى من جند الحامية وقضت على الذين دخلوا الققرة ، من رجال محمد عبد الكريم ، عن آخرهم • وهنا غير محمد عبد الكريم اسلوب الهجوم ، فأثر الحصار ، ليقتضى به على روح اهل المدينة المعنوية ، وعلى موهنهم ومقدرتهم على المقاومة <sup>٢</sup> •

١ شقير : ص ٩٨٨-٩٨٩

٢ نفسه : ص ٩٩٠

ايضا :

اشتد الحصار على اهل المدينة حتى نفدت المؤن وأكل الناس الصمغ

والجلود والضريبة<sup>١</sup> وقش النالى والحمير والكلاب ، ولخيرا صمموا على الحرب<sup>٢</sup> .

ولعل قرار الدخول فى حرب ، من قبل رجال سنار ، مرحلة أملاها اليأس ،

وليس الامل فى الانتصار ، لانه جاء بعد شدة الحصار وضيق الاحوال ولانه جاء

بعد ان وصلت المدينة احط المراحل ، معنويا وماديا . فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٥م

قاد النور بك والدالى ومحمد بك كاشف هجوما على الانصار ، فحطموا لهم طابيتين

على النيل وقتلوا حراس الطابيتين ثم اتجهت القوى لمحمد عبد الكريم فى البقرة ،

حيث دارت رحى معركة حامية ، جرح فيها النور بك ، فتولى القيادة الدالى حتى

هزم الانصار وفر محمد عبد الكريم ، وغنمت قوات الحكومة مغانم فيها مدفعان جبليان ،

وخمسائة بندقية رفتون ، ونهبوا ما وجدوا من مؤن . فوجدوا فى كوخ محمد عبد

الكريم اوراقا تخبر عن موت المهدي<sup>٣</sup> ، ففرح اهل سنار ، ظانين ان امر المهدي

قد انتهى بموته .

١ نبات شوكى معروف

٢ شقير : ص ١٩١

ايضا :

Cairint 1/10/53/D.4/1/18

ايضا :

Cairint 1/10/53/D.4/1/3

٣ توفي المهدي فى التاسع من رمضان ١٣٠٢ هـ / ٢٢ يونية ١٨٨٥

انظر : ص ٦٤

ولكن صبر محمد عبد الكريم لم ينفد ، فجمع جنده مرة اخرى ، وأعاد الحصار فأعادت النظمية عليه الهجوم أيضا . قاد الهجوم هذه المرة احمد بك مكنوار ، نائب المدير ، وحسن بك عثمان وعثمان بك الدالي ، أما النور بك فكان لا يزال طريق الفراش . استمرت هذه المعركة نحو ثلاث ساعات ، وفقدت الحكومة فيها نحو ١٢٠ من عساكرها ، وجرح احمد بك مكنوار جرحا لم يمهله أكثر من اليوم التالي فمات ، وجرح الدالي بك في يده وفخذه .

لما الانتصار فقدوا نحو الفين من رجالهم ، ونهب جميع ما عندهم من مؤن ، وأحرق معسكرهم ، وأصيب محمد عبد الكريم برصاصة في رجله ، فنقل الى البريآب ، مسيرة ثلاثة ايام من سنار غربا ، وأشار محمد عبد الكريم الى محمد احمد شيخ ادريس بتولي القيادة ، فجمع الانتصار مرة اخرى وعاد الى البقره ، وأحكم الحصار .

كانت هذه الواقعة الاخيرة آخر مراحل النصر والقوة ، لحامية سنار ، بدأت بعدها الحامية في الانهيار والانكسار . ولما ضاقت الحال برجال سنار ، وتملكهم الجوع واليأس ، خرج حسن بك عثمان ومعه خمسمائة جندي الى جهة الشرق ، يبحث عن مدد غذائي ، وفي كساب حاصرهم الانتصار نحو التسعة ايام . وهناك هجر نحو اربعمائة من جنود الحكومة قائدهم وانضموا الى محمد ود جبارة ، قائد الانتصار على الضفة الشرقية ، فقتل ود جبارة على من بقي من جنود حسن بسك ،



وفرت قلة منهم ، سباحة عبر النيل الأزرق الى سنار . وكان ذلك في ٦ القعدة

١٣٠٢ هـ / ١٢ / ٨ / ١٨٨٥ م<sup>١</sup> .

ولقد كانت محاولة البحث عن الغذاء في كساب حشرة الروح في حلقوم

الحامية . ففي اليوم التالي لمعركة كساب ، وهو الثامن عشر من اغسطس ، كتب

محمد احمد شيخ ادريس الى اهل سنار يدعوهم الى التسليم ، ويهددهم بالهجوم ، ان

لم يسلموا . وهنا كانت جميع مؤن الحامية قد نفذت ، وفقدوا كل امل فسي اي

نجدة ، فرأى قادة الحامية الا مفر من التسليم ، فكتبوا بذلك الى الامير شيخ ادريس

ووقع على الوثيقة النور بك والدالي ومن معهم من القادة واعيان سنار وسقطت سنار

في يد الانصار في الثامن من ذي القعدة ١٣٠٢ هـ / ٨ / ١٩ / ١٨٨٥ م ، بعد حصار

دام نحو تسعة اشهر ، اي منذ ان حاصرها ابوروف اواسط نوفمبر سنة ١٨٨٤ م ،

ولحق به محمد عبد الكريم في التاسع عشر من مارس سنة ١٨٨٥ م ، حتى

١ ذكرت تقارير المخابرات المصرية أنه بعد جرح محمد عبد الكريم ارسل المهدي الشريف حمد النيل وعبد الصمد لتولي القيادة ، ولكن شقير ذكر ان حمد عبد الكريم احالها الى محمد احمد شيخ ادريس ، ونحن على رأى شقير لان المهدي كان قد مات في هذا الوقت .

انظر : شقير : ص ٩٩١-٩٩٣

Cairint 17/10/53/D.4/1/18

ايضا :

Intel 2/43/360

ايضا :

سقوطها • وبالقضاء عليها تم القضاء على آخر الحاميات التركية بالسودان <sup>١</sup> .

دخل الانتصار المدينة ونهبوها وصادروا ما عند أهلها من مال ومتاع ، ومن

ظن أنه أخفى شيئا ضرب حتى يعترف ، حتى وصل النجومي في الثاني عشر من

القعدة / ٢٣ لغسطس فآمن أهل سنار ، ومنع التخريب ،

وقصة مجيء النجومي أنه لما طال حصار سنار أرسل الخليفة النجومي على

رأسى ١٣٠٠٠ جندي معه عدد من الأمراء فيهم أبو قرجه لكنهم وصلوا بعد التسليم

بثلاثة أيام <sup>٢</sup> . ويسقط سنار أصبحت الجزيرة كلها ، باستثناء بعض المناطق الصغيرة

مثل بني شنقول تحت السلطة المهدوية <sup>٣</sup> .

١ شقير : ص ٩٩٣

Intel 2/43/360

أيضا :

٢ شقير : ص ٩٩٤

٣ لمعرفة تفاصيل إدارة المهدية في الجزيرة انظر الباب الثالث : ص ١١٥ وما بعدها

### الشقاق بين الخليفة ومحمد عبد الكريم

إن قصة الخلاف بين محمد عبد الكريم والخليفة عبد الله ذات جانبين هاميين ، من حيث أثرها التاريخي ، الأول أنها خيط هام من الخيوط التي نسجت الخلاف بين الأشراف والخليفة ، وهذه ، أعني قصة الأشراف والخليفة ، من كبريات القضايا في تاريخ المهديّة . وثانياً نعتقد أن هذه القصة من أهم العناصر الناصح عنها طول حصار مدينة سنار ، ويقائنها صامدة أشهر تواجه محمد عبد الكريم .

كان محمد عبد الكريم يتمتع بشخصية مستقلة ، فيها صفات القيادة ، ولم يكن يعرف التبعية العمياء ، التي تقضى بالتصرف عن غير اقتناع ، وكان جريئاً حتى على الخليفة عبد الله نفسه ، حين كان بعض الناس يهاب الخليفة ويهرّبونه وبعضهم يجله إلى درجة التقديس<sup>١</sup> . هذا الجانب في شخصية محمد عبد الكريم يلمس في جواباته التي كان يكتبها للخليفة ، إذ كان يبحث له بالمشاكل محلولة ، فقط يرجو تأييده لذلك الحل ، من ذلك مثلاً رأيه في مشكلة الولاية على آل أبي

---

١ لتفصيل الحديث عن شخصية الخليفة وطريقة تصرفه مع القادة والزعماء انظر : شقير : ص ١٢٤٥

سن الذين كان يرى الا يتركوا تحت ابي قرجه<sup>١</sup> . ولم يكن الخليفة ليقبل منافسا له كمحمد عبد الكريم . وفي رأينا ان التنافس بين شخصي الخليفة ومحمد عبد الكريم الى جانب ماكان بين الخليفة والاشراف عموما من مشاكل هو الذي عقد مشكلة سنار لان الخليفة كان شخصية طاغية لايقبل ولا يصلح في خدمته الا شخص خاضع خائض<sup>٢</sup> على خلاف ماكان محمد عبد الكريم<sup>٣</sup> .

لقد طال حصار سنار اكثر مما ينبغي ولم يكن جيش محمد عبد الكريم قليلا يعجز عن اخذ المدينة غوة ، فقد فقد من جيشه هذا اربعة آلاف في معركتين فقط ، ولم يؤثر ذلك على توازن الجيش وتماسكه ، ان مشى الى النصر بثقة حتى بعد الهزائم المتكررة<sup>٣</sup> . بينما كانت قوة سنار ، التي تحرس بها جوانب السور الاربعة لاتزيد عن الثلاثة آلاف ونصف . اما الخندق والابراج والحراسة فلم تكن حائلا بين محمد عبد الكريم والهجوم على المدينة ، فقد كان اول لقاء بينه وبين حامية سنار

١ مہدیہ ١/١٣/٢٧ : من محمد عبد الكريم للخليفة : مؤرخ ١٣٠٣ هـ / ١٠ اکتوبر

١٨٨٥ م - ٢٩ سبتمبر ١٨٨٦ م

٢ شقير : ص ١٢٤٥

٣ انظر الفصل السابق ص ١٠٤-١٠٥

ان تسلل نحو الالفين من جنوده الى داخل المدينة ، ولكن قضى عليهم عن آخرهم<sup>١</sup> ،  
ولحل تلك الغلبة كانت غلبة سلاح على سلاح فقط .

لقد واجه محمد عبد الكريم سنار خمسة اشهر ، باربعة آلاف بندقية فقط  
نهب منها نحو خمسمائة في المعركة الثانية ، كما وضحنا فيما سبق ، ولم يكن لديه من  
الذخيرة اكثر من ثمانين صندوقا ، وكان محمد عبد الكريم يرى ان هذا السلاح ، وتلك  
الذخيرة اقل بكثير مما تستحق سنار وقد كتب الى الخليفة الخطابات المتكررة ، ولم  
يستجب له الخليفة<sup>٢</sup> .

لقد هزم محمد عبد الكريم ثلاث مرات امام حامية سنار ، ولم يكسب نصرا  
قبل واقعة كساب ، ويتضح لنا من خطته الحربية انه لم يكسب النصر الا بطول الحصار ،  
فقد شت رجاله ثلاث مرات ، ولكنه يجمعهم مرة ومرة ويحكم الحصار ويناول اهل سنار ،  
على البعد حتى انفقوا كل ما عندهم من صبر ومو ن وهزموا .

ولحل الخليفة كان يخشى ان يكون لدى محمد عبد الكريم سلاح كثير ، قد  
يهدد به موقف الخليفة نفسه . فحينئذ بعث الخليفة النجومي الى سنار امره ان

١ انظر الفصل السابق : ص ٩٤-١٠٤

٢ مهديه ٢/٣/٢ : من محمد عبد الكريم للخليفة : ١٢ شوال ١٣٠٢ هـ / ٢٥ يوليو  
١٨٨٥ م .

يجمع سلاح حامية سنار ، بعد اسقاطها ، وان يحصيه ويرسله فورا الى ام درمان .  
 ومما يعزز القول بأن الخليفة لم يكن مطلقا الى محمد عبد الكريم ، اصدار  
 امره الى محمد عبد الكريم بأن يدمر سنار ويحرقها ويمنع الناس من السكنى فيها ،  
 ويسرع بالعودة الى ام درمان . ولقد ساق الخليفة اسبابا غامضة يعلل بها احراق  
 سنار ، منها ان من سكن بسنار ، بعد هذا الامر فقد فارق صحبة المهدي عليه  
 السلام ، لان سنار كما ذكر معناها " سوق نار " ومنها ان قصد المهدي عليه  
 السلام قد كان متوجها الى الجهات البحرية ، وقلب الخليفة الآن قد تعلق بما كان  
 عليه قصد المهدي عليه السلام .<sup>٢</sup>

ان خطابات الخليفة ، الالفة الذكر ، تكاد تشهد بأن هنالك امرا غريبا ،  
 لا يريد الخليفة الانفصال عنه ، وهي ترى لصرار الخليفة على ألا يبقى بسنار احد  
 البته ، فانه امر في خطاباته هذه بتحطيم جميع منازلها ، وحزم حطبها وارسالها

---

١ مهديه ٣٠٤/٢/١/٣ : من الخليفة الى النجومي وابي قرجه وعبد الصمد شرفي وعبد  
 الحلیم مساعد ومكين النور : ١٢ القعدة ١٣٠٢ هـ / ٢٤ اغسطس ١٨٨٥ م

٢ مهديه ٣٠٤/٢/١/٣ : من الخليفة الى النجومي وابي قرجه وعبد الصمد شرفي وعبد  
 الحلیم مساعد ومكين النور : ١٢ القعدة ١٣٠٢ هـ / ٢٤ اغسطس ١٨٨٥ م

ايضا : مهديه ٣١٠/٢/١/١٣ : من الخليفة الى محمد عبد الكريم : ١٣ القعدة

٣٠٢ هـ / ٢٥ اغسطس ١٨٨٥ .

ايضا : مهديه ٣٠٤/٢/١/٣ : من الخليفة الى محمد عبد الكريم : ٢٨ القعدة ١٣٠٢

٨ سبتمبر ١٨٨٥ م

طيفانا على النيل بواسطة "اولاد الريف" . فما هو ذلك السر الذي يخفيه عبد الله  
التعاليشي ؟

لقد ذكر المستر هولت أن الخليفة خشي أن يتخذ الاشراف سنار قاعدة انطلاق  
لهم ضده . فقد كان يخشى ، على وجه الخصوص ، أن يتم تحالف بين النجومي ومحمد  
عبد الكريم ، وبمحتملا على مقاومة الخليفة ، ويدعوا الى تحويل خلافة المهدي الى بيت  
المهدي <sup>١</sup> . وأشار نعوم شقير كذلك الى أن الخليفة كان يخشى من اتحاد القائدين  
ضده <sup>٢</sup> . وروى سلاطين أن الخليفة عبد الله كان يخشى بأس الاشراف جميعا ، ومحمد  
عبد الكريم على وجه الخصوص ، لأن محمد عبد الكريم كان قد اخذ معه الى سنار  
السود ، من راية خليفة الكرار ، وهم اولو مقدرة في الحرب ودراية باستعمال السلاح  
الناري <sup>٣</sup> . وذكر سلاطين ايضا أن اشاعة قد طارت في ام درمان بأن محمد عبد  
الكريم يفكر في رد الخلافة الى الخليفة شريف ، لأنه من آل بيت المهدي ، ولاحق من  
عبد الله التعاليشي <sup>٤</sup> . أن كان الامر كذلك ، سواء أصحت الاشاعة أم لم تصح ، فإنه

Holt : Mahdist State : p. 136-37

١

٢ شقير : ص ٩٩٤-٩٩٥

٣ لمزيد التفصيل عن الجهدية السود انظر : ص ٣٦

٤ Slatin : p. 382

كان لابد للخليفة أن يشك في محمد عبد الكريم ، على وجه الخصوص • والشك فيه يستدعي إبعاده عن مركز القوة في الجيش وأخذ السلاح من يده ، وهذا ما فعله الخليفة كما سترى فيما يلي •

هذا وإن هنالك بعض الأحداث الصغيرة التي تنم عن أن تصرفات محمد عبد الكريم إزاء أوامر الخليفة كان فيها كثير من التحدي والتحرش • وكذلك ترى أن لمحمد عبد الكريم علاقات واهتمامات خاصة بسنار • أن الخليفة كان قد أمر النجومى وعبد الكريم بالعنودة إلى أم درمان فوراً ، بعد أخذ سنار ، فرجع النجومى فسـى ١٢ / ٩ / ١٨٨٤ م ، أما محمد عبد الكريم فقد تلكأ كثيراً ، حتى كتب له الخليفة عتاباً جاء فيه " وإنك عندنا من الاحباب الصادقين المساعدين لنا على تقويم الدين ... وتحدد لكم ميعاد وتكررت لكم الاوامر بالمرار العديدة ، بحضوركم انتم ومن معكم من المسلمين ، ولم تر منكم اجابة مع طول المدة ... وما علم عندنا السبب الموجب لتأخيركم قدر هذه المدة الطويلة " <sup>١</sup> . وفي نهاية هذا الخطاب لجأ الخليفة إلى تهديد محمد عبد الكريم بأنه قد بلغه أن محمد عبد الكريم صار يجمع أموالاً من الناس فداءً من الجهاد ، أي أن الذي يريد أن يتخلف من الجهاد كان يدفع

---

١ مهديه ٢٣٠ / ٩ / ٣ / ٣ : من الخليفة إلى محمد عبد الكريم : ٢٦ ربيع آخر ١٣٠٣ / ١ / ١ فبراير ١٨٨٦



لمحمد عبد الكريم مبلغا من المال . ان هذه الحقيقة ان صدقت فاننا نرى احد امرين  
اما ان محمد عبد الكريم قد فقد ولاءه للدولة تماما وصار يعيث حتى بفكرة الجهاد ،  
التي كان يقود اليها الجحافل ، او انه كان يعمل على الاستقلال ، فكان يجمع من  
المال ما يتأهب به في سد حاجته ، وكلا الامرين يجعله في مكان العداوة من الخليفة .  
هنالك احتمال ثالث ، وهو عدم صدق ما قاله الخليفة عن محمد عبد الكريم ، فان كان  
الخليفة قد بهته فقد يكون اراد بذلك تحطيم شخصيته ، ليكسب الجولة ويقضى عليه .  
ولكن يبدو ان التهمة لم تكن واهية الاساس ، فان محمد عبد الكريم قد  
تمادي في مطالبه ، حتى بعد ما بلغه من لوم الخليفة الملح . واخيرا لجأ الخليفة  
الى انذاره بأنه متهم بالعصيان ، فلا بد ان يحضر لتبرئة نفسه ، فان لم يحضر فان  
ذلك يعتبر اذانة له ، وعليه ان يحتمل المسؤولية وحده . وفي خطاب الانذار ذاته  
وضح الخليفة ، لمحمد عبد الكريم ، ان كل ما يصدر عنه يصل الخليفة ، وخبره بأنه  
قد بلغه ان محمد عبد الكريم قال بان مكاتبات الخليفة " ما دخلت في رأسه " .  
بعد هذا التهديد جاء محمد عبد الكريم الى ام درمان ، ولكن الخليفة كان

---

١ خطاب الانذار هذا كذلك يوضح ان محمد عبد الكريم كان قد جاء الى ام درمان مباشرة  
بعد سقوط سنار ووعده الخليفة بأنه راجع لجميع رجاله والعودة فورا فذهب ولم يعد .  
انظر : مهدية ٣/٣ / ٨١٢/٩ : من الخليفة : الى محمد عبد الكريم : ٩ جماد اول  
١٣٠٣ هـ / ٣ فبراير ١٨٨٦ .

ذكيا يحسب لكل أمر حساب ، فلم يفتك بمحمد عبد الكريم لأوّل وهله ، كما قد يتوقع المرء ، وإن كان للأشراف سطوة وبأس ، إن ذاك ، لكنه استدعى محمد عبد الكريم ، مع الخليفين ، شريف وطى ود حلو . وبعد أن دخلوا عليه وجلسوا ، أمر الخليفة كاتبه أن يقرأ منشورات المهدى الصادرة فى حقّه ، فلما انتهى الكاتب وجه الخليفة التهمة الى محمد عبد الكريم بأنه غير مخلص له ، فأخذ محمد عبد الكريم يدافع عن نفسه . ولما تأكد عبد الله أنه قد وضع محمد عبد الكريم موضع الضعيف ، السدى ليس له من الموقف إلا أن يبرىء نفسه ويدافع عنها ، قال الخليفة عبد الله انه قد عفا عما مضى ، ورضى عن محمد عبد الكريم كل الرضا ، وغمز الى على ود حلو فقرا عليهم البيعة جميعا فمدوا أيديهم مبايعين لعبد الله .

لكن عفو الخليفة لم يكن عبثا بخير ثمن ، فقد كان يعلم أن مصدر خطر الاشراف يكمن فى مالهم من قوة عسكرية ، فان أفلح فى تجريدهم منها صاروا كسائس الناس لاخطر لهم ، فاشتراط فى العفو عن محمد عبد الكريم أن يتنازل محمد عبيد الكريم والخليفة شريف عن السود من راية الكرار وكان السود كثيرين ، وكانوا يحسنون استعمال الاسلحة النارية - فتنازل ود عبد الكريم والخليفة شريف ، فكانت هذه أول ضربة وجهها الخليفة لاعدائه من الاشراف ، فأوهن قواهم وأبعدهم عن مركز هام

كان يمكن أن يكون لهم حصن المواجهة ، ان ارادوا حرب الخليفة عبد الله <sup>١</sup> .  
 أما عن شخصية محمد عبد الكريم ، التي أصبحت محط الانظار في سنار ، لما  
 ابلق فيها من بلاء ، وصبر عليها محاصرا خمسة اشهر ، فان الخليفة قد حاول ان  
 يحطم تلك الشخصية ويصرف عنها انظار الناس ، مذ كان محمد عبد الكريم في سنار .  
 حاول الخليفة ان يحرم محمد عبد الكريم من شرف النصر ، فأرسل اليه عددا من كبار  
 الامراء ليشاركوه ذلك الشرف ، فتنحول الانظار عن ود عبد الكريم ، ليس هذا  
 وحسب ، وانما نزع القيادة العليا من محمد عبد الكريم ، واحالها الى النجومي <sup>٢</sup> . ولعل  
 هذا العمل كان يخدم غرضين للخليفة : الاول انه قد يسبب حقدا بين محمد عبد  
 الكريم والنجومي فتكون الوفيعة بين الاشراف وتنفرد كلمتهم ، والثاني ان الخليفة كان  
 يعرف حقيقة النجومي ، ان كان معروفا باخلاصه للمهدية ، وانه ذو سمع وطاعة  
 للمهدي وللخليفة من بعده ، ان فلاحته في ان يتحالف مع محمد عبد الكريم ضد  
 الخليفة ضعيف لسببين ، الاول لما عرف به النجومي من ولاء والثاني لما قد  
 يقع بين القائدين ، النجومي وود عبد الكريم ، من التنافس والخيرة . هذا وان

Slatin : p. 383

١

Ibid : p. 382

٢

الخليفة قد يضمن ، اذا قاد النجوى الحرب انه سيكون رهن اشارته اكثر من محمد عبد الكريم ، ومما يدعو الى سوء الظن فى بعثة النجوى هذه ان محمد عبد الكريم لم يطلب نجدة من الخليفة وانما طلب السلاح والذخيرة فقط .

ولم يخطئ زعمنا هذا فى الرجلين كليهما ، فقد عاد النجوى الى ادمرمان بعد ان ادى رسالته ، وماطل محمد عبد الكريم وتلكا حتى هددته الخليفة . اذن فمحاولة تحويل الامارة الى النجوى توءد لنا مرة اخرى ان الثقة مفقودة بين الخليفة ومحمد عبد الكريم . رغم ذلك افلح الخليفة فى ان تسقط سنار ، وان يخرج عنها محمد عبد الكريم ويمجرد من كل سلاح وشرف ، ويبقى شخصا عاديا لاحول له ولا قوه . وبالقضاء على حاميات الحكومة فى سنار استسلمت كل الجزيرة للمهدية ، وبالقضاء على شخصية محمد عبد الكريم ، وقطع صلته بالجزيرة دانت الجزيرة بالولاء للخليفة عبيد الله وحده لا لمحمد عبد الكريم لولاى احد سواه من الاشراف .

### الباب الثالث

#### ادارة المهدية فى الجزيرة

ويحوى الفصول التالية :

(١)

عمالات الجزيرة وعمالها

(٢)

ادارة عدلان محمد سرور

(٣)

ادارة يونس الدكيم

(٤)

ادارة احمد السننى

### عمالات الجزيرة وعمالها

كانت الجزيرة في عهد الفنج قلب المملكة النابض ، فكانت كلها ، الا طرفا يسيرا من شمالها ، تحت اشراف سلاطين الفنج المباشر<sup>١</sup> ، وفي التركية نالت الجزيرة قدرا كبيرا من الاهتمام ، خاصة في اول الفتح ، فأسست بها عاصمتان سنار ومدنسى ، واخيرا نقلت العاصمة الى الخرطوم<sup>٢</sup> . وفي العهد المهدوى لقيت الجزيرة اهتماما خاصا ، منذ بداية الدعوة حتى نهاية عهد الخليفة ، لاسيما الجزء الشمالى الذى كان تحت ادارة احمد السنى<sup>٣</sup> .

وليس هناك وجه شبه بين هذه الادارات الثلاثة ، من حيث التقسيمات الادارية او النظم الادارية الاخرى ، الا ان أبرز شىء نجحت فيه الادارة الفنجية والادارة التركية هو السيطرة على الأمن ، الاولى نجحت عن طريق سلطة رؤوس القبائل<sup>٤</sup> ، والثانية عن طريق قوة الجند<sup>٥</sup> . اما المهدية فقد فشلت في ضبط الأمن والنظام

١ لتفصيل تقسيمات دولة الفنج انظر : ص ٣٢

٢ لمزيد التفصيل انظر : ص ٣٤

٣ لتفصيل الحديث عن احمد السنى انظر : ص ١٥٦-١٨٢

٤ لمزيد الحديث عن نظام الفنج الادارى انظر : ص ٣٢ x \*\*\*

٥ انظر : ص ٣٢ ، ٣٦

في الجزيرة ، الى حد كبير ، كما ستوضح الفصول التالية . لكن هذه الادارات الثلاثة نجحت جميعها في جباية الاموال من الناس ، كل بوسيلتها الخاصة <sup>١</sup> .

✓ ان الجزيرة ، كما سنرى ، بعد تحديد تقسيماتها الادارية في مايلي ، أصبحت كلها خاضعة للنفوذ المهدوي ، أما فعلا أو اسما . فقسمت الى تقسيمات ادارية ، اكبر شئ فيها ما كان يعرف بـ " العمالة " ويجلس على قمة ادارتها " عامل " وقد ادخل المهدى لفظ عامل في الاستعمال منذ مايو ١٨٨٤م <sup>٢</sup> ، ولعل العمالة اقرب شئ ، مما نعرف اليوم ، الى المديرية او المحافظة ، وان لم تكن العمالة دائما وحدة جغرافية متصلة الرقعة ، لقد كان هنالك نوعان من العمالات ، من حيث طبيعة الادارة . عمالات عسكرية يقوم على امرها قائد عسكري يعاونه عدد من صغار العسكريين والمدنيين ، وعمالات مدنية لاعلاقة لها بالعسكرية ، ومسئوليتها لدى المردمان مباشرة ، وكل عمالات الجزيرة كانت عمالات مدنية <sup>٣</sup> .

كان بالجزيرة عمالات ذات حدود ومتصلة الرقعة الارضية ، اي انه يمكن ان نقول عنها : ان بقعتها تحد شمالا وشرقا وغربا وجنوبا بكذا وكذا ، وكان هناك نوع

١ لبعض التوضيح عن الفنج انظر : ص ٣٢ ، وعن التركيبة انظر : ص ٣٤ ، وسياتي تفصيل الحديث عن المهدية في بقية هذا الباب .

٢ لتفصيل ذلك انظر : ص ١٣٠ بالهامش رقم ٢

٣ لمزيد التفصيل عن عمالات دولة المهدية انظر : ص ٦٩-٧٠

آخر من العمالات لا يمكن تحديده ، بعضه كان عمالات قبلية مثل عمالة رفاعه الهوى ،  
التي كان عليها المرضى ابوروف ، وعمالة بنى حسين ، التي كان عليها النور ولد عيسى<sup>١</sup> ،  
وعمالة الاطيان ، التي كانت تشمل اطيان الفسى والغنيمة ، الواقعة ما بين جهة الدندر  
وفامكة جنوبا وشرقا ، وقوز آبي جمعة غربا وحدود عمالتي شرق الاقليم وغربه شمالا<sup>٢</sup> .  
لم تكن عمالة الاطيان تمتد على كل هذه الرقعة التي شملها تعريف حدود العمالة ، وانما  
كانت تدخل عمالات اخرى ، اى ان سلطة عاملها كانت على مناطق بعينها ، داخل  
هذا الاطار ، فكانت سلطته مقصورة على اراضي الفسى والغنيمة ، لاتتعداها الى بقية  
الارض وغيرها من الممتلكات<sup>٣</sup> . ومثل عمالة الاطيان في الصفة عمالة المهاجرين من  
البقارة المستجلبين من الغرب ، وكانوا يزرعون بالجزيرة ، وقد شاء المستر هولت ان  
يطلق على هذا النوع الاخير من العمالات ، اى الذى لاتتصل رقعه او تحده حدود  
جغرافية ، عبارة " شبه عمالة " حتى يميز بينه وبين العمالة ذات الحدود<sup>٤</sup> .

- 
- ١ مهدية ١/٢/١٧ : من عدلان محمد سرور للخليفة : جماد اول ١٣٠٥ / من ١٥ يناير -  
١٣ فبراير ١٨٨٦ .
  - ايضا : مهدية ١٥/٢/١٧٥٠ : من محمد ولد احمد للخليفة : ٢ ربيع اخر ١٣٠٥ هـ  
٢٣ ديسمبر ١٨٨٥
  - ٢ عمالتا شرق الاقليم وغربه معرفتان : ص ٦٩-٧٠ ايضا : انظر مهدية ١/٩/٤٢ :  
١ عمالات الخليفة وعمالة : ٢٢ جماد اخر ١٣١٣ / ١٠ ديسمبر ١٨٩٥
  - ٣ لتفصيل الحديث عن دخل عمالة الاطيان ومعنى الاطيان والغنيمة انظر : ص ٢٣٠
  - ٤ Holt : Mahdist State : p. 226



وكانت العمال بدورها مقسمة الى وحدات صغرى تعرف بمـ " الاقسام " واقسام جمع " قسم " وكان يشرف على ادارة القسم وكيل او اكثر ، ومع كل وكيل " كاتب " وعدد من " المناديب " يقومون بجمع الزكوات ونحوها من اموال الدولة ، والمناديب هم المنتدبون لهذه الاعمال وفردوا " مندوب " ، وكانت اصغر وحدة ادارية في الجزيرة هي " الخط " وجمعه " اخطاط " و " خطوط " والخط يشمل عددا من الحلال ، وقد يحمل بالخط الواحد مندوب او اكثر حسب حجمه ، وهذا المندوب كان يستعين بالعمد والاعيان في كل خط او حله <sup>١</sup> .

ان تقسيم الجزيرة الى عمالات امر جاء متأخرا نوعا ما وليس منذ اول وهلمسة سقطت فيها الجزيرة في يد الانصار ، فكانت قبل عهد احمد السنـى مقسمة الى " اقسام " صغيرة مثل قسم الخرطوم الذى يقع شمال خط <sup>وود الزاكي</sup> فداسى والزراكي على النيل الازرق والابيض بالتالى . وهناك قسمان آخران يعرفان بقسم مدنى وقسم عبود جنوب قسم الخرطوم

---

١ مهدية ١/٤٣/٨ : بيان خدماة الجزيرة والشرق التابعين لاحمد السنـى : بدون تاريخ . ايضا : مهدية ١/٩/١٢٠ : كشف مذكورين عمد واعيان وخيرات اهل الى اقسام الجزيرة وهوى البحر الابيض : بدون تاريخ .  
 ايضا : مهدية ١/٩/١٤٠ : من احمد السنـى للخليفة : ١٥ رمضان ١٣١٤هـ / ١٢ فبراير ١٨٩٢ م .  
 ايضا : مهدية ١/٩/٧٣ : من احمد السنـى للخليفة : ١٤ رجب ١٣١٢هـ / ١١ يناير ١٨٩٥ . ايضا : بابكر بدري : ص ١١٢

هذا وفي أقصى جنوب الجزيرة عند جبال ادريس حيث تنتهي السلطة المهدوية  
الفعلية نجد عمالة تعرف بعمالة عدلان محمد سرور<sup>١</sup> .

وكانت المنطقة الواقعة تحت إدارة عدلان محمد سرور هذه تعرف باسماء  
كثيرة ، مثل منطقة او عمالة جبال ادريس<sup>٢</sup> ، او جبال الفنج<sup>٣</sup> ، او جبال الصعيد<sup>٤</sup> ، او  
جبال قلى<sup>٥</sup> ، لانها كانت تشمل كل هذه المناطق ، ولم نجد لها حدودا معينة  
معرفة في وثائق المهدية . وظل عدلان عاملا على هذه المنطقة ، منذ أن عاد من  
کردفان بعد هلاك الجردة الهكسية ، الى نهاية عهد المهدية<sup>٦</sup> .

Holt : Mahdist State : p. 226

- ١ ولمزيد من التفصيل عن عمالة عدلان محمد سرور انظر ص ١٣٠-١٤٥
- ٢ نسبة الى ادريس الهمجي الذي حكم هذه الجبال بعد الفنج التركي المصري  
انظر : شقير : ص ٦٧
- ٣ مهديّة ١٣/٢/٤٧ : من مقادير جبال الفنج للخليفة ١٣٠٢/١١/٢١ أكتوبر ١٨٨٤م -  
٢٠ نوفمبر ١٨٨٤م
- ٤ مهديّة ٢٧/٢/١١/١٩٧ : من مقادير الجبال الموضحة الى عدلان محمد سرور :  
القعد ١٣١٤هـ / ٤ ابريل - ٣ مايو ١٨٨٧م
- ٥ مهديّة ١/٤٣/٨ : بيان خدماة الجزيرة والشرق : بدون تاريخ
- ٦ مهديّة ٢/١٣/٢/٤٣ : من مقادير جبال الفنج للخليفة : ١٣٠٢هـ / ٢١ أكتوبر -  
٢٠ نوفمبر ١٨٨٤م
- ايضا : مهديّة ٢/٧/٦ : من عدلان محمد سرور ليعقوب : ٤ ربيع اول ١٣١٦ /  
٢٢ يوليو ١٨٩٨م .

أما في شمال الجزيرة فلم يهتم المهدي في أول عهده الإدارة - إذا تجاوزنا في معنى الإدارة - لم يهتمها كل الاهتمام حتى قبل أن تسقط سننار. فحينما هاجر المهدي إلى قدير اسند وكالة إلى الشيخ محمد الطيب البصير<sup>١</sup> لأخذ البيعة له وتشجيع الهجرة إلى قدير وجعله نائبا عنه بل كنفسه في جميع الأمور ووصفه بأنه "الأمين على حقوق الله تعالى"<sup>٢</sup>.

وعندما تحرك المهدي نحو الخرطوم جعل الجزيرة كلها تحت إمارة محمد عثمان أبو قرعة الدنقلاوي أمير البرين والبحرين<sup>٣</sup>، ولكن حينما قلت منزلة أبي قرعة، في عهد الخليفة، اسندت عمالة الجزيرة إلى يونس الدكيم، ابن عم الخليفة، لمدة عام واحد. ثم تعاقب على شمال الجزيرة عمال مختلفون مثل عمر أزرق الجعلي وأبراهيم النور إبراهيم الجريفاوي<sup>٤</sup>، الذي كان أبوه أمينا على بيت المال منذ سنة ١٨٨٩ - ١٨٩٣ م<sup>٥</sup>.

١ لمزيد من التفصيل عن محمد الطيب البصير انظر الباب الاخير : ص ٢٠١-٢١٢

٢ شقير : ص ٦٤٨-٦٥٠

٣ لتفصيل ذلك وتوضيحه انظر ص ٢٠٧

٤ Reid : Notes : p. 16

ايضا : لمزيد من التفصيل عن يونس الدكيم انظر : ص ١٤٦-١٥٥

٥ امناء بيت المال Intel : 9/2/25/1

وقد استقيننا حقيقة أنه ابن النور إبراهيم الجريفاوي من الشيخ دفع الله محمد امام حبوبه بالحلاوين.

وحيثما احست دولة المهديّة في عهد الخليفة بأهمية هذا القسم ، أعنى شمال الجزيرة ، وحدته تحت ادارى حازم نشط هو احمد السنّى<sup>١</sup> . فلأصبح اسم هذه الوحدة الادارية " عمالة الجزيرة " وكانت عمالة الجزيرة تمتد " من مكسروم ( المقنن ) الى جبال ادريس والشايطى الشرقى من النيل الازرق من العيلفون الى سيرو وسيرو تقابل كركوج ، على الضفة الشرقية للنيل الازرق ، بجهات سنار . وقد ظل احمد السنّى مسئولا عن عمالة الجزيرة منذ سنة ١٢٠٨هـ / ١٨٩٠-١٨٩١م - ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م<sup>٢</sup> .

وقد كان احمد السنّى يلقب " بعامل عموم الجزيرة " وهذا اللقب لا يعبر عن واقع سلطات احمد السنّى ، التى لم تكن تشمل الجزيرة كما عرفناها<sup>٣</sup> ، كما اننا قد لاحظنا فى تحديد عمالة احمد السنّى انها تخرج عن نطاق الجزيرة المعروف " بالهوى "

- ١ لمزيد من التفاصيل عن احمد السنّى انظر : ص ١٥٦-١٨٢
- ٢ مهديّة ١/٩/١٠٢ : من احمد السنّى للخليفة : ٢٦ رجب ١٣١٣هـ / ١٢ يناير ١٨٩٦م
- مهديّة ١/٩/٢٤٧ : من احمد السنّى الى سردار الجيش المصرى : ٤ جماد اول ١٣١٦هـ / ١٩ سبتمبر ١٨٩٨م
- ونرجح ان تعيين احمد السنّى تتم فى محرم اوصفر ١٣٠٨هـ / اغسطس أو سبتمبر ١٨٩٠م لان تعيين العمال كان يحدث عادة فى اول العام الهجرى كما وضحنا ذلك ص من البحث
- ٣ انظر : ص ٢

الى شاطئ النيل الأزرق الشرقى المعروف "بالشرق" <sup>١</sup>.

✱

وقد توسعت عمالة احمد السنى هذه ، فيما بعد ، حتى ابتلعت عمالات  
ولجزء من عمالات . كانت هنالك عمالة فى وسط الجزيرة ، بجهات سنار ، تعرف  
بعمالة اقسام سنار ، تلاشى ذكر هذه العمالة فى وثائق المهديّة بعد عهد عاملها اعلم  
عوض الله ولعله كان آخر عامل عليها ، ومن بعده اضيفت الى احمد السنى ، لان  
خطابات احمد السنى للخليفة تثبت أن مناديب الزكاة التابعين لاحمد السنى كانوا  
مكلفين بجهات سنار ، كما تثبت ايضا ان رقابة احمد السنى الادارية شملت تلك  
المناطق <sup>٢</sup> . ولحل ضم سنار الى احمد السنى تم قبل تاريخ خطاب احمد السنى للخليفة

١ كان يطلق لفظ " الهوى " ، بهاء مضمومة وياء ساكنة ، على ما بين النيلين الازرق  
والابيض من ارض ، وكان يقال هوى البحرى الابيض وهوى البحر الازرق ، بحسب  
قرب المنطقة من احد النيلين اما لفظ " الشرق " فكانت تعرف به على وجه  
التخصيص المنطقة شرقى النيل الازرق ولا تزال هذه العبارات مستعملة .  
انظر : مهديه ١ / ٩ / ٢ / ٢٤٢ : من احمد السنى للخليفة : ربيع اول ١٣١٦ هـ /  
١٩ يوليو - ١٢ اغسطس ١٨٩٨ م

ايضا : مهديه ١ / ٩ / ١ / ٦٤ : من احمد السنى للخليفة : ٤ الحجة ١٣١١ هـ /  
٨ يونيه ١٨٩٤ م

٢ مهديه ٢ / ٩ / ٥ / ١٤٣ : محمد عثمان عوض الله وعبد المجيد عتيق للخليفة : ٤ جماد  
اول ١٣٠٧ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٨٨٩ م

ايضا : مهديه ١ / ٩ / ٢ / ١٦٣ : من احمد السنى للخليفة : ١٢ ربيع اخر ١٣١٥ هـ /  
٩ سبتمبر ١٨٩٧ م

الذى اشرنا اليه <sup>د</sup> اسفله ، وقد يكون منذ تولي احمد السننى عمالة الجزيرة عام ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م ، ان اخر عامل على عمالة اقسام سنار يرجع تاريخ اخر عمله الى ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م كما توضح الوثائق التى بين ايدينا ، وبعد هذا العام تولي احمد السننى عمالة الجزيرة كما هو واضح ، فأكبر ظننا ان عمالة سنار ضمت منذ عام ١٣٠٨ هـ / ١٨٨٩ م الى احمد السننى .

وضم الى عمالة الجزيرة ايضا فى ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م - ١٨٩٨ م عمالة كركوج " وحدودها من جهة السافل جزائر ولد ام دكوله ومن الصعيد الرصيرص وهى داخله ومن الغرب البحر " <sup>١</sup> . اما جزائر ولد ام دكوله فلم نجد من يعرف موقعها الحالى ، وعلى ان يكون اسمها تخير ، او اخذها النيل ، ولكن المفهوم منها انها تعنى حدود كركوج من ناحية سنار ، فهى فى مكان ما بين كركوج وسنار .

اما منطقة شرق النيل الازرق التى كانت تعرف " بشرق العاديك " ، والعاديك اسم غابر للنيل الازرق ، فقد كان عليها عامل يدعى بلال القريشى قبل ان تضم الى

١ مهدية ١٢٥ / ٢ / ٩ / ١ : من احمد السننى للخليفة : غرة جمادى آخر ١٣١٥ هـ /

السنى احمد السنى ، ولكنها ضمت الى احمد السنى فى منتصف ١٣١٤ هـ / اواخر ١٨٩٢ م<sup>١</sup> ، وبذلك تكون عمالة الجزيرة قد شملت كل شمال الجزيرة وبعض اواسطها ، الى جانب عمالة المهاجرين التى اشرفنا اليها فى مطلع هذا الفصل ، كانت هذه العمالة تحت ادارة الشيخ عبد المجيد عفيف ، حتى اوائل ١٣١٥ هـ / اواخر ١٨٩٢ م أو اوائل ١٨٩٨ م ، ثم اضيفت الى احمد السنى فاصبحت جزءا<sup>٢</sup> من عمالته .

لما اقصى جنوب الجزيرة فقد كان به عاملان ، لم تكونا ذات اهمية كبرى ، انشئت فى مكان مديرية فشودة القديمة ، ويبدو ان سيطرة الخليفة عليهما ، واصراراه على انتسابهما لدولة المهديّة ، كان المراد به فرض النفوذ ، لأن قبائل الدينكا والشك

Holt: Hadhist State : p. 226

١ ايضا : مهديه ١٢٩ / ١ / ١ / ١ من احمد السنى للخليفة : ٢٩ ربيع اخر ١٣١٤ هـ / ١٨ اكتوبر ١٨٩٦ م

ايضا مهديه ٢٣٦ / ٥ / ٧ / ٢ : من بلال القريش للخليفة .

٢ مهديه ٤٢٠ / ٤ / ٣٢ / ٢ : من الخليفة الى عبد المجيد عفيف : ١٨ ربيع اول ١٣١١ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨٩٣ م

ايضا : مهديه ٧٧ / ١١ / ٧ / ٢ : من احمد السنى للخليفة : ١٦ جماد اول ١٣١٥ هـ / ١٣ اكتوبر ١٨٩٢ م

ايضا : مهديه ٥٠٨ / ٨ / ٣٢ / ٢ : من الخليفة الى كافة الانصار المهاجرين الزراعيين بالجزيرة : ٨ ربيع اول ١٣١٥ هـ / ٢ اغسطس ١٨٩٢ م

كانت تهدد الحدود الجنوبية لدولة المهديّة ، فان اهل امها سببت خطرا على الدولة ، لم يكن هنالك عامل دائم على عمالتي الشك والدينكا ، وانما " كان الخليفة يرسل الى هاتين العمالتين هدايا بواسطة عمالة ، وكانوا يرسلون له مقابل ذلك هدايا من العبيد والعسل " . كان الخليفة يبحث عماله الى هناك فيأتونه بهذه الهدايا من عبيد وعسل ونحو ذلك <sup>١</sup> .

اما عمالة الاطيان ، التي اشرنا اليها في بداية هذا الفصل ، ووضحنا حدودها . فانها في نحو ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م كان عليها عامل يدعى احمد ابراهيم . وشرق الاقليم وغربه ، المذكورتان في حدود هذه العمالة ، هما عمالتا اقليم الحلفايه ، الواقعتان على حدود الجزيرة الشمالية . وتبدأ من سوبا والبقعة وتنتهيان عند حجر العسل — على ضفتي النيل — على التوالي <sup>٢</sup> .

١ مهديه ١ / ٤٢ / ٨ / ٧ : عمالات الخليفة وعماله : بدون تاريخ

ايضا : شقير : ص ١٢٥٠

٢ مهديه ١ / ٤٢ / ٨ / ١٢ : من الخليفة الى الاهالي الزراعين اطيان الغنائم والسفسي

وداخلين في الحدود الموضحة : ٢١ ربيع آخر ١٣١٤ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨٩٦ م

ايضا : مهديه ١ / ٤٢ / ٩ / ١ : عمالات الخليفة وعماله : ٢٢ جماد آخر ١٣١٣ هـ /

١٠ ديسمبر ١٨٩٥

ايضا : لمزيد من التفصيل عن عمالات دولة المهديّة انظر : ص ٦٩ - ٧٠



وقد ظلت جهات بنى شنقول ، فى جنوب شرقى الجزيرة ، تناصب دولة الخليفة العداء ، ولم تخضع لها ، ولو خضوعا اسميا ، حتى ارغمت على ذلك ارغاما ، فى آخر عهد المهديّة • وكانت بنى شنقول هذه تحت سلطة مك يدعى عبد الرحمن تور القورى • وقد ارغم تور القورى على الخضوع للخليفة فى ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ، ثم عفا عنه الخليفة ، وكتب له بذلك بواسطة احمد السنى <sup>١</sup> .

ان عمالات الجزيرة كلها ، كما رأينا اعلاه ، تعتبر عمالات مدنية ، لاصلة لها بالادارات العسكرية ، اللهم الا اذا استثنينا فترة حكم يونس الديكيم <sup>٢</sup> ، وعليه فان طاقم الادارة فيها ، من موظفين ونحوهم ، كان على النمط التقليدى السائد فى جميع العمالات غير العسكرية فى دولة المهديّة <sup>٣</sup> . الا انه كان هنالك نوع من الوظائف تخلقه الحاجة الوقتية فى بعض العمالات وسنتعرض لذلك حينما نتحدث عن ادارة كل عامل فيما يلى •

Cairint 1/31/170

١

ايضا : مهديّة ١ / ٩ / ٢٢٨ : من احمد السنى للخليفة : غاية صفر ١٣١٦هـ /

١٨ يوليو ١٨٩٨

٢ انظر : ص ٧٠ ومطابقا ١٢٦ - ١٥٥

٣ لتفصيل ذلك انظر : ص ٦٩ - ٧٠

وتجدر الإشارة هنا الى أن هنالك نوعا من الوظائف أيضا ، خارج عمن جهاز الادارة التقليدى ، عرفته الجزيرة فى اوائل عهد المهدية ، وهما وظيفتا "المحتسب" و "مصلح السوق" فواجب المحتسب ان يقوم بخدمة الزكوات ، اى جمعها فى الحلة ، وان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بما له من سلطة بين الناس ، وله من السلطات القضائية ما يمكنه من الانابة عن القاضى ، اذا غاب <sup>١</sup> . اما مصلح السوق فقد كان مستقلا تمام الاستقلال عن العامل ، ولا سلطة للعامل عليه ، ومسئوليته لدى الخليفة فى امدان رأسا ، وعلى مصلح السوق أن يجد فى تقويم الدين ، اى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالسوق والحلة المكلف بها ، وان يجمع الهوامل والفطر ويرسلها الى امدان ، والناس مكلفون بالسمع والطاعة له فى هذه الحدود <sup>٢</sup> .

وجدير بالذكر ان هاتين الوظيفتين لايرد لهما ذكر فى آخر عهد المهدية بالجزيرة ، اعنى بعد أن تولى احمد السنى ، وحدثت التنظيمات الادارية التى جمعت كل الوحدات الادارية ، فى عمالة الجزيرة ، فى يد احمد السنى .

---

١ مهديـة ٢٣ / ٢ / ٣ / ٢ : من عبد الرحمن الحاج رياح محتسب حلة الحيلفون للخليفة ؛ ٢٨ شوال ١٣٠٢ هـ / ١١ اغسطس ١٨٨٥ م

٢ مهديـة ٥١٦ / ٢ / ١ / ٣ : من الخليفة الى كافة اهالى المسلمية : ٢٥ الحجة ١٣٠٢ هـ / ٦ اكتوبر ١٨٨٥ م

على أنه ، بمقارنة سلطات المحتسب ومصلح السوق معا ، نلاحظ ان الوظيفتين ،  
 اذا اجتمعتا ، تشكلان وظيفة المحتسب في الدولة الاسلامية ، فقد كان المحتسب يلاحظ  
 سلوك الناس في الاسواق والطرق ، ويمنع كل ما ينافي الخلق القويم والدين ، ويحول  
 دون كل ما يعود بالضرر على الناس ، كما انه كان ، أحيانا يجلس للقضاء ، وقد  
 توسعت سلطته في آخر عهد الدولة الاسلامية حتى امر رجال الشرطة أن يقوموا  
 بتنفيذ أحكامه<sup>١</sup> .

---

١ حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية : الطبعة الثالثة : القاهرة

١٩٦٢ م : ص ٢٩٩ .

( فيما يلي نشير اليه : حسن ابراهيم حسن واخوه )

### ادارة عدلان محمد سرور

ان منطقة جبال الفنج ، التي عرفت في عهد المهديّة " بعمالة عدلان محمد سرور " أو بالاسماء الاخرى التي اشرنا اليها في الفصل السابق<sup>١</sup> ، كانت واقعة تحت السيطرة الفنجية ، الى حد كبير ، فقد كان معظم " ملوك " جبالها و " مقاديمها "<sup>٢</sup> من اصل فنجي ، وقد ظل الامر كذلك حتى عهد المهديّة . ولذلك فانه ليس غريبا ان يولي عدلان عاملا على هذه المنطقة ، وهو ينقسم اصلا الى ملوك الفنج .

١ انظر : ص ١٢٠

٢ كانت الرتب الحربية في المهديّة كالآتي " الخلفاء " " فالامراء " فـ " المقاديم " ، وهي جمع " خليفة " و " امير " و " مقدم " أو " مقدم " على التتالي . ولما ورثت المهديّة الادارة التركية حكم بعض امراء الرايات الارض التي احتلوها فحمل لفظ " الامير " و " المقدم " معنى جديدا مع المعنى العسكري ، ورغم ان المهدي في رجب ١٣٠١ هـ / مايو ١٨٨٤ م امر باستبدال " امير " بعامل و " مقدم " بـ " نجيب " أو " نقيب " الا ان لفظ الامير والمقدم والمقدم ظل مستعملا عند الناس وحتى المكاتبات الرسمية اصبحت تحمله في عهد الخليفة . هذا وان لفظ مقدم كان يستعمل في دارفور لحاكم الاقليم من السلطنة . انظر : 105-106 Holt : Mahdist State : p.p. . أيضا انظر : ص ٧٠ من البحث

أما لفظ مك فترجح انه اختصار مرادف لكلمة ملك الحربية فقد استعمل بهذا المعنى في كثير من مصادر تاريخ السودان ، مثل مخطوطة كاتب الشونة ، ونجوم شقير ، ولقب بـ ملوك الشايقية والجعليين والفنج والنوبة وغيرهم من ملوك المشيخات الصغيرة قبل العهد التركي المصري .

انظر : شقير : ص ١٢٨ ، ٤١٦ ، ٣٨٨ وما بعدها

أيضا : كاتب الشونة : ص ٣ و ٤

كان عدلان في طليعة الذين هاجروا الى المهدي في قدير ، من منطقة جبال الفنج . وقد حضر مع المهدي واقعة شيكان ، التي حدثت في الخامس من نوفمبر ١٨٨٣ م ، فأمره المهدي على قومه ، وبحث به عاملا على منطقته <sup>١</sup> .

لقد نال عدلان حظا طيبا من التربية المهدوية في دار الهجرة " قدير " وتأثر كثيرا بتلك التربية ، حتى ظل يحتفظ بقدر كبير من الولاء للمهدي وللخليفة من بعده ، فكان عدلان يحن الى بقعة المهدي ، ويشتاق اليها ، ويبعث ابناؤه الصغار ليشربوا من مهبل التعاليم المهدوية العذب ، وتتوقد قلوبهم بانوار مهديها <sup>٢</sup> . ولعله لهذه الامانة وهذا الوفاء كان عدلان مقربا لدى المهدي ، وحبيبا وصفا من أصفياه الخليفة عبد الله . لقد امتدت الصلة بينه وبين الخليفة حتى طلب الخليفة أن يكون ختنا لعدلان فوافق ، عدلان أن يزوجه بنته نصره ، البالغة من العمر تسع سنوات <sup>٣</sup> .

قد يخطر على البال أن زواج الخليفة من بنت عدلان ربما ينم عن معننى سياسى ، ولكن الذى يهمنا فى هذا المقام ليس دافع الزواج ولكن الشئ الذى

١ مهديه ١٣/٢/٤٧ : من مقادير جبال الفنج للخليفة : ٢٧ القعدة ١٣٠٢هـ / ٨ سبتمبر ١٨٨٥ م . ولقد أكد لنا هذه الحقيقة الشيخ السنوسى ضيه بسنار ايضا

٢ مهديه ١/٩/٦٢ : محمد عدلان محمد سرور للخليفة : ٢٦ ربيع اخر ١٣٠٥هـ / ١١ يناير ١٨٨٨ م

٣ مهديه ١/٩/٦٢ : من عدلان محمد سرور للخليفة : ٢٧ الحجة ١٣١٤هـ / ٣٠ مايو ١٨٩٧ م

يعنيه الزواج ، فهو لاشك يعنى تدخلا وامتزاجا ونوعا من القربى والحظوة ، التى لاتتاح لكل الناس ، ولها اثارها فى الاعمال الرسمية كما لها اثرها فى الصلات الشخصية .

لا عجب ان ان يعتمد الخليفة فى منطقة نائية وحرة تقع فى أقصى اطراف الدولة الشرقية ، لم يستقر فيها الاسلام فضلا عن تعاليم المهدية ، لا عجب ان يعتمد على عدلان محمدين سرور . لقد كانت المهدية تبغى رفع رايتهما ثابتة ، ونشر تعاليمهما فى هذه المناطق ، التى تقع على الحدود وتمثل مصدر الخطر ، وقد رأينا ان ثور القورى ظل يتحدى الخليفة حتى اواخر عهد المهدية <sup>١</sup> .

تعتبر عمالة عدلان من العمالات المدنية ، رغم ان عدلان كان قائد قومه فى الحرب فقد قادهم فى حصار سنار ١٨٨٥ م <sup>٢</sup> . ولكن لم يكن بعمالته جيش ثابت ، ولم يكن عدلان مكفيا بالمراقبة على ثغر من الثغور . لذلك فان ادارته كانت على نمط الادارة المدنية فى عمالات المهدية <sup>٣</sup> . فبالاضافة الى الوظائف الاربعة الكبرى

١ انظر الفصل السابق : ص ١١٦-١٢٩

٢ مهديه ٢/١٣/٢ : من مقادير جبال الفنج للخليفة : ٢٧ القعدة ١٣٠٢ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٨٥

٣ لتفصيل ذلك انظر ص ٢٠

التقليدية في العملات المدنية كان لعدلان " نائب للشرع " هو الشيخ محمد الباقر  
الولي اسماعيل . وهو المسئول الاول عن جهاز القضاء في العمالة ، وكان له مساعدون  
في اجزاء العمالة المختلفة يعرفون بوكلاء نائب الشرع ومسئولية نائب الشرع هذا ، ففى  
جميع عمالات الجزيرة ، كانت لدى الخليفة مباشرة ، يحيل الى الخليفة المستعصى  
من القضايا ، او القضايا الكبرى المتعلقة بأمن الدولة ونحوه من كبريات الامور <sup>١</sup> .

وكانت السلطة الادارة ، بعد العامل ، موزعة بين مكوك الجبال ومشائخهم <sup>٢</sup>  
ومقاديمها — واننا نلاحظ ان المك والشيخ ظلّا يحملان لقب المقدم أحيانا الى جانب  
لقب شيخ ومك القديمين فلعل المهدية حاولت القضاء على الالقب الموروثة منذ ما قبل  
المهدية واستبدالها باصطلاحات المهدية الادارية الجديدة <sup>٣</sup> .

١ مهديه ١٢٠/٧/٢٣/٢ : من مكوك ومشائخ ومقاديم جبال الفنج للخليفة : ١٤ رجب  
١٣١٠ هـ / ٢ فبراير ١٨٩٣ م

٢ ايضا : انظر حديثنا عن نواب الشرع في عمالة الجزيرة : ص ١٥٩-١٦٠  
" مشائخ " جمع " شيخ " ، وقد كانت تستعمل في عهد الفنج لرأس القبيلة صاحب  
الكلمة فيها مثل مشائخ العبدلاب ومشائخ الكماتير وغيرهم من مشائخ المشيخات وقد  
كانت اللقب الرسمي لرؤوس العبدلاب ، فاصبح معناها ما مرادفا لمك وملك .  
انظر : كاتب الشونه : ص ٥٠-٤٩

ايضا : شقير : ص ٣٨٦ ، ٤٣١-٤٢١

٣ مهديه ١٢٠/٧/٢٣/٢ : محروض من مكوك ومشائخ ومقاديم جبال الفنج : ١٤ رجب  
١٣١٠ هـ / ٢ فبراير ١٨٩٣ م

هذا الجهاز الادارى مبسط للغاية ، وبصورته هذه ، لايتحدى خدمة  
الاغراض المالية كثيرا ، ولذلك كان عجز الادارة واضحا فى النواحي الاجتماعية والعمرانية ،  
وغيرها ولا تكاد تجد لها اثرا فى المنطقة نفسها ، ولا فى وثائق المهديّة ، التى يمين  
ايدينا . والامر الثانى ان هذه الادارة كان ينقصها نظام متين للشرطة ، لحفظ الامن  
ويعين على الاستقرار فى العمالة .

ان مقاومة العامل وزعزعة الامن لديه كانت امرا هينا فى عمالة عدلان ، فلم  
يكن لديه مايقاوم به ذلك ، وشاهد ذلك أنه فى اواخر عام ١٣١٤هـ / اواسط ١٨٩٧م  
فخرج على عدلان وتمرد على سلطته الملك حمدان مك جبل الكيلى ، ويبدو ان الملك  
المذكور كان قوى المركز ، فانه كثيرا ماكان يتهدى على سكان الجبال ، فى الخريف ،  
ويسبى نساءهم واولادهم لانه كان لديه اسلحة نارية تضمن له الغلبة ، وكان يخرب  
ويفسد ما استطاع الى ذلك سبيلا<sup>١</sup> . لم يكن عدلان يستطيع الحيلولة دون اى حدث  
من هذا القبيل وانما كان كل مايستطيع عمله ان يرفعه الخليفة .

---

١ مهديه ١٢٧/٢/٢٧/٢ : من بعض مكوك ومقاديم الجبال للخليفة : ٢٥ القعدة  
١٣١٤هـ / ٢٨ ابريل ١٨٩٧م



وقد لاحظ عدلان عجزه وضعفه فطلب التسليح من يعقوب ، وكرر ذلك للخليفة نفسه ، ولكن اهتمام السلطة انما كان بجباية المال ، لا بتهديم الاحوال وتحسين الامن الداخلى والاستقرار<sup>١</sup> .

وقد بلغت الفوضى حدا بعيدا فى عمالة الجبال مما اغرى بعضهم بمنازعة عدلان الامارة على الجهة وحرره . ففى سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤-١٨٨٥م - اوقبل ذلك بقليل - حاول المدعو ابراهيم ادريس ابعاد عدلان عن كرسيه والتسلق الى مكائه - ولم تكن هذه اول محاولة - وقد حسم المهدي الامر بتولية عدلان وتعزيزه باكثر من خطاب واحد .

وبينما كان عدلان غائبا فى حصار سنار هجم ، على عمالته احد الامراء ، يدعى الطيب الصليحاني ، من جهة النيل الابيض ، ومعه عدد من الجهدية ، فاستباح النساء وقتك باهل المنطقة وذهب مالهديهم من مال ، واخذ الزكاة التى جمعها السكان ليرسلوها الى عاملهم عدلان بسنار ، ولم تنقذ قصة الطيب الصليحاني حتى بلغ الخبر سنسار فارسل محمد عبد الكريم عدلان ، ومعه جيش ، ومعهم الشيخ احمد المكاشفى الذى استعمل

---

١ مهدية ٢٤/٢/٩/١ : من عدلان محمد سرور للخليفة : ٢٥ القعدة ١٣١٤هـ / ٢٨ ابريل ١٨٩٧ .

الحكمة في انتهاء الامر ، بعد ان عجز عدلان عن حله بالحرب <sup>١</sup> .

وقد ظل بقاء عدلان في كرسى العمالة مهددا ، طوال مدة حكمه ، ففي  
اواسط عام ١٣١٠ هـ / اوائل ١٨٩٣ م شق عليه عصا الطاعة ، احد اقربائه ، ممن  
الفنج المنتمين الى البيوت الحاكمة في الجبال ، يدعى ادريس ود رجب <sup>٢</sup> . واتسعت  
دائرة الشقاق والنزاع بين عدلان وادريس ، وقوى مركز ادريس حتى اوشك ان يخلع  
عدلان من كرسيه ويحل محله ، وكتبت الخطابات في هذا الامر للخليفة عبد الله السدي  
لتنادى الى حل القضية احد الامراء ويدعى محمد عبد الله .

وافلح ادريس رجب في كسب جانب الامير محمد عبد الله فانحاز الاخير الى  
جانبه ، وحاول محاولات عديدة ان يحمل المكوك والمشائخ الخضوع لسلطة ادريس ،  
وخلع سلطة عدلان ، ولكنه لم يوفق في التوصل الى حل بات في امرهما ، بل ثار  
ضده بعض مكوك الجبال ، وطعنوا في حكمه للخليفة . ولعل نائب الشرع ، محمد الولي  
اسماعيل ، كان منحازا الى جانب ادريس رجب في هذا الصراع . واخيرا ومن غير سبب

١ مهديه ٢/١٣/٤٧ : من مقادير جبال الفنج للخليفة : ٢٧ القعدة ١٣٠٢ هـ /

١٢ ديسمبر ١٨٨٥

٢ الشيخ السنوسي ضيه هو الذي اكد لنا صلة القرابة بين ادريس رجب وعدلان محمد  
سرور وهو يعرفهما فعرفه شخصية ويذكر هذا الحدث بالذات .

واضح خابت محاولات ادريس رجب ، وظل عدلان على كرسيه <sup>١</sup> .

هذه الامثلة جميعها توضح ان الأمن في عمالة الجبال كان مفقودا ، وان سلطة العامل لم تكن تعزز بالقوة التي تمكنه من احاطة مركزه بحرم حصين منيع . فكان يعتمد على ادمرمان ، حتى في حل اشكالاته الداخلية ، ولعل السبب ، في كثرة النزاع في هذه المنطقة ، أن المكوك والمشائخ تعودوا ، منذ عهد الفنج ، على نوع من الاستقلال ، لم يجدوه في المهدية ، فأصبح العامل في الجبال هو وسيلة الصلوة بينهم وبين رأس الدولة ، وهو المكلّف بجباية الاموال جباية مباشرة ، وليس كما كان يحدث في دولة الفنج ، ان يدفع المشائخ حصة معينة من الضريبة <sup>٢</sup> ، لكن هذا كله كان ممكنا ضبطه والسيطرة عليه لو اعطى العامل من الجند والسلاح والقوة ما يمكنه من ردع كل خارج وقمع كل فتنة .

وكانت هنالك مشكلة ادارية كبرى - لم يعاني منها عدلان وحده - وانما كان يعاني منها احمد السنّي كذلك كما سنرى في الحديث عن ادارة احمد السنّي ،

١ مهديه ١١٤ / ٢ / ٢٣ : من مقادير جبال الفنج للخليفة : ١٠ رجب ١٣١٠ هـ /  
 ٢٩ يناير ١٨٩٣  
 ايضا : مهديه ١٢٠ / ٢ / ٢٣ : من مقادير جبال الفنج للخليفة : ١٤ رجب ١٣١٠ /  
 ٢ فبراير ١٨٩٣  
 ٢ لتفصيل وضع حكام الاقاليم في دولة الفنج انظر : ص ٢٢ ٢٣

وهي مشكلة تداخل السلطات ، فقد كان الخليفة يؤمّر الرجل على قومه ، ولا يوضح له حدود سلطانه ، وكان يجعله قائدا على جيش أو فرقة من الجيوش ويأمره بالاستقرار في موضع كذا وكذا ولا يوضح له الحد الفاصلي بينه وبين عامل المنطقة <sup>١</sup> . وقد لقي عدلان عتقا شديدا من هذا التداخل في السلطة ، حينما اعتدى محمود آدم ، المنتدب من الخليفة لاستنفار كنانه والعمارنه وآخرين ، اعتدى على سكان جبل ويركت ، بدعوى انهم من التابعين له ، لان بينهم بعض كنانه او العمارنه ، وأخذ من كل فرد مبلغ ريسال ، وظالبهم بمقدار من الدموور ، وعاقبهم بالضرب ، لأنهم اعطوا حقوق الله للامير عبد الله ود ابراهيم ، قائد السرية التي قاتلت المرضى ابوروف <sup>٢</sup> - وكان سكان ويركت قد دفعوا لعبد الله ود ابراهيم شأنهم شأن سائر سكان الجبال التابعين لعدلان محمد سرور <sup>٣</sup> .

لم يستطع عدلان ان يصنع شيئا في اعتداء محمود آدم هذا ، وانما كتب خطابا للخليفة ، نقد فيه هذا الوضع الاداري نقدا جيدا ، جاء في الخطاب "..... ان

١ لمزيد من التفصيل عن مشاكل القادة العسكريين انظر " ادارة احمد السني "

ص ١٧٣-١٧٤

٢ لتفصيل قصة ابي روف انظر : ص ١٨٥-١٩٢

٣ مهدية ١/٩/٢/٤ : من عدلان محمد سرور للخليفة : صفر ١٣٠٥ هـ / ١٩ اكتوبر —

١٦ نوفمبر ١٨٨٢ م

ايضا : شقير : ص ١١٣٧

الاختلاط في مصالح الدين دون اشارة باول امر السيادة بتحديد ما يمكن اجراؤه لكل شخص ، ذلك يوجب الخلل وعدم الراحة في جميع العمالة . . . " <sup>١</sup> .

كانت عمالة جبال الفنج تحاد بني شنقول والحبشة من الناحية الشرقية ، وكما ذكرنا <sup>٢</sup> فان بني شنقول كانت ، حتى سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م ، على عداوة للمهدية . اذن فحدود عدلان الشرقية ايضا كانت معرضة لخطر الاعداء ، ولكن لم يكن لعدلان جيش ثابت يواجه به هذا الخطر ، ولحسن الطالع فقد كانت بني شنقول ضعيفة ، تعتمد في عداتها للخليفة على الحصانة الطبيعية من جبال ووعورة ارض ، وعلى بعدها من مركز سلطة المهدية . اما الحبشة فكانت تتأرجح بين القوة والضعف كما ان دولة المهدية شغلتهما بالحرب في ثغر القلابات حينما ليس بالقصير <sup>٣</sup> .

لكن هنالك حدث صغير نستشف منه ان عدلان كان صاحب المسؤولية الثانية

بعد الخليفة في مراقبة حدوده الشرقية رغم ضعف سلاحه وجنده . فقد كان الخليفة

١ مهديه ١ / ٩ / ٥ : من عدلان محمد سرور للخليفة : ٢٠ صفر ١٣٠٥ / ٧ نوفمبر ١٨٨٢ م

٢ انظر : ص ١٢٧ من البحث

٣ انظر : ص ٦٦

اتفق مع منليك ملك الاحباش بأن يوهب له الاخير ثور القورى بمهاجمة ارضه ونهبها -  
 وكان منليك يرجو موادة دولة المهديّة • ويرجو ان يتخذ الخليفة حليفا له حينئذ ،  
 فاستجاب وارسل طائفة من رجاله هاجموا بنى شنقول ، فاستسلم ثور القورى للخليفة  
 بعد هذا الهجوم <sup>١</sup> •

لم يغش الخليفة سر هذا الهجوم لعامله عدلان واحمد السنى ، وانما تذكر  
 الوثائق أن الاحباش هم الذين شرطوا على ثور القورى اما ان يستسلم لدولة المهديّة أو  
 ان يسلم نفسه اليهم <sup>٢</sup> • ولكن الخليفة فرض على عامله هذين مراقبة الحدود والاخبار  
 عن الاحباش كما يتضح من خطابتهما للخليفة ويعقوب فى هذا الصدد <sup>٣</sup> • لعل الخليفة

Holt : Mahdist State : p.p. 208-10

أيضا : Salih Mohed Nour(ed) : A critical Edition of the Memoirs of Yusuf Mikhail, (Ph. D. Th) : University of London 1962 : p. 104 (The Arabic manuscript)

- ٢ مهديه ١/٩/٢٠٣ : من احمد السنى للخليفة : ٢٩ القعدة ١٣١٥ / ٢١ ابريل ١٨٩٧
- ٣ مهديه ٢/٧/١٤١ : من احمد السنى ليعقوب : ٢٩ القعدة ١٣١٥ / ٢١ ابريل ١٨٩٧
- أيضا : مهديه ٢/٧/٤ : من عدلان محمد سرور ليعقوب : ٢٧ رمضان ١٣١٥ هـ /  
 ٩ فبراير ١٨٩٨ م
- أيضا : مهديه ١/٩/٣١ : من عدلان محمد سرور للخليفة : ٥ القعدة ١٣١٥ هـ /  
 ٢٨ مارس ١٨٩٨ م
- أيضا : مهديه ١/٩/١٩٨ : من احمد السنى للخليفة : ١٠ القعدة ١٣١٥ هـ /  
 ٢ ابريل ١٨٩٨ م

كان يريد بهذه المراقبة أمرين الاول ان يضمن ان الاحباش لم يخونوا اتفاقهم معه بان يستولوا على ارض بني شنقول لانفسهم ، أو ان يتحدوا في هجومهم على بعض اجزاء دولته ، والثاني ان يتحقق من ما يحدث لتور القوري . كل هذه الاحتمالات جائزة ولا بد للقائد الحاذق ان يضعها في الاعتبار . وعلى كل فان عدلان لم يقصر في شئ . فقد كان يكتب للخليفة التقارير كاملة ، كما ينضج من خطاباته المشار اليها . وقد ورد في تقاريره ايضا ان هجوم الاحباش قد شمل جانبا من منطقة اسمها بالجبال الفوقانية ، الا ان بقاء الاحباش لم يطل فسرعان ما عادوا ادراجهم<sup>١</sup> . ولكن تقاريره هذه لا ترى انه قاوم هذا الاعتداء على حدوده او حتى انه كان يعلم به . انه لم يكن يعرف شيئا عن هجوم الاحباش على ارضه حتى تفهقروا بعد ان نهبوا ما استطاعوا النهب . اذن فقد كانت التبعة ضخمة على عدلان في المدافعة عن حدوده ولكنها كانت اكبر من قدرته بكثير ولاشك انه من سوء التنظيم الاداري ان تترك منطقة كهذه بلا حماية عسكرية او حتى بلا شرطة يستعان بها عند الطوارئ . وكما ذكرنا فان

١ مهدية ١ / ٩ / ٢ / ٣١ : من عدلان للخليفة : ٥ القعدة ١٣١٥ / ٢٨ مارس ١٨٩٨  
ايضا : مهدية ١ / ٩ / ٢ / ٣٢ : من عدلان للخليفة : ٢٤ القعدة ١٣١٥

١٦ ابريل ١٨٩٨

الادارة كانت موضوعة للاغراض المالية فقط لان امكانياتها وهيكلها لايتعديان هذا  
 راسر سيم . من سوسه ست تعرفه ، وه ترى فيها شينه محالها للمعون والتشريحه ،  
 على نقيض ماكانت عليه في العهد التركي المصري <sup>٢</sup> . وقد كان لمنح الخليفة تصدير  
 الرقيق خارج البلاد اثرواوضح في ازدهار التجارة الداخلية <sup>٣</sup> . الى جانب ذلك  
 فان هذه المنطقة لم تكن تخلو من سن الفيل (العاج) في ذلك الوقت <sup>٤</sup> .

- 
- ١ لمزيد من التفصيل عن التجارة في الجزيرة انظرالباب الاول : ص ١٢-١٤
  - ٢ مـدية ١/٩/٢٩ : من عدلان محمد سرور للخليفة : ٢٥ جماد اول ١٣٠٥ /  
 ٨ فبراير ١٨٨٨ م
  - ٣ Slatin : p. 554
  - ٤ مـديه ١/٩/٢٤ : من عدلان محمد سرور للخليفة : ٢٥ القعدة ١٣١٤ /  
 ٢٨ ابريل ١٨٩٢ م



وكان التجار ( الجلاية ) يأتون من شمال السودان وغربه ونواحي البحر الأحمر ،  
 مارين بالجزيرة الى جهات بنى شنقول ، وجبال ادريس وكانوا يحملون الى تلك  
 الجهات الدمور وبضائع اخرى ، ويحضرون من هناك الرقيق والذهب والبن والشطة •  
 وقد تكاثرت اعداد التجار الوافدين الى تلك المناطق حتى خشي احمد السنى من أن  
 يشكلوا خطرا على الارض<sup>الأمم</sup> والسياسة ، وكتب اكثر من مرة يستشير الخليفة فى امرهم • وهذا  
 لاشك شاهد على ازدهار التجارة فى مناطق جبال ادريس وبنى شنقول<sup>١</sup> •

أما من حيث الزراعة فان عمالة جبال ادريس لم تعرف بانتاجها الزراعى الوافر ،  
 كما كان الحال فى عمالة الجزيرة مثلا ، وان انتاجها من الذرة كان قاصرا عليها لايخرج  
 عنها ، بل ربما قصر عنها فى اعوام الحسر ، فاننا نرى انها لم تسترد انفساسها  
 من مجاعة سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٧م - ١٨٨٨م المشهورة حتى بضعة اعوام بعد  
 المجاعة • وقد كتب بذلك بلول سعد ، وكيل عدلان محمد سرور ، الى الخليفة خطابا  
 جاء فيه " ... سيدى ان عبدكم فى أواخر الجبال مقيم فى<sup>٢</sup> مخص من الخراب

١ مهديه ١٠٩ / ١ / ٩ / ١ : من احمد السنى الى الخليفة : ٦ شوال ١٣١٣ / ٢٢ مارس ١٨٩٦م  
 ايضا : مهديه ١٥٠ / ١ / ٩ / ١ : من احمد السنى للخليفة : ١٦ القعدة ١٣١٤ هـ /

١٩ ابريل ١٨٩٧م

٢ ربما كانت الكلمة " محض "

في مرضاة السيادة بتكليف ماغانا به عبدكم عامل الجهة عدلان محمد سرور بعده .  
 وما زلنا نتلظى الجوع وإن الغلاء قد فارق كل الجهات ماعدا جهتنا ، حتى والآن  
 صاعناهم ، لا نجد رى مزار . \* أن نصبر دل هذه العوامل هيل بأن يجعل مضعه  
 الجبال منطقة فقيرة رغم مارينا من ازدهار التجارة فيها ، ولكن ينقضى الشك نسي أن  
 التجارة تعود بفائدة لهذه المنطقة بملاحظة أن السكان أنفسهم كانوا سلعة من  
 السلع التجارية .

- 
- ١ لم يوضح سبب غياب عدلان
  - ٢ مهديه ١٥/٢/١٩١١ : من بلول سعد للخليفة : ٧ ربيع اول ١٣٠٩ هـ /  
 ١١ أكتوبر ١٨٩١ م
  - ٣ مهديه ٤/٢/١٩١١ : من عدلان محمد سرور للخليفة : صفر ١٣٠٥ هـ /  
 ١٩ أكتوبر - ١٦ نوفمبر ١٨٨٢ م

من هذا يتضح لنا أن الادارة بكل جوانبها كانت ضعيفة ومضطربة • فقد كان العامل دمية من دمي الحكومة المركزية يتحرك بإشارتها حتى في حراسة حدوده واخماد حركات التمرد الداخلية ، وكان القضاء كذلك ملكا للخليفة لا للحق ، وكان الامن غير مستتب في كل العمالة ، ولم يكن هناك تخطيط او اتجاه عملي لا لدى العامل ولا الحكومة المركزية ، ومن هذه الفوضى تدهور اقتصاد المنطقة واصبحت وكرا للاربابية من سوء العناية الصحية ورغم كل ذلك كانت جباية المال هي الاساس الذي قام من اجله أو ظل هذا الجهاز يعمل من اجله •

### ادارة يونس الدكيم

ان أهمية الحديث عن فترة حكم يونس الدكيم في الجزيرة — على الرغم من انها كانت قصيرة ، لم تتخط العام الواحد — ان أهميتها تقلخص في أنها تصور كثيرا من القلق وعدم الاستقرار الذي عاشت فيه " عماله الجزيرة " <sup>١</sup> ، بعد استيلاء المهدية على السلطة • وذلك ناتج ، في المقام الاول ، من اضطراب الاداة الادارية ، وقلة خبرة القائمين على أمرها في هذا المضمار •

ان مشكلة الادارة في الجزيرة ، في هذه الفترة ، ذات وجهين : الاول ما عرفت به الرعية من فوضى ، وعدم التزام للنظام ، كما أنهم كانوا يتهمون بانهم يعملون على انفساد حكاهم واثارة المشاكل معهم • والثاني لقد عرف الحكام الذين تتالوا على حكم هذه المنطقة بالفساد وعدم المسئولية ، فيما يلي نوضح هذا بالشواهد • ولكن لا بد أن نسأل انفسنا ان كان يونس الدكيم نجح فعلا في القضاء على هذه الظواهر في عهد حكمه •

---

١ عرفت هذه المنطقة بهذا الاسم كما وضحنا فيما سبق •  
انظر : ص ١٢٢

تم تعيين يونس الدكيم عاملاً على " عموم الجزيرة وما والاها كالحمدة والضباينة ورفاعة وغير ذلك من توابع ما ذكر كالقضارف والقلابات ونحوهما " <sup>١</sup> ، وذلك في الثامن من جماد الأولى ١٣٠٣ هـ / الثالث عشر من فبراير ١٨٨٦ م . وقد قرظ منشور الخليفة القاضي بتعيين يونس ، قرظ يونس لنجاحه في اصلاح امرالجمع ، ورجا أن يكون عند حسن ظن الخليفة في الجزيرة كذلك <sup>٢</sup> .

لقد كان على يونس واجبان كبيران ، اخفى الخليفة احدهما فجعله سرا ، وظهر الآخر . أما السر ، فان الخليفة كان قد بلغه ان الاشراف قد دبروا ان يجعلوا من الجزيرة مركزا لمعارضته ، وحينما يصل محمد خالد زقل من الغرب ، حسب اتفاقهم تهبط جيوشه الجزيرة ، لان وجودها بالجزيرة يضمن لها الغذاء كما يضمن قريبا من جبهة المعارضة . ولكن الخليفة أراد ان يسبق الاشراف فيؤ من الجزيرة بجيش قوى يطمئن لقيادته وكان انسب شخص لذلك هو يونس الدكيم ، وكان على يونس ان يحتفظ بالجزيرة ويحافظ عليها حتى تلحق به جنود ابي عنجه <sup>٣</sup> .

١ مهديه ١٨/٥/١/٣ : من الخليفة الى يونس الدكيم : ٨ جماد اول ١٣٠٣ هـ — /

١٢ فبراير ١٨٨٦ م

٢ نفسه

Holt : Mahdist State : p. 128

٣

والأمر الثاني ، وهو الظاهر ، ان الخليفة كان سيىء الظن بأهل الجزيرة ،  
 يحتقد أنهم لم يتشربوا روح المهدية ، ولذلك كانوا يسببون كثيرا من المشاكل ، ويفسدون  
 كل من يعين عليهم من العمال ، بالرشوة ونحوها . وعليه فإنه كان لابد ليونس أن  
 يسلك طريق النجاة ، ألا يخالط أهل الجزيرة ، حتى يتبادل الهدية أو قبولها ،  
 والا يتزوج منهم ، الا بان من الخليفة ، ليحتفظ بوقار الحاكم ومهابته<sup>١</sup> . ولكن هل  
 كان أهل الجزيرة وحدهم هم سبب المشكلة الادارية ؟ ان الاحداث التاريخية كثيرة ،  
 نسوق منها بعض الشواهد على سبيل المثال ، لتبين ما كان جاريا ، ثم نحاول الحكم  
 بعد ذلك .

كان الخليفة اقام لاهل الجزيرة محكمة خاصة بالقرب من مسجده بامدرمان  
 لتردعهم ، فكانت تحكم في قضايا السلب والنهب والتعدي على الناس الذي كان  
 منتشرًا بالجزيرة احكاما رادعة ، تصل حد الاعدام . كان الخليفة يقيم اهل الجزيرة  
 بأن طبعهم هكذا ولا يقسم جهاز الادارة<sup>٢</sup> .

---

١ مهدية ١٨/٥/١/٣ : من الخليفة : الى يونس الدكيم : ٨ جماد اول ١٣٠٣هـ / ١٢ فبراير ١٨٨٦م أيضا :

مهدية ٦٠١/١١/٥/٣ : من الخليفة الى يونس الدكيم : ١٢ جماد اول ١٣٠٤هـ / ٦ فبراير ١٨٨٧م  
 ٢ مهدية ١٠٢٧/٩/٣/٣ : من الخليفة الى يونس الدكيم : ٢٤ جماد اخر ١٣٠٣هـ / ٣٠ مارس ١٨٨٦م

وكان الخليفة يشتم اهل الجزيرة بأنهم اهل زور ويهتأروا ، وأنهم لذلك كانوا

١ عربى دفع الله واحد من اعوان يونس الدكيم وهو من التعايشة ، وكان من القادة  
الحرييين - حارب فى الحدود الحيشية ودنقلا وجنوب السودان .  
انظر : مهديّة ٥٢ / ٨ / ٢ / ٣ : من الخليفة الى كافة اهالى الجزيرة : ١٣ سؤال  
١٣٠٣ هـ / ١٥ يوليو ١٨٨٦ م .

ايضا : Holt : Mahdist State : p.p. 151-53, 200 f.f.

٢ "العمال" جمع "عامل" ويراد بها كل من يقوم بعمل للدولة من جمع الزكوات وغيره  
من الواجبات الاخرى ولعلها تطلق هنا حسب معناها اللغوى وليس الاصطلاحى  
الذى تقدم ذكره .

انظر : بابكر بدرى : ص ١١٨

ولكنه سرعان ماغير رأيه وامران ينظر في امرهم بمقتضى الشرع الحنيف<sup>١</sup> .

هذا هو نوع المشاكل التى كانت تواجه الادارة فى الجزيرة : سلب ونهب

وتعد بغير وجه حق وعصيان ومناهضة للسلطة يبلغ حد حمل السلاح ضدها ثم

مهاجمة العمال والشكوى منهم ورميهم بشتى انواع التهم .

اننا لانستطيع ان نجزم جزما بأن أهل الجزيرة هم سر الاشكال أولا وأخيرا ،

كما يتهمهم الخليفة فى خطاباته المذكورة . ان خطابات الخليفة نفسها تدين عمال

الدولة فى ثنايا عباراتها ولكن الخليفة لا يريد أن يوجه التهمة الى ضعف الادارة فحتى

حينما يذكر فساد الحكام الذين تولوا امر الجزيرة ينسب افسادهم الى مخالطتهم أهل

البلاذ .

ان عمال الخليفة أنفسهم ، ومن ينسب اليهم ، كانوا يستثيرون الناس ضد

الدولة ، بما يأتون من افعال قبيحة ، ولقد كتب الخليفة الى يونس الدكيم ، قبيل توليه

امر الجزيرة ، خطابا يشم منه أن الخليفة يحذر من كانوا فى معية يونس الدكيم

مما كانوا يأتون من قبيح الفعال ، من نهب وقطع طريق وفعل للفواحش وتعد على

١ مهديه ٣/٥/١١/١٤٥ : من الخليفة الى يونس الدكيم : ٨ القعدة ١٣٠٣ هـ / أغسطس

١٨٨٦ م

ايضا : مهديه ٣/٥/١١/١٥٥ : من الخليفة الى يونس الدكيم ٨ القعدة ١٣٠٣ هـ /

٨ أغسطس ١٨٨٦ م



المسلمين ، ويرجو ألا يتكرر ذلك وأن يعاقب كل من تحدثه نفسه بذلك <sup>١</sup> . وأتبع الخليفة هذا الخطاب بخطاب آخر ، يؤكّد ليونس ضرورة اليقظة ومراقبة رجاله ، بألا يفعلوا كما كان يفعل من سبقهم من مستوطني الدولة فلا يتعدوا على أحد بخير حق ولا يظلموا أحداً وليحفظوا جوارحهم ويخبره أن أهل الجزيرة قد مسهم أنى كير من العمال يرجو ألا يتكرر <sup>٢</sup> .

هذان الخطابان يؤكّدان أن رجال الدولة <sup>الدولة</sup> المكلفين بحفظ النظام وضمّان الطمأنينة بين الناس ، هم أنفسهم سبب هام من أسباب القلق والاضطراب الذي كان يسود المنطقة . وخلاصة القول أن الأمن في عمالة الجزيرة لم يستتب بعد زوال النظام القديم " العهد التركي " فأصبحت هنالك حال من الفوضى ترجع إلى عدم اكتمال النظم الإدارية وضبطها .

إننا نعتقد أن عمالة يونس الدكيم كانت أول محاولة عملية لتوحيد عمالة الجزيرة في إطار إداري ، رغم أن إمارة أبي قرجة سبقت يونس الدكيم ، ولكنها كانت اسمية لم

---

١ مهيدي ٥٠/٨/٢/٣ : من الخليفة إلى انصار الدين معية يونس الدكيم عملاء ونقباء وغيرهم : ١٤ ربيع أول ١٣٠٣ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨٨٥ م  
٢ مهيدي ١٠٥١/٩/٣/٣ : من الخليفة إلى يونس الدكيم : ٢٤ جمادى الآخر ١٣٠٣ هـ / ٣٠ مارس ١٨٨٦ م

تترك أثرا عمليا في الإدارة • ولكن عمالة يونس لم تأت أكلها كما ينبغي • فلم ينجح يونس في تثبيت دعائم الإدارة ولا في تمكين روح المهدية ، بل إن عهده كان انتكاسة في هاتين الناحيتين ، أما الإدارة فإن الجزيرة قد تفتت بعد يونس إلى أقسام صغيرة ، وتحاقب عليها عدد من الحكام ، ولم توحد ، وتضبط إدارتها إلا في عهد أحمد السني<sup>١</sup> . وأما روح المهدية فإنها قد ضعفت حتى أصبح الناس يفرون من الجهاد والذي كانوا يستبقون إليه فصاروا يدفعون المال فداء للتخلص من الجهاد •

استدعى يونس في أوائل محرم ١٣٠٤ هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ١٨٨٦ م<sup>٢</sup> ليقود جيشا لقتال الحبشة في ثغر القلايات • وأصدر الخليفة إلى جميع القبائل والجماعات في الجزيرة أن ينضموا لراياتهم<sup>٣</sup> ويلحقوا بحملة يونس الدكيم فكتب بذلك

- ١ انظر : ص ١٢٢
- ٢ لم نعر على الخطاب الذي استدعى به الخليفة يونس ولكننا عثرنا على خطاب من الخليفة إلى أهل الجزيرة يبدو أنه كتب في نفس التاريخ الذي انتدب فيه يونس - بأمر الخليفة أهل الجزيرة بألا يتركوا خوالف بينهم من جيش يونس ويخبرهم بانتدابه • مهديه ٣/٥/١١/٢٨٠ : من الخليفة إلى كافة أهالي الجزيرة : ٨ محرم ١٣٠٤ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٨٦ م
- ٣ كانت قبائل الجزيرة المترحلة تحت راية الخليفة على ود حلو في عهد المهدى ، أما بقية قبائل الجزيرة فكانت تحت راية الخليفة محمد شريف ، أما بعد سنة ١٨٩٣ م فقد أصبح لكل قبيلة راية وأمير لأن الخليفة عبد الله أراد أن يسلك سياسة تضمن له سلامته من شر القبائل وهي ألا يوحدوها تحت راية •

الى الحلاوين والعقلين والحمده وغيرهم بأن لا يحدث منهم أدنى تأخير عن حملة  
يونس<sup>١</sup> . لكن هذه الاوامر لم تجد اذنا صاغية ، ولقد عصى بعض هؤلاء الاوامر  
عصيانا واضحا صريحا وكتب محمد الطيب البصير قائد الحلاوين وآخرين ، الى الخليفة  
يخبره بما جرى ، ورد الخليفة على الخطاب<sup>٢</sup> .

وقد رجعت اعداد كبيرة من السرية بعد ان انضموا اليها ، فمن الحلاوين  
وحدهم هرب ١٦٩ رجلا علما بأن عدد الحلاوين الذين رافقوا السرية لم يكن اكثر  
من ٩٨٥ شخصا .

هذا الحدث قد يصور لنا الاثر العكسي الذي تركته ادارة يونس الدكيم  
في الجزيرة . ولم تكن مسئولية سوء الادارة في الجزيرة تقع على يونس وحده . أن  
الخليفة نفسه ملوم في ذلك ، فقد كان يرسم الخطة للعامل ويلزمه باتباعها ، ونراه  
في خلال هذا العام الواحد غير الخطة ثلاث مرات في الجزيرة ، بأن امر يونس في  
خطاب تعيينه الاول ، الذي اشرنا اليه في ماسبق ، أن يحمل اهل الجزيرة على

---

١ مهدية ٥/٣/١١/٥٢١ : من الخليفة الى كافة الحلاوين والعقلين ومن معهم  
والحمده على وجه العموم : ٢ جماد اول ١٣٠٤/٢٧ يناير ١٨٨٢م  
٢ مهدية ٥/٣/١١/٨٢٨ : من الخليفة الى محمد الطيب البصير : ٢٥ شعبان  
١٣٠٤هـ / ١٨ مايو ١٨٨٢م

الجهادة ، لأنهم أهل زور وبهتان الخ ما رماهم به ، ثم عدل عن رأيه ، وطلب من  
يونس أن يرفق بهم ، بحجة أنهم من الموءلفة قلوبهم ، ولما تدخل المهدية في  
قلوبهم<sup>١</sup> ، ولكنه بعد هذا الحدث الأخير ، لعنى فرار جماعات منهم من الجهاد ،  
أمر بمعاقبتهم معاقبة رادعة ، إذ رأى أن الفوضى بلغت حد الخروج على الدولة  
وخيانة جيشها وخذلانه . أمر الخليفة بتغنيم ، أي مصادرة ممتلكات جميع  
الهاربين من السرية وكذلك الذين عصوا الأمر ففقدوا عن الجهاد وأوكل تنفيذ  
الأمر إلى القرشي الطيب البصير أخو الشيخ محمد الطيب البصير فقام القرشي بما  
أسند إليه<sup>٢</sup> .

- ١ مهديه ٦٠١/١١/٥/٣ : من الخليفة إلى يونس الدكيم : ١٢ جماد أول ١٣٠٤هـ /  
٦ فبراير ١٨٨٢م
- ٢ مهديه ٩١/٢/١٥/٢ : من القرشي الطيب إلى الخليفة : ١٧ صفر ١٣٠٥هـ /  
٤ نوفمبر ١٨٨٢م
- أيضا : مهديه ٦٠٢/١٣/١٦/٢ : من مساعد ولد حبوبه للخليفة : ١٣٠٥هـ /  
( الشهر غير مذكور ولا اليوم ) / ١٩ سبتمبر ١٨٨٢م - ٦ سبتمبر ١٨٨٨م  
ولقد أكد لنا الشيخ دفع الله محمد أمام حبوبه قصة تمرد الحلالين هذه وهو  
يرويه عن السيد والده ، وأكد أيضا أن عمه مساعد أمام حبوبه كان ضمن  
المتمردين . وذكر الشيخ دفع الله أن والده حاول التوسط لهؤلاء المتمردين  
لدى الخليفة فاقترح أن يدفعوا غرامات مالية ويعفوا من التغنيم ولكن الخليفة رفض  
وأصر على التغنيم رغم مكانة محمد أمام حبوبه عنده .

هذه الظواهر الخطره - الهرب من الجيش ونحوه - تحمل معنى كبيرا

فانها لا ريب تدل على ان بعض الناس قد اتصلوا عن قيم الثورة الاساسية وعلى

رأسها الجهاد ، الى جانب ما تعنى من ضعف الادارة وسوء تنظيمها ، من جانبى

الخليفة وعمله •

هذا وان عصر الادارة الذهبى فى الجزيرة قاطبة - بالقياس الى ادارة

المهدية فى الجزيرة كلها - هو عصر احمد السنى كما سنرى فيما يلى •

### ادارة أحمد السنن

بشجرة النسب المدنية عند الفقيه مدنى بن الفقيه المكى بن مدنى ، الملقب بموزن  
الالى ، بن الفقيه محمد ، الملقب بالسنى ، بن الفقيه مدنى بن الفقيه دشيسن ،  
الملقب بقاضى العدالة <sup>٣</sup> .

- 
- ١ لتوضيح توسع عمالة احمد السنن انظر : ص ١٢٢ وما بعدها
  - ٢ لمزيد من التفصيل عن المدنيين انظر : ص ٢١
  - ٣ شجرة النسب هذه اخذناها من خليفة المدنيين بود مدنى الاستاذ عبد الرحمن  
الامين مدنى وهى مخطوطة متوارثة وتصل نسب المدنيين بالبهيلىة ثم  
بحقيل بن أبى طالب .

لم نجد ما يدل على حياة احمد السنى ، قبل تعيين الخليفة اياه ، ولكن ابنه عبد الرحمن احمد السنى خبرنا أنه سبق لأبيه الاتصال بالمهدى قبيل الخليفة ، ولكنه لا يعرف كيفية ذلك الاتصال . كما ذكر لنا ان اياه اسمه احمد السنى مدنى ، وربطناه نحن بشجرة النسب هذه ، كما هو اعلاه ، بحساب الاجيال فقط ، وليس اعتمادا على حقيقة موثقة .

ان اول مرة وُجِدَتْ فيها عمالة الجزيرة لاحمد السنى كان سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠-١٨٩١م كما ذكرنا فى الفصل الاول من هذا الباب <sup>١</sup> . وكان تعيين احمد السنى على هذه العمالة يحدد كل عام ، طيلة مدة حكمه شأنه شأن بقية العمال . فكان حينما يذهب الى بقعة المهدى فى عيد الاضحية ، هو وكسبار اعوانه يعرض دفاتره للنظر والمحاسبة ، فقد كانت السنة تبدأ فى محرم وتنتهى فى الحجة ويسير العمل معها هكذا <sup>٢</sup> ، ثم يعود الى عمالته يحمل أمرا للحمل فى العام الجديد وكان هذا يتكرر كل عام حتى يتمكن من أخذ حقوق الله

---

١ انظر : ص ١١٦

٢ بابكر بدرى : ص ١١٨

من الناس بأمر لا يقبل الجدل<sup>١</sup> .

كان هذا الامر ياتيهم مفضلاً موجّهاً الى القبائل - الى كل قبيلة كبيرة أو جماعة كبيرة خطاب خاص ، ويحمل الى جانب ذلك خطاباً الى اهالي الجزيرة عموماً كما ترى الخطابات المشار اليها اسفله . لم يكن لاذن العمل صيغة ثابتة يصدر بها في كل عام ، وانما كان يحمل معنى الامر للناس باعطاء ما عليهم لحامله ، وكان الاذن يحدد " انتداب " العامل لعام واحد معين ، ومن أمثلة ذلك " ... حيث اننا ندبنا رافع هذا المكرّم احمد السنّي لخدمة حقوق الله في هذا العام فكافة ما بطرفكم من زكوات العيوش والمواشي التي عندكم فسلموها اليه

---

١ مهديّة ١/٩/١٢٢٢ : من احمد السنّي للخليفة : ٥ محرم ١٣١٤/١٢ يونيه ١٨٩٦ م  
ايضاً مهديّة ١/٩/١١٩١ : من احمد السنّي للخليفة : ٥ محرم ١٣١٤ هـ /  
١٧ يونيه ١٨٩٦ م  
ايضاً مهديّة ٢/٢٢/٨/٥٢٨ : من الخليفة الى كافة الانصار المهاجرين للزراعة  
بالجزيرة ١٨ ربيع اول ١٣١٥ هـ / ١٧ اغسطس ١٨٩٧ م  
ايضاً مهديّة ٢/٢٢/٨/٥٠٢ : من الخليفة الى كافة الحسنات وكنانة بالجزيرة :  
١٨ ربيع اول ١٣١٥ هـ / ١٧ اغسطس ١٨٩٧ م  
ايضاً مهديّة ٢/٢٢/٨/٥٠٦ : من الخليفة الى كافة اهالي الجزيرة على وجه العموم  
١٨ ربيع اول ١٣١٥ هـ / ١٧ اغسطس ١٨٩٧ م  
كشال لعرض دفاتر الحساب يمكن نظر خطاب ابراهيم محمد عدلان للخليفة في شان  
عامل الاطيان محمد على قسومه ورقمه ٢/١٩/١/٢٠ : ١٨ محرم ١٣٠٧ هـ /  
١٤ سبتمبر ١٨٨٩ م لاننا لم نعثر على شيء من هذا القبيل في خصوص احمد  
السنّي بالذات لكن هذا الخطاب يستشف منه ان جميع العمال كان يحدث لهم  
نفس الشيء .



٥١ . بمهمة نائب الشرع ومساعدة الفصل في جميع القضايا وتشويق  
 بوكلاء نائب الشرع

١ مهديه ٢/٣٢/٥/٤٤٤ : من الخليفة الى كافة الانصار المهجرين الزراعيين في عموم  
 جهات الجزيرة : ٢٤ ربيع اخر ١٢٣١٢ / ٢٥ اكتوبر ١٨٩٤م

٢ مهديه ١/٩/١/٤٤ : من احمد السني للخليفة : ٢٢ ربيع اخر ١٣١٠ / ١٤ نوفمبر  
 ١٨٩٢م

٣ لتوضيح الحظايم التقليدي لموظفي العمالات المدنية انظر : ص ٢٠  
 ٤ مهديه ١/٤٣/٨٨ : بيان اسماء مذكورين خدما الجزيرة والشرق التابعين لاحمد  
 السني : بدون تاريخ

٥ لم يرد اسم نائب الشرع في وثائق احمد السني التي بين ايدينا

الكتابات الرسمية واعتمادها ان دعا الحال . كان هوء لاء القضاة أحيانا يعجزون عن الفصل فى بعض القضايا مخافة شر الخليفة اما لانها كانت تمس امن الدولة او غيره من القضايا الكبرى ، فكانوا يحيلون مثل هذه القضايا للخليفة بام درمان <sup>١</sup> .

هذا وان القضاة بصفة عامة فى عهد الخليفة لم يكونوا مستقلين فى احكامهم ،

لايرعون فيها غير الحق ، ولكن كان عليهم ، وهم ينظرون الدعاوى ، أن ينفقوا بسين مهمتين ، مهمة معرفة هوى الخليفة فى كل قضية ، والميل معه ، ثم تبرير ذلك الميل واظهاره مظهر العدل ؛ وكان الخليفة ايضا ينتظر أن يحدث الامران معا : ارضاء وارضاء الجمهور . على انه كانت تتاح للقضاة فرصة النزاهة والعدل فى حالات قليلة جدا ، كالاحوال الشخصية من طلاق وانكحة ونحو ذلك <sup>٢</sup> .

---

١ مثلا ادعى رجل فى جهة قسم عبود خلافة عثمان بن عفان فى سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م فاحضر الى وكيل نائب الشرع بالقسم فاخذ اقواله معه وارسله الى احمد السنى وفعل احمد السنى مثل ذلك وارسل الرجل مشعبا الى ام درمان بحجة ان تلك من القضايا " التى لا يمكن الفصل فيها الا على يد سيدنا خليفة المهدي " ارسل مشعبا اى وضعت رقبته من الخلف بين رأسى شعبة ووصل رأسا الشعبة بقطعة من السلك ويقاد المجرم من الخلف وعلمية التشعيب كانت معروفة فى السودان حتى عهد قريب كما روى لنا الشيخ على سالم جبارة بمنار .

انظر : مهديه ١ / ٩ / ١ : ٤٨ من آدم عبد اللطيف وكيل نائب الشرع بقسم عبود الى احمد السنى : ٢٩ جماد اول ١٣١٠ هـ / ٢٠ ديسمبر ١٨٩٢ م

ايضا : مهديه ١ / ٩ / ١ : ٤٩ من احمد السنى للخليفة ٢٠ جماد اخر ١٣١٠ هـ / ١٠ يناير ١٨٩٣ م . ايضا : مهديه ١ / ٩ / ١ : ٤٤ من احمد السنى للخليفة : ٢٢ ربيع اخر ١٣١٠ هـ / ١٤ نوفمبر ١٨٩٢ م .

وعلى نقيض عدلان محمد سرور<sup>١</sup> فقد كان لـاحمد السنـى سلاح وحراسـة جيدة ، ولعل ذلك كان السر فى ان لـاحمد السنـى ، كما سنرى ، كان يجمع مقادير وافرة من الحبوب والدمور وغير ذلك ويرسلها للخليفة . كان لـاحمد السنـى عدد كبير من الجهادية<sup>٢</sup> المسلحين بقيادة لـاحمد التعايشة يدعى حماد النابر . كان عدد الجهادية يختلف كل عام عن سابقه ، واتصى رقم وصل اليه كان ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ان بلغوا نحو الـ ٨٠٤ من الرجال ، ولدى العامل معهم من السلاح نحو السبعين بندقية ، وانواعها ابورجين وابو شطفه وابو لفته والرمتون مضافا الى ذلك عشر جمال الـاداء العمل كان معظمه لـا الجهادية من السود ، ونفر قليل من اولاد العرب<sup>٣</sup> .

ان نجاح لـاحمد السنـى فى حماية اعماله وادارته ، بهذا العدد من الجند المسلحين ، يعبر عليه مهمته الكبرى ، وهى جباية الضرائب والمستحقات الاخرى ،

---

١ انظر : ص ١٣٤

٢ لتوضيح معنى الجهادية انظر : ص ٣٦

٣ مهدية ٢٤٨ / ٢ / ٩ / ١ : من لـاحمد السنـى الى سردار الجيش المصرى : ٤ جماد اول ١٣١٦هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٩٨م

ايضا : مهدية ٢ / ٢ / ١٠ / ٢٥ : بيان مذكورين خدما اقسام الجزيرة والشرق من اولاد عرب ومهدية وما معهم من الاسلحة والجيخانة : من لـاحمد السنـى للخليفة : ١٤

جماد اول ١٣١٥هـ / ١١ اكتوبر ١٨٩٢م

ايضا : ١ / ٩ / ١١٨ : من لـاحمد السنـى للخليفة : ١٢ القعدة ١٣١٣ / ١ مايو ١٨٩٦

كما يضمه، لمحسن الأمير، الرخمن، العرب الحسابات الشرقية<sup>١</sup>، وخمد علي كاتب عام<sup>٢</sup>، ليقسم  
مخصصا لشيء بذاته . فكما هو واضح أن ديوان الحسابات كان منفصلا : قسم خاص  
بالشرق ، له رئيسه الخاص ، وآخر خاص بالهوى<sup>٣</sup> . وكان لكل قسم كاتب عام كان  
يقوم بعملية التحرير والحسابات معا ، لأنه لم يرد ذكر لكاتب حسابات بالاقسام فسي

---

١ عن الشيخ الفضل محمد الفضل بابي فروع قرب الحاصل فيه

٢ لتوضيح معنى مواليد انظر : ص ٣٥-٣٦

٣ مديده ٨/٨/٤٣/١ : بيان أسماء مذكورين خدماة الجزيرة والشرق التابعين  
لاحمد السني : بدون تاريخ .

وثائق أحمد السنّي<sup>١</sup> . كان أحمد السنّي أحياناً يكل إدارة القسم الواحد إلى ثلاثة وكلاء أو وكيلين وأحياناً إلى وكيل واحد وعدد من المناذير ، وكان معظم وكلاء أقسامه إما من المواليد أو المدنيين أو الجعليين وبعضهم من الدناقلة<sup>٢</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن عمالة الجزيرة وحدها كان بها عشرون قسماً<sup>٣</sup> .

بالإضافة إلى هؤلاء " الخدماء " كان أحمد السنّي يستعين بعدد كبير من أهل الجزيرة في تسهيل أعماله ، لم تكن لهؤلاء القاب خاصة فكان يشير إليهم بالعمد والأعيان وخيرات الناس ، والمهم في الأمر أنهم كانوا شراء الناس وأعيانهم في مناطقهم ، ولا تعتقد أن هنالك فرقاً وظيفياً في هذه الألفاظ إذ أنه ليس هناك دليل ، فيما نعلم ، على أن المهدي أو الخليفة : اتخذ عمداً ، باللفظ المعروف . لقد كان هؤلاء الأعيان الساعدين الأيمن للوكلاء والمناذير ، لأنهم كانوا أهل الاتصال المباشر بالناس يحثونهم على دفع المفروض أو المستحق ويعرفون حقيقة كل فرد وجميع أحواله كان عدد هؤلاء الأعيان يربو على الستين في جميع عمالة الجزيرة ، ويكاد أحمد السنّي -

١ لمزيد التفصيل عن الأقسام والاختطاط وموظفيها انظر : ص ١١٩

٢ مهديه ٨/٨/٤٣/١ : بيان خدماة الجزيرة والشرق : بدون تاريخ

Holt : Mahdist State : p. 229

كما يتضح من خطابه وسجلاته - يكاد يعجز عن اتخاذ أى خطوة من غير عسـون  
هو "لاء الاعيان" <sup>١</sup> .

وكانت هنالك وظائف تخلو فى مواسم معينة ، فيملأها احمد السنـى بمن يراه  
كقوة لها ، مثل وظائف كتاب " الاشوان " <sup>٢</sup> ووظائف المحافظين ، وهم الذين  
تبحث معهم امانات لبيت المال <sup>٣</sup> .

كانت عمالة احمد السنـى اهم عمالات الجزيرة على الاطلاق من الناحية الاقتصادية  
لدولة المهدية - فقد كانت " صومعة " ضخمة من " صوامع " غلال الدولة ، ويكفى  
أن نعلم ان بالعمالة ١٨٠/١٠١ شونة لحفظ الغلال التى يجمعها عامل المنطقة  
يجمعها عامل المنطقة ليرسلها الى ام درمان <sup>٤</sup> . ولعله لهذه الاهمية اطلق عليها

- ١ مهديه ١٢٠/١/٩/١ : كشف مذكورين عمد واعيان وخيرات اهالى اقسام الجزيرة  
وهو البحر الابيض : بدون تاريخ  
ولمعرفة المزيد عن اهمية هو "لاء الاعيان" يمكن مراجعة خطابات احمد السنـى بدار  
الوثائق : مهديه ١/٩/١ ، ٢/٩/١
- ٢ الاشوان والشون جمع شونه وهى مكان تجمع فيه الحبوب بقصد تخزينها وحفظها وكان  
لاحمد السنـى بعمالته كلها ١٨٠/١٠١ شونة  
انظر : مهديه ١٤٩/١/٩/١ : احصائية بعدد الشون واماكها : بدون تاريخ
- ٣ مهديه ٦/١٠/٢/٢ : من احمد السنـى ليعقوب : ٢٨ جماد آخر ١٣١٤ هـ /  
٥ ديسمبر ١٨٩٦ م
- ٤ مهديه ١٤٩/١/٩/١ : احصائية بعدد الشون واماكها : بدون تاريخ

اسم عمالة الجزيرة ، الذى يتجاهل بقية العملات الاخرى فى الجزيرة ، ولا يدع لها اعتبارا . كانت عمالة الجزيرة وقفا على بيت مال الملازمه موادهم الغذائية وملابسهم وما يحتاجونه من المال النقد<sup>١</sup> . فضلا عما كانت تسد من حاجات الجيوش والمهاجرين من البقارة ونحو ذلك كما سنوضح فى هذا الفصل . وكان الصرف على الملازمية اهم بند للمصرف فى الدولة ان كان اعتماد الخليفة عليهم<sup>٢</sup> .

لم تكن نفقات الملازمية سهلة يسيرة ، فقد كانت مثلا فى النصف الاخير من شهر الحجة ١٣١٥هـ / مايو ١٨٩٨م ٢١٥٥٠ ريالا<sup>٣</sup> قيراط<sup>٤</sup> و ٢ - ١٦٤٦<sup>٥</sup> من الذرة . وكانت صرفيتهم عن النصف الاول من شهر ربيع الاول سنة ١٣١٦هـ /

١ مهديه ١/٩/١٢٢٢ : من احمد السنى للخليفة : ١٢ جماد اخره ١٣١٥ / ٩ اكتوبر ١٨٩٧  
ولتوضيح معنى الملازمية وواجباتهم انظر : ص ٢١  
٢ كان معظم دخل العملات الاخرى لبيت مال الخليفة وليس للملازمية ، وكذلك دخل معظم الجزائر وارض الغنيمه والعشر على البضائع التى تصل الى ام درمان وكل الرقيق الذين كانوا يرسلون من اجزاء البلاد الاخرى ومعظم دخل المراكب النهريه . اما خزينه الحرية فكان دخلها من انتاج جنائين الخرطوم ودخل بعض السواقي قرب الخرطوم ودخل العاج من الاستوائية . وكان دخل الضبطيه (البوليس) من اموال السكارى والمقامرين والضرائب على الدكاكين التجارية .  
slatin : p.p. 539, 540

٣ الريال الذى يشار اليه فى وثائق المهديه اما ان يكون الريال القشلى او المجيدى اللذين كانا فى التداول ان ذاك وتقدر قيمة كل بنحو عشرين قرشا .

انظر : مهديه ٣/٢/٥/٢١٥ من الخليفة الى احمد جمال الدين : ٢٧ شوال ١٣٠٢هـ / ١٠ اغسطس ١٨٨٥

ايضا : شقير : ص ١٨١

٤ مهديه ٢/٦٢ : خزينه الملازمية : ١٦ الحجه ١٣١٥ / ٨ مايو ١٨٩٤

أغسطس ١٨٩٨ م  $\frac{27}{100}$  ريالاً و ١٨٤٨ أردنياً وثلاثاً وربعاً ونصف قيراط من  
الذرة<sup>١</sup> ، وفي النصف الثاني من نفس الشهر كانت صرفيتهم  $\frac{603}{100}$  ريالاً  
و  $\frac{1765}{100}$  أردنياً من الذرة<sup>٢</sup> ، فجملة مستحق الملازمة من المال النقد والذرة في الشهر  
الواحد تبلغ على وجه التقريب نحو ٥٣٧٨١ ريالاً و ٦١٤ أردنياً من الذرة ،  
العام تبلغ نحو ٦٤٥٣٧٢ ريالاً تقريباً و ٤٣٣٦٨ أردنياً من الذرة . هذا  
تقدير بالأحصاء التقريبي لما كان يسمى حقوق الله من زكوات ونحوها ، ولكن كان الخليفة  
أحياناً يطلب من أحمد السني أن يكون وارده في العام مثلاً كذا وكذا ، وقد بلغت  
طلبات الخليفة هذه مقادير باهظة ، ترهب الناس وتظل عبئاً ثقيلاً عليهم ، ولكنها  
تؤخذ منهم عن يد وهم صاغرون ، بعد أن يفرضها العامل فرضاً ، على المناطق  
المختلفة ، على كل منطقة مبلغ خاص من المال أو مقدار من الحبوب أو الدمور ،  
لا يتنازل عنه حتى يأخذ منهم رغم ضررهم وتهربهم ، ولكنهم ما كانوا يستطيعون الامتناع ،  
فإن لأحمد السني قوة ضخمة من الجهدية ، وإن للخليفة عقاباً رادعاً وكانت هذه

---

١ مهديه ٦٢/٢ : خزينة الملازمة : غرة ربيع أول الغاية ١٥ منه ١٣١٦ هـ / من ٢٠ يوليو  
إلى ٣ أغسطس ١٨٩٨ م

٢ مهديه ٦٢/٢ : خزينة الملازمة : ١٦ ربيع أول ١٣١٦ هـ / ٤ أغسطس ١٨٩٨ م



الطلبات تبلغ المائة الف اردب من الذرة وحدها ، كما حدث في عام ١٣١٢هـ — /  
 ١٨٩٤-١٨٩٥ م<sup>١</sup> ولعله في نفس العام كما يظن الشيخ دفع الله محمد امام حبيب طلب  
 الخليفة مائة الف ثوب من الدمور ايضا .

بالاضافة الى تلبية عمالة الجزيرة لكل طلبات بيت/الملازمة فانها كانت ايضا تلبى  
 حاجة كثير من الحملات الحربية وسرايا الخليفة المتجهة الى مختلف الجهات ، ولم  
 تكن تلك الطلبات سهلة ولكن الجزيرة حقا كانت ، في دولة المهديّة ، كخزائن  
 يوسف في اهل مصر . فمن امثلة طلبات السرايا انه في سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠-١٨٩١ م  
 كتب بيت المال الى احمد السني ان يعد نفسه لتلبية طلبات سرية الزاكي طمل الذهبية  
 الى الشلك<sup>٢</sup> ، فكان جملة ما صرف لهذه السرية ١١٤٦ اردبا من الذرة لتصاحب  
 السرية زائدا ٤٩١ اردبا اخرى استهلكتها السرية اثناء اقامتهما ، وصرف لها كذلك  
 اربعمائة ثوب دمور لكسوة الجنود ، واربعمائة ريال نقدية<sup>٣</sup> . ولما عادت نفسى

١ مهديه ١ / ٩ / ١٢٢٧ : من احمد السني للخليفة : ١٤ رجب ١٣١٢ / ١١ يناير ١٨٩٥  
 ٢ كانت سرية الزاكي طمل مرسلة لتأديب الشلك لانهم رفضوا دفع الزكاة في ١٣٠٦هـ /  
 ١٨٨٨-٩ م وقد ادت الحملة غرضها

انظر : Holt: Mahdist State : p. 190

٣ مهديه ١ / ٩ / ١٢٢٧ : من احمد السني للخليفة : مؤرخ ٨ شوال ١٣٠٨ / ٢ مايو  
 ١٨٩٢ .

السرية في صفر ١٣١٠ / سبتمبر ١٨٩٢ م صرف لها خمسمائة ريال مجيدي وخمسمائة  
 ثوب دمرور<sup>١</sup> . وفي جماد الاولى / ديسمبر من نفس العام صرف لسرية محمد عثمان ابو  
 قرجه<sup>٢</sup> ثلثمائة ثوب دمرور ، وطلبات اخرى من دهن للوابور ونقود وغير ذلك<sup>٣</sup> ، وفي نفس  
 العام ايضا وصلت سرية ابراهيم الخليل بالدويم<sup>٤</sup> ، وطلبت من احمد السنن " عشرين  
 جوز سقا<sup>٥</sup> واربعون قرية وخمسون سلبه<sup>٦</sup> وخمسين ثوب دمرور<sup>٧</sup> ، وصرف لها جميع  
 ماطلبت .

- 
- ١ مهديه ١ / ٩ / ١ / ٤٩ : من احمد السنن للخليفة : موعخ ٢٨ صفر ١٣١٠ / ٢١ سبتمبر ١٨٩٢  
 ٢ كان ابو قرجه مرسل الى الرجاف لتولى قيادة الجيوش هناك  
 Holt : Mahdist State : p. 20  
 ٣ مهديه ١ / ٩ / ١ / ٤٥ : من احمد السنن للخليفة : جماد اول ١٣١٠ / ٢١ نوفمبر ٢٠ ديسمبر  
 ١٨٩٢ م  
 ٤ هو ابراهيم الخليل احمد اخو محمود ود احمد كان قد خلف احمد فضيل على قيادة  
 كارة الجهدية بام درمان حينما ارسل احمد فضيل الى الحدود الشرقية ، والآن متجه  
 بسريته هذه ليخلف عثمان آدم في الغرب  
 Holt : op.cit : p. 195  
 ٥ السقا : القرية تصنع من جلد البقر  
 ٦ السلبه : الحبل الذي ترمل به الابل  
 ٧ مهديه ١ / ٩ / ١ / ٥١ : من احمد السنن للخليفة : ٤ رجب ١٣١٠ هـ /  
 ٢٣ يناير ١٨٩٣ م .

اذن فالذي قد يعرفه احمد السنى ، فى عام واحد على الجيوش ، مضافا اليه طلبات بيت مال المازمية شىء عظيم حقا ، لاسيما وقد لاحظنا فى الصفحات الفائتة ان مائة الف اردب كانت اضعف من ان يحتمل انتاج الجزيرة ، وان الناس اعصوها بعد لائى وعنت . هذا يعنى ان محصول الجزيرة اذا قيس بوسائل زمانه كان كبيرا جدا بالنسبة لجميع جهات الدولة . ولما تولى الجزيرة من خدمات عظيمة للدولة كانت اهتمام الخليفة بها كبيرا فكان يتخذ خطوات من شأنها تيسير الزراعة على الزراع وعدم شغل بالهم بشىء سوى الزراعة ، مثل ان يبعث الى عامله يأمره بان يرفع الخدمات " المتعلقة بالغنائم وحقوق الله " عن اهل الجزيرة فى شهرى شوال والقعدة - اى فى موسم الزراعة ويحثهم فى خطابه بان يجتهدوا فى زراعتهم<sup>١</sup> . هذا وان العامل احمد السنى كان يهتم بالمحصول ، ويطوف كل المنطقة فى موسم الزراعة ليرى بنفسه ، ويكتب التقارير المفصلة للخليفة عن الموقف ، فيتحدث عن الامطار فى كل قسم ، ومقام به الناس من خطوات والمرحلة التى بلغتها زراعتهم ، ثم يقدر الانتاج بالقياس للاعوام الماضية كما يكتب عن ارتفاع اسعار العيوش

---

١ مهديه ٥٤ / ١ / ٣ : من الخليفة الى احمد السنى : ٢٧ رمضان ١٣٠٢ هـ / ١٨ اكتوبر

وانخفاضها<sup>١</sup> . هذا التصرف يعكس اهتمام الخليفة بإنتاج عمالة الجزيرة ويرى أثرها

في موقفهم الاقتصادي وعلى وجه الخصوص بالنسبة للمواد الغذائية .

كانت أهم مناطق الجزيرة ، من حيث غزارة الانتاج ووفرتة - كما توضح تقارير

أحمد السني - هي مناطق المناقل ، والحركيين والخوالده ، ومنطقة كانت تعرف

بتونس الجعليين ، والكواهلات ونواحي المسلمية والحلاوين<sup>٢</sup> يعني ذلك أن منطقة

شمال الجزيرة كانت أقل المناطق انتاجا ، وهذا امر طبيعي فقد ذكرنا في الباب

الاول<sup>٣</sup> أن الجزيرة تزاد خصوبتها وتتكاثر امطارها ، كلما سرنا جنوبا .

وكان أهم الحاصلات التي تزرع في الجزيرة الذرة بأنواعها ، والقمح والقطن<sup>٤</sup> .

وقد حدثني الشيخ دفع الله محمد امام حبوبة أن زراعة القطن كانت منتشرة بالجزيرة -

وأن لم تكن كالاليوم - لكنها كانت تسد حاجة المنطقة من الدمور وتفيض . وذكر أن

القطن كان يزرع في مجتمعات المياه ( مصابها ) . فبعد جفاف ماء المطر تكون الارض قد

١ مهيدي ١ / ٩ / ٢ / ١٦٤ : من أحمد السني للخليفة : ١٢ ربيع لخر ١٣١٥ / ١٠ سبتمبر

١٨٩٧ م

أيضا : مهيدي ١ / ٩ / ٢ / ١٦٦ : من أحمد السني للخليفة ٢٦ ربيع لخر ١٣١٥ م

٢٤ سبتمبر ١٨٩٧ م

٢ مهيدي ١ / ٩ / ١ / ٣٨ : من أحمد السني للخليفة : محرم ١٣١٢ / ٥ يوليو - ٣ اغسطس ١٨٩٤ م

٣ انظر : ص ١١

٤ لمزيد من التفصيل عن حاصلات الجزيرة وطريقة الزراعة فيها انظر : ص ١١

ارتوت تماما يزرع القطن " بالسلوكه " .

أما الصناعة في عمالة الجزيرة فانها تمثل الوجه الآخر من أهمية هذه العمالة الاقتصادية لدولة المهديّة . ورغم انها كانت بدائية الا أنها كانت تفي بحاجة زمانها . فالى جانب صناعة الذهب والزجاج والملح<sup>١</sup> عرفت الجزيرة صناعات اخرى مثل صناعة الدمور ، التي كانت تنتشر انتشارا واسعا في اغلب بقاع الجزيرة - كما حدثني الشيخ دفع الله محمد امام حبوبه . وضرب مثلا لذلك قائلا : اذا فرضنا ان قرينا هذه بها ستون رجلا ، كنت تجد الستين يحسنون نسج الدمور في عهد المهديّه . وفيما تقدم من هذا الفصل رأينا المقادير الكبيرة من الدمور التي كان يرسلها احمد السني للخليفة او للسرايا المختلفة ، وان هذا يكفي شاهدا على وفرة الدمور في هذه المنطقة .

وقد حاول احمد السني في سنة ١٣١٦/١٨٩٨م ان ينشئ صناعة للصابون بسد بها حاجة بيت مال الملازمة ، وكتب الى الامير يعقوب في هذا الشأن ، وافلح في ان ينال موافقة الخليفة ويعقوب ، ونجح في سد حاجة الملازمة من صابونه الذي انتجه بمصنعه ، لكن صناعة الصابون هذه لم تتخط هذا المجال ليعم انتاجها السوق

واننا لم نجد ما يدل على الخبرة الفنية التي استعان بها احمد السنى من ايسن  
جاءت <sup>١</sup> .

وكانت التجارة نشطة فى هذه العمالة <sup>٢</sup> . وكان فى كل بلدة كبيرة سوق  
يوء مها الناس فى يوم معين من ايام الاسبوع . وكانت اهم اسواق الجزيرة هى سوق  
المسلمية وسوق ود مدنى وسوق سنار <sup>٣</sup> .

ذلك الذى ذكرنا كله هو الوجه المشرق لادارة احمد السنى ، أما وجهها  
الاخرف فهو ليس قائما ، اذا قسناه بادارة يونس الدكيم او عدلان محمد سرور ، ولكنه  
لا يخلو من العيوب . لقد ذكرنا ان ادارة الخليفة ، من حيث توزيع السلطات بيسن  
اصحابها ووضع كل سلطة فى موضعها ، كانت سيئة ، ونفس الذى رأينا فى ادارة عدلان  
محمد سرور ، من حيث تصارب السلطان <sup>٤</sup> ، نراه يحدث فى ادارة احمد السنى ايضا ،  
ولكن احمد السنى استطاع ان يتغلب على كثير من ذلك ، بما له من قوة الشخصية ، وقوة

١ مهيده ١٥٢/١٣/٧/٢ : من احمد السنى ليعقوب : ٢ محرم ١٣١٦/ ٢٣ مايو ١٨٩٨

ايضا : مهيده ١٦٤/١٣/٧/٢ : من احمد السنى ليعقوب : ٢٢ صفر ١٣١٦ /

١١ يونيه ١٨٩٨

٢ لمزيد التفصيل عن النشاط التجارى فى الجزيرة انظر : ص ١٢-١٤

٣ شقير : ص ١٧٨

٤ انظر : ص ١٣٧-١٣٩



الفطرة ، بحجة انهم يتأهبون للسفر استجابة لامر الخليفة ، ولم يستطع احمد السننى شيئا غير الشكوى للخليفة <sup>١</sup> .

لقد ظل هو لاه الامراء مصدر قلق لاحمد السننى ، ينازعونه السلطة ، لا يريدون تدخله فى مناطق نفوذهم العسكرى حتى يستفيدوا هم انفسهم بأخذ ما بأيدي التابعين لهم من زكوات وحقوق اخرى ، ولكن احمد السننى ظل يدافعهم حتى استصدر امرا صريحا من الخليفة ، جعل حق خدامة عمالة الجزيرة كلها لاحمد السننى وحده ، ومنع جميع الامراء من أن يطلبوا شيئا من الاهالى التابعين لراياتهم ، ومنع الناس فى جميع العمالة من اعطاء اى شىء من حقوق الله للامراء او اى احد آخر سوى احمد السننى <sup>٢</sup> . بذلك مكن احمد السننى لنفسه وفرض سلطته على طبقة خطيرة كان يمكنها ان تخل بميزان الادارة .

عرفت عمالة الجزيرة ، الى جانب ذلك ، انواعا مختلفة من مشاكل الامن الداخلى ، مثل قطع الطريق الذى كانت تنجم عنه حوادث القتل والسلب والنهب ،

١ مودة ١/٩/١٤٣ : من احمد السننى للخليفة : ٦ شوال ١٣١٣ هـ /  
٢٢ مارس ١٨٩٦ م  
٢ مودة ١/٩/١٥٩ : من احمد السننى للخليفة : ٤ صفر ١٣١٥ هـ / ٥ يونيه  
١٨٩٢ م



ومثل الاعتداءات الأخرى ، الناتجة من رجال السلطة ، أو أعوانهم أو من كانوا ينتمون إليهم بوجه من الوجوه كاعتداءات أهل الخيول ، وهم رعاة الخيول الذين يوفدون معها من أم درمان للإشراف عليها ، واعتداءات الجنود من جهدية وغيرهم ، واعتداءات التحايشة المهاجرين الذين يقيمون للزراعة بالجزيرة ، والمشاكل القبلية التي لم تخمد نازها منذ أن استقرت القبائل العربية بالجزيرة<sup>١</sup> ، والمشاكل الأخرى الطارئة مثل مشاكل بعض القبائل التي كانت تظهر مرة في صورة تمرد وأخرى في صورة امتناع عن دفع الضرائب المفروضة ، كما حدث من كنانة وبنى حسين<sup>٢</sup> .

كان كثير من حوادث النهب وقطع الطريق في الجزيرة ينسب إلى قبائل البطاحين ، وكان كلما وقع حدث من هذا القبيل رفع أحمد السني تقريراً مفصلاً عنه . وقد كان أحمد السني ناجحاً جداً في متابعة المجرمين والقاء القبض عليهم ، وكانت تلك الأحداث دائماً تقع في الطرق الوعرة الخالية من السكان . ونشير إلى مثالين من ذلك أما أحدهما فهو حادث وقع من أربعة من البطاحين ومعهما واحد من الشكريين هو لاء الخمسة أربعوا الجزيرة والشرق بكثرة السلب والنهب فقبض عليهم أحمد السني

١ للتفصيل عن استقرار القبائل العربية انظر الباب الأول : ص ١٥ وما بعده

٢ سيأتي الحديث عن زراعة البوروف وكنانة وبنى حسين ص ١٨٥-١٩٦

وارسلهم الى محكمة الاسلام في الحجة ١٣١٤ / مايو ١٨٨٢ م<sup>١</sup> . وأما الآخر ففى ربيع الآخر ١٣١٥ / سبتمبر ١٨٩٢ م قبض احمد السنى على خمسة كانوا يقطعون الطريق بين ابي فروع وفداسى وود مدنى وارسلهم الى امدران للمحاكمة<sup>٢</sup> . وقد حدثنا الشيخ دفع الله محمد امام حبوبه ان قطع الطريق فى الجزيرة كان مشكلة كبرى من مشاكل الامن ولم ينته الا فى عهد الحكم الثنائى . ويرجع السبب فيه الى المساحات والسهول الواسعة التى يضطر المسافر لقطعها وحيدا بعيدا عن اماكن السكن . وكان خطر رعاة الخيول اكبر من خطر قطاع الطرق . ان اهل الخيول كانوا يرسلون بعوائلهم لمناطق الجزيرة المختلفة ويعطون اعدادا من الخيول لتغذيتهـا ورعايتها والاشراف عليها ، لكنه لم يكن يصرف لهم معاش او رزق يكتفون به ، فكانوا يضطرون لنهب ما عند الناس والهجوم على القرى ونشر الرعب فيها لاختد ما عند اهلها ، وكانت تحدث بينهم وبين الاهالى المعارك التى تموت فيها العشرات ، وقد شكى احمد السنى للخليفة مما كان يقوم به اهل الخيول وخطره على ارواح العباد<sup>٣</sup> .

---

١ مـديه ١٥٢ / ١ / ٩ / ١ : من احمد السنى للخليفة : ٧ الحجة ١٣١٤ / ١٠ مايو ١٨٩٢  
 ٢ مـديه ٦١ / ١١ / ٢ / ٢ : من احمد السنى ليعقوب : ٢٩ ربيع آخر ١٣١٥ هـ /  
 ٢٧ سبتمبر ١٨٩٢ م  
 ٣ مـديه ٢١٤ / ٢ / ٩ / ١ : من احمد السنى للخليفة : ١٣ محرم ١٣١٦ / ٣ يونيه ١٨٩٨ م

وقد كانت العقادير التي يستحوذ عليها اهل الخيول من الذرة ونحوها كبيرة حتى انها في اوائل ١٣١٦هـ / اواسط ١٨٩٨م رفعت سعر الاردب من الذرة الى ستة عشر ريالا علما بان الاردب في اشد الاوقات غلاء لم يكن يتعدى ريالا ونصف ريالا<sup>١</sup> . يعني ذلك ان هذه الفئة وضعت الجزيرة في مجاعة وغلاء فاحش فماذا يكون الموقف لو اضعفنا اليهم اعمال المهاجرين التي سنصفها فيما يلي ؟

وتطورت اهل الخيول<sup>مخاكي</sup> من السلب والنهب الى تحدي سلطة العامل والتطاول عليها ، ان اخذوا يقتطعون لانفسهم الاقطاعات ، ويمنعون مناديب العامل ممن دخولها لجمع الزكوات والصرائب ، بحجة ان تلك الجهة اعطيت لهم " لمرشاة " الخيول كما فعل رباج جمعه بجهة قوز ابي جمعه ، حتى اضطر احمد السني لرفع شكوى ضده للخليفة<sup>٢</sup> .

كانت مشاكل اهل الخيول هذه تحل حلا مؤقتا ولم يكن هناك ضابط يضبط تصرفاتهم ، او رادع يردعهم . كان الخليفة بين الحين والحين يرسل لهم الخطابات والمنشورات التي يوجههم فيها الى خدمة خيولهم بأنفسهم وعدم تسخير الناس لها ،

- 
- ١ مهديه ١٥٨/١٣/٧/٢ : من احمد السني ليعقوب : ٢٠ محرم ١٣١٦هـ / ١٠ يونيو ١٨٩٨هـ  
ايضا : مهديه ٧١/١٠/٧/٢ : من احمد السني ليعقوب ٢٠ جماد اول ١٣١٥هـ / ٧ اكتوبر ١٨٩٧هـ  
٣ مهديه ٥/١/٩/١ : من احمد السني للخليفة : غرة جماد اول ١٣٠٨هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٩٠هـ

وان يحذروا من التعدي على الناس الخ<sup>١</sup> . ولكن هذه النصائح كانت سرعان ماتتسى .  
وقد حدثنا الشيخ دفع الله محمد امام انه يذكر ان الخليفة كان بين الحين والحين  
يبعث ببعض الامراء لتأديب الجهدية واهل الخيول ، وأنه يذكر على وجه التخصيص  
ولا يذكر العام ، ان الخليفة بعث الشيخ صالح حمدو ومعه احد التعايشة يدعى ابوزينب  
لنظر في قضايا اهل الخيول والجهدية ، فكانا يقومان بجلد وتشعيب كل من ثبتت  
انه قام باعتداء ت على الاهالي . وقد سر الناس من تأديب صالح حمدو لهم حتى اجرو  
مثلا نعه " صالح عدل والجداو قدل " اي ان عدل صالح سر كل مخلوق حتى الدجاج  
الذي خرج يتبختر فرحا . ولكن كل ذلك لم يصل بالاشكال الى حل حاسم ، فاننا نلاحظ  
ان شكاوي احمد السني من اهل الخيول ظلت تتلاحق حتى سنة ١٣١٦ / ١٨٩٨ م<sup>٢</sup> ان  
الدم اولا واخيرا في مثل هذه الفوضى يقع على عاتق الحكومة المركزية ، فهي لم تعط  
العامل قوة تمكنه من القضاء على مثل هذه الفوضى لاقوة من القانون ولا من السلاح . وانما  
ظل العامل ضعيفا امام هؤلاء المعتدين ، في موقف المتظلم الشاكي دائما وكان الناس  
ضحية كل تلك الاحداث .

١ مهيدي ٢ / ٣٢ / ٥ / ٤٦٦ : من الخليفة الى الانصار اصحاب الخيول بجهة بحرابيض :

١٤ رمضان ١٣١٢ / ١١ مارس ١٨٩٥

٢ مهيدي ٢ / ٧ / ١٣ / ١٥٨ : من احمد السني ليعقوب : ٢٠ محرم ١٣١٦ / ١٠ يونيو ١٨٩٨

أما الجهدية فإن مشكلتهم كانت أخف بكثير مما رأينا من أهل الخيول ، فكما ذكر الشيخ دفع الله محمد أمام ، لم يكن الجهدية يسعون وراء الثراء الواسع أو الضيعات العريضة ، مثل أهل الخيول ، وإنما كانوا بين الحين والحين يهاجمون الناس في ديارهم رغبة في سد حاجة وقتية من طعام ونحوه . ولكن كان ذلك أيضا يوءى في بعض الأحيان إلى سفح الدم ورافته بين المعتدى والمعتدى عليه<sup>١</sup> . هذا إلى جانب ما كانوا يتمتعون به من قسوة ومظاهرة في الطبع وما كانوا يعيشون في البلاد من فساد خلقى وهى يوءى دون أعمالهم<sup>٢</sup> .

وكانت هناك مشكلة مماثلة لما ذكرنا من مشكلات سببها البقارة الذين وطفوا بالجزيرة بعد تهجير البقارة إلى إدرمان بعد سنة ١٨٩٤<sup>٣</sup> في عهد الخليفة . وقد أقامت أعداد كبيرة منهم حتى أصبح لهم عمالة مستقلة ، في بادىء الأمر كان مسئولوا عنها الشيخ عبدالمجيد عفيف وكانت تعرف بعمالة المهاجرين ، أضيفت فيما بعد إلى أحمد السنى<sup>٤</sup> .

١ مؤدية ١/٩/٢/١٦٠ : من أحمد السنى للخليفة : ٤ صفر ١٣١٥ هـ / ٥ يوليو ١٨٩٢ م

٢ بابكر بدرى : ص ١١٧ وما بعدها

٣ انظر ص ٦٤ و ص ٧٠

أيضا Holt : Mahdist State : p. 141

٤ لتفصيل الحديث عن عمالة المهاجرين انظر : ص ١٢٥

هذه الجماعات من البقارة ايضا ، منذ بداية استقرارها ، امتهنت سلب الناس حوائجهم . وقد كان الخليفة منحهم اراضى معينة يزرعوها فتركوا تلك الاراضى واغتصبوا ارض السكان من اهل البلد لأنها كانت مزروعة لاحتياج الى عناء او تكاليف . فلما علم الخليفة بأمرهم لم يرض وفطن الى ما قد يجر ذلك على الامن من وبال ، ولعلهم ايضا قدّر أن البقارة اذا استولوا على ما عند الناس ، من الحسير ان تنال الخزينة العامة منهم شيئا فمن الخير اذن من كل ناحية أن تكون الارض لاهلها ، ويقتصر البقارة على مالدتهم أو ما خصص لهم من ارض . وقد كتب الخليفة بذلك الى ابراهيم النور وعبد المجيد عفيف ( المسئولين ) وكتب الى البقارة بالجزيرة وكتب كذلك الى اهالى الجزيرة بالا يسمحوا لاي احد من التعايشة بالاعتداء على ارضهم<sup>١</sup> .

ولكن لم تكن الارض وحدها هى الاشكال ، وانما اخذت مثلكلهم تلبس اثوابا شتى ، فكانوا يسلبون الناس حقوقهم غصبا ، من نقود وحيوانات واثاث منزلى ، وينهبون الدكاكين ويشيعون الغوضى والرعب فى كل مكان ذهبوا فيه ، حتى اصبح

---

١ مهديه ٢ / ٣٢ / ٤ / ٤٢٠ : من الخليفة الى ابراهيم النور وعبد المجيد عفيف : ١٨ ربيع اول ١٣١١ / ٢٩ سبتمبر ١٨٩٣

ايضا مهديه ٢ / ٣٢ / ٤ / ٤٢١ : من الخليفة الى التعايشة بالجزيرة : ١٨ ربيع اول ١٣١١ / ٢٩ سبتمبر ١٨٩٣ م

ايضا : مهديه ٢ / ٣٢ / ٤ / ٤٢٢ : من الخليفة الى اهالى الجزيرة : ١٨ ربيع اول ١٣١١ / ٢٩ سبتمبر ١٨٩٣ م

الرجل يخشى على اهل بيته وعياله من شرهم ، وكانوا يتجمعون جماعات تفوق المائتين  
والمائتين رجالا ونساء<sup>١</sup> يشيرون الرعب والهلج في كل حلة يدخلونها فينهبون ما شاؤوا<sup>١</sup>  
وقد شكوا لـ أحمد السني منهم الى الخليفة فالى يعقوب كذلك<sup>١</sup> ، ولكن حل اشكالهم كان  
يكن اساسا في تقوية الادارة المحلية واعطائها سلطات اكبر حتى تستطيع معالجة كل مشكلة  
في وقتها وحسب مقتضى ظرفها .

لعله وضح مما سبق أن هنالك امرين فوق كل اعتبار ، بالنسبة للوضع الاداري  
في الجزيرة ، وهما سبب الاشكال : الاول لصرار الخليفة على استنزاف انتاج الجزيرة الى  
آخر قطرة ، وارهاق الزرع واهل البلاد وعامل المنطقة كذلك بمحاولة الايقاع بما يطلب  
من العمالة . والثاني سيطرة قبائل البقارة ، من موظفي الدولة او مجرد الزارعين  
بالجزيرة ، الذين لم يكونوا يعيرون بسلطة العامل ولا يعرفون له اعتبارا ، وتدليل  
الخليفة لهؤلاء البقارة او تدليلهم على الناس بحكم مالهم من مكانة عند الخليفة

---

١ مهديه ١٦٩ / ٢ / ٩ / ١ : من عمد واعيان جهة ولد العباس الى احمد السني : ٢٥ ربيع  
آخر ١٣١٥ / ٢٣ سبتمبر ١٨٩٢  
ايضا : مهديه ٧٢ / ١١ / ٢ / ٢ : من احمد السني ليعقوب : ١٦ جماد اول ١٣١٥ /  
١٣ اكتوبر ١٨٩٢ م  
ايضا : مهديه ١٧١ / ٢ / ٩ / ١ : من احمد السني للخليفة : ١٦ جماد اول ١٣١٥ هـ /  
١٣ اكتوبر ١٨٩٢ م

وما يحسنون به من وضع اجتماعي ممتاز على سواهم .

لقد ظل احمد السني عاملا على عمالة الجزيرة نحو التسع سنوات ، اختتمها  
بخذلان دولة الخليفة ، ان بادر بالاتصال بحملة كتشنر منذ ان علم بوصولها في بربر ،  
ووعده الحملة بأن يسلمها كل ماله من قوة الجهادية والسلاح ، واحصى كل ماله من  
ممتلكات الدولة ووعده السرور بوضعها تحت تصرفه <sup>١</sup> .

وأخيرا استسلم احمد السني للميجور تلبوت ، الذي جاء مطاردا احمد فضيل ،  
واستسلم مع احمد السني ٨٠٠ مقاتل مسلحون ، وذلك في ١٥ سبتمبر ١٨٩٨ م ويتسلمه  
انهارت سلطة المهدي في جزء من أهم أجزاء الدولة ، وانعزلت الخرطوم لتنفرد  
بالمقاومة <sup>٢</sup> .

---

١ مهديه ١/٩/٢/٢٤٨ : من احمد السني الى سرور الجيش المصري : ٤ جماد اول ١٣١١ هـ

٢٠ سبتمبر ١٨٩٨ م

٢ شقير : ص ١٣٠٠



## الباب الرابع

### المهدية بين البقاء والفناء في الجزيرة

ويحتوي الفصول التالية :

(١)

الوضع القبلي واثره في نصر وخذلان المهدي

(٢)

رجال الطرق والفقهاء بين تأييد المهدي والاعراض عنها

(٣)

تطبيق المهدي للنظم الاسلامية في الجزيرة

### الوضع القبلي وأثره في نصر وخذلان المهديّة

تحدثنا في الباب الاول عن الوضع الاجتماعي في الجزيرة ، فرأينا المجتمع مقسما الى قبائل ، كل قبيلة تحتفظ بتراث وتقاليد معينة وعصبية شديدة الى القبيلة وتراثها<sup>١</sup> . ولقد ظل ذلك الوضع قائما الى نهاية عهد المهديّة ، بل لاتزال آثاره باقية في الجزيرة ، لكنه على طول عهد المهديّة ظل محتفظا بكيانه كل الاحتفاظ ، سيما وان الخليفة كما ذكرنا قوى من ذلك الوضع القبلي بوضع كل قبيلة كبيرة أو مجموعة من العشائر تحت راية واحدة<sup>٢</sup> .

ان تلك القبائل ظلت تتوارث عصبية شديدة القوي ، وكانت تلك العصبية تمثل المادة التي تربط بين لبنات بناء القبيلة وقد افادت المهديّة من تلك العصبية في بداية عهدها وانتصاراتها الاولى في الجزيرة ، ولكنها فيما بعد - اعني العصبية كانت سببا من اسباب تداعي الوضع المهدي في الجزيرة . ولتوضيح ذلك نضرب أمثلة ببعض القبائل ، موقعها من المهديّة ايجابا وسلبا وأثر ذلك على الوضع .

---

١ انظر : ص ١٦-٣٠

٢ انظر : ص ١٥٢

وفي مقدمة القبائل ، التي كان لها أثر في الوضع المهدوي في الجزيرة ، تأتي قبيلة رفاع الهوى ، وهي من أكبر قبائل الجزيرة ، وأغناها وأوفرها رزقا ، خلاصة في مجال تربية الماشية والأغنام ونحو ذلك <sup>١</sup> .

كانت رفاع الهوى أسبق قبائل الجزيرة على الاطلاق في الثورة العظمى مظاهره المهدى ضد الحكم التركي المصري ، بمعنى أن أول هجوم على مرافق الدولة ورجال الادارة التركية تم على يد رفاع الهوى بقيادة عامر المكاشفي <sup>٢</sup> . وعلى الرغم من أن شقير حاول أن يقلل من قيمة هذه المبادرة بالثورة وينسبها أولا واخيرا الى الهرب من صرائب الحكومة ، الا انها كانت في الحقيقة أكبر من هذا المعنى <sup>٣</sup> .

كان خروج عامر المكاشفي في صدر ١٢٩٩ هـ / مطلع ١٨٨٢ ، وقد مضى على المهدى بضعة اشهر فقط في مهجره في الغرب . ولم يستيقن الناس ان ذاك من مصير ثورة المهدى ، وكانت السلطة التركية المصرية لم تنزل فتية ، فاذا عرفنا ذلك ، وعرفنا أن عامر المكاشفي صاح بين الاعراب باسم المهدى فاستجابوا له يصبح الامر واضحا امامنا بأن الثورة كانت سنداً لهذه الصيحة . صحيح ان ثقل الضربة كان

١ لمزيد المعلومات عن رفاع الهوى انظر : ص ٢٤-٢٦

٢ لتفصيل ذلك انظر : ص ٨١

٣ شقير : ص ٦٧٠

دافعا للناس في السودان على وجه العموم ان يثوروا ضد الوضع<sup>١</sup> ، ولكن العقيدة بين رفاة الهوى وانتماءها الديني الى بيت المكاشفي كان كافيلا لان تثق بدعوة ابنه الى المهدي . ويؤيد هذا ان رفاة الهوى قد نبذت قيادتها التقليدية - قيادة آل ابي روف - الموالية للحكومة - وانفادت لدعاة المهدي وفي سنار وفي جبل موية وجبل سقدي وقدموا مهجهم غير مباينين في سبيل هذه الدعوة<sup>٢</sup> .

اذن فقد حملت رفاة الهوى راية الجهاد مع المهدي في الجزيرة منذ الوهلة الاولى . قد يكون لها من الاحقاد ضد الحكومة مالها لانها كانت قبيلة تعتمد على تربية الحيوان فيوقع ان تكون الضرائب قد ارهقتها ارهاقا - لكنها لا ريب كانت مقتنعة بالمهدية ، واجتمعت على قلب رجل واحد لتأييدها .

ولحل هذا التأييد المطلق هو الذي جعل مشائخ رفاة - آل ابي روف يخبرون موقفهم ويساندون الثوار ، فقد قام ابو روف بحصار سنار في اوائل نوفمبر ١٨٨٢م<sup>٣</sup> .

وجدد ابو روف ولاه للمهدية بمبايعة الخليفة في مستهل عهده - بعد سقوط سنار مباشرة .

١ انظر : ص ٣٤-٣٥

٢ لتفصيل تأييدهم لدعاة المهدي انظر : ص ٨٢ وما بعدها

٣ لتفصيل ذلك انظر : ص ٩٦-٩٧

الى هنا نلاحظ أن القبيلة كلها ، رعية ومشائخ ، أصبحوا سنداً قوياً مؤثراً في دولة المهديّة وانتصاراتها في الجزيرة • ولكن هذا السند لم يدم فقد انقلبست القبيلة عن بكرة أبيها ضد الخليفة • والاسباب ليست واضحة تماماً فكل الذي يبين أيدينا أن للمرضى ابوروف حينما جاء الى أم درمان لمبايعة الخليفة ، بعد سقوط سنار ، طلب منه الخليفة أن يذهب الى بلاده ويجمع رجاله ويعود بهم الى أم درمان • فلم يعد ابوروف فأرسل الخليفة اليه بعض من يستعجله لكنه اعتدى عليهم وجردهم من سلاحهم وأيده قومه في ذلك وذبحوا التيران امام رسل الخليفة اعلاتا للخروج على سلطة الخليفة وحملوا رسل الخليفة رسالة اليه فحوالها أنهم لايبالون بحربه •

ان الاحتمالات التي ربما من اجلها ثارت رفاة ضد الخليفة كثيرة ، فربما رأى المرضى ان الخليفة لايشق بهم ويريد ان يضعهم تحت رقابته المباشرة ، وربما رأوا ايضا ان وضعهم كقوة نظامية ثابتة في أم درمان لايناسبهم من حيث طريقتهم في الحياة ، وطريقة معاشهم ، وربما خفى علينا من الاسباب ما لا نستطيع تقديره كذلك • فالحقيقة الماثلة انهم ثاروا ضد الخليفة وتمردوا ، تجمع ابوروف ورجاله في قـوز الهجيليج ( الاهليلج ) قريبا من جبل ويركت تجاه فشوده <sup>١</sup> • فبلغ خبر تجمعهم هذا

---

١ شقير : ص ١١٣٢

ايضا مهديه ١٥ / ٤ / ١٢٦ : من محمد ولد احمد للخليفة ١٢ ربيع اخره ٣٠ / ٢ يناير ١٨٨٨

الخليفة عن طريق بعض وكلائه هناك مثل عمر سعد<sup>١</sup> ، فرسم الخليفة خطة دقيقة للقضاء على ابي روف .

اولا كتب خطابات لبعض من يعتمد عليهم في منطقة جبال جنوب الجزيرة وهم عدلان محمد سرور واحمد النخلى عبد الله وعمر الحاج سعد ، وامرهم جميعا ان يتحدوا تحت قيادة عمر الحاج سعد ، وأن يكونوا يدا واحدة ، ثم فوضهم في ان يقضوا على ابي روف ان رأوا انهم قادرين على مواجهته وحربه . وطلب منهم ان يقبضوا عليه حيا ويرسلوه الى امدرمان ان استطاعوا . اما ان لم يجدوا في انفسهم كفاية لكل ذلك فكان عليهم ان يخبروا الخليفة ليبعث اليهم بقوة حربية مناسبة<sup>٢</sup> .

وفي خطاب الخليفة لعمر سعد ، الذي أشرنا اليه اعلاه ، وضع الخليفة لرجاله ألا يعتدوا على ابي روف ولا يشمروا العداء ضده قبل أن يستنفدوا كل الوسائل لاقتناعه بالتوبة ، كما ارفق الخليفة خطابا موجها للمرضى ابي روف مع خطاب عمر سعد ، وطلب من الاخير ان يبعث به الى المرضى باحسن صورة ممكنة ، وقد جاء في خطاب الخليفة

١ مهديه ٣/٥/١١/٨٤٤ : من الخليفة الى عمر سعد : ٢ رمضان ١٣٠٤هـ / ٤ فبراير ١٨٨٢

٢ مهديه ٣/٥/١١/٨٣٨ : من الخليفة الى احمد النخلى عبد الله : ٢ رمضان ١٣٠٤هـ / ٤ فبراير ١٨٨٢

ايضا : مهديه ٣/٥/١١/٨٤٠ : من الخليفة الى عدلان محمد سرور : ٢ رمضان ١٣٠٤هـ / ٤ فبراير ١٨٨٢م

ايضا : مهديه ٣/٥/١١/٨٤٢ : من الخليفة الى عمر الحاج سعد : ٢ رمضان ١٣٠٤هـ / ٤ فبراير ١٨٨٢م

للمرضى أنه اعطاه " امان الله ورسوله ومهديه واماننا في نفسك ومالك وعيالك وكافة

ولحل الامراء الثلاثة كتبوا الى الخليفة بأن الموقف لا يبشر بخير في منطقة

الجبال ، وأنهم لن يقدموا على مواجهة الموقف ، فقد انتدب الخليفة فرقة من جيش

ابي عنجة<sup>٢</sup> ، اسند قيادتها الى عبد الله ود ابراهيم والزكي طمل ، فاتجه عبد الله

---

١ مهديه ٣/٥/١١/٨٤٩ : من الخليفة الى المرضى ابوروف : ٥ رمضان ١٣٠٤/٢٨ مايو ١٨٨٧

٢ كان ابو عنجة عائدا من جبال النوبة متجها الى القلايات في اول سنة ١٣٠٥ هـ /

سبتمبر ١٨٨٧ م

Holt : Mahdist State : p. 152

انظر :

ود ابراهيم من الجبلين الى قوز المجيليج . وبعث الخليفة فرقة اخرى ، بقيادة اسماعيل ود الامين ، احد مشايخ حمر ، اتخذت طريقها الى ابو شوكة - شمال سنار - على النيل الازرق ، لتحصن ابوروف في هذه الناحية .

بينما كان عبد الله ود ابراهيم متجها الى المجيليج وصلته مكاتبات من عمر سعد وعدلان محمد سرور ، مفادها ان عريان ابي روف مجتمعون بالمزوم مستعدون للحرب ، فتوجهت الحملة الى المزوم ، وهناك وجدوا بعض عريان سليم ، وعددا كبيرا من رقيق آل ابي روف ، حاول انصار ابي روف الهرب ولكن الحملة تبعتهم وقبضت على اربعمئة رأس من الرقيق وغنمت خمسمئة بقرة<sup>١</sup> . واستطاع قادة السرية ان يعرفوا من الاسرى ان المرضى ورجالهم مجتمعون بجبل قرو . فكتب القادة الى المرضى بضعة خاطبات بأن يرضخ ويسلم نفسه ، وينال رضا الخليفة وغفوه . ووصلهم رد واحد من المرضى ، بعد ان وصله ثالث خطاب من السرية . ففى ذلك الرد انكر المرضى انه نائر او متمرّد ، وذكر انه لا يزال عند ايمانه بالمهدية ، وانه لا يعرف

١ مهديه ١١٠٣ / ٥ / ١١ / ٩٥١ : من الخليفة الى عبد الله ود ابراهيم والزكى طمل : ١١ القعدة

١٣٠٤ هـ / ١ اغسطس ١٨٨٨ م

لما سليم فقد لاحقهم احد مقادير احمد النخلى ويدعى سلامه موسى وحاربهم بمكان يقال له الدبسه ، وغنم منهم مخانم كثيرة ، لكن اخيرا صدرت الاوامر من الخليفة بأن تسرد حقوق سليم لها ، باعتبارها مختلطة مع رجال ابي روف وليست ثائرة متمردة معهم انظر : مهديه ١١٠٣ / ٤ / ١٢٨ : من محمد ولد احمد للخليفة : ١٢ ربيع اخره ١٣٠ / ٢ يناير ١٨٨٨



عن هذه السرية شيئا ، فان كان لديها امر من الخليفة يخولها حربه او القبض عليه  
فلتبرز ذلك له . واخيرا وضح لهما بأنه سينذهب الى ادمرمان يوضح كل شئ  
هناك ، ويتأكد من صحة ما قالوا <sup>١</sup> .

كل ذلك ربما أراد ان يذهلهم به حتى يحاروا في ما يصنعون وبذلك يعد  
نفسه للحرب او الهرب ، واخيرا فر هاربا الى جهات الصعيد " جنوبا " فتبعته  
السرية اثره حتى ادركته في عصر اليوم التالي حيث حاربت كميننا كان قد اعدده للسرية  
وانتصرت عليه . وفي المساء ارسل قادة السرية طلائعهم فجاءت تقاريرهم تفيد بأن  
المرضى ورجالهم ليسوا على بعد فهجموا عليهم واستمر القتال بين الانصار والاعراب نحو سبع  
ساعات ، وانجلت الحرب عن هزيمة رجال أبي روف وتشتيتهم في الاوحار . وقتل منهم في  
هذه المعركة احد ابناء المرضى واحد عشر اخرين من رفاة الهوى ، اما المرضى ومحمد  
بن مالك ابى روف فلم يحرف مكانهما ، وارسلت الطلائع مرة اخرى لهذا الغرض . واخيرا  
ظفروا بروءوس الفتنة قرب المجلج فقتلوا المرضى نفسه والشيخ محمد بن الشيخ مالك  
ابوروف والشيخ مردس شيخ الصلاطين والشيخ ابراهيم ود صابون شيخ العقليين <sup>٢</sup> .

١ مهديه ٣/٥/١١/٩٥١ : من الخليفة الى عبد الله ود ابراهيم والزاكى طمل :

١١ القعدة ١٣٠٤ هـ / ١ اغسطس ١٨٨٢ م

٢ نفسه

ايضا : شقير : ص ١١٣٧

ولم يترك الخليفة رجال ابي روف حتى بعد ان هزموا وشتت شملهم بل ظل يلاحقهم حتى يلفظوا آخر انفسهم فكتب الى عموم اهل الجزيرة يحذرهم من ايواء اى من رجال ابي روف ، ويطلبو منهم ان يبلغوا عن كل من يحثرون عليه من الهارين<sup>١</sup> .  
واخيرا عادت سرية عبد الله ود ابراهيم لتلحق بجيش ابي عنجة عند ابي حراز قرب ود مدني في الثالث من صفر ١٣٠٥ هـ ٢١ اكتوبر ١٨٨٧<sup>٢</sup> .

وسلك الخليفة وسائل قاسية للانتقام من رفاة الهوى والقضاء عليها سياسيا واقتصاديا فصادر جميع ممتلكاتهم غنمة . حوت الافا من الابل والبقر والاعنام والماعز . كما سبي نسائهم من جوار وحرائر ، من الفتيات الصغيرات الايكار فشق ذلك على القبيلة وقضى عليها محتويا وماديا<sup>٣</sup> .

واسدل الستار على مأساة كبرى سيمت فيها رقاب الاحرار في سوق النخاسة ، دافع اعراب رفاة الهوى في هذه المأساة عن حقيقة كانت مثلهم الاعلى الا وهى وحدة

١ مهديه ٣/٥/١١/٩٦٣ : من الخليفة الى عموم انصار الدين بالجزيرة : ٢٠ القعدة ١٣٠٤ / ١٠ اغسطس ١٨٨٧

٢ شقير : ال ص ١١٣٧

٣ مهديه ٢/١٥/١/٧ : من اسماعيل الامين للخليفة : ٨ محرم ١٣٠٥ / ٢٦ سبتمبر ١٨٨٧  
ايضا مهديه ٢/١٥/١/١٠ : من اسماعيل الامين للخليفة : ٩ محرم ١٣٠٥ / ٢٧ سبتمبر ١٨٨٧  
ايضا مهديه ٢/١٥/١/٤٣ : من اسماعيل الامين للخليفة : ٢٦ محرم ١٣٠٥ / ١٤ اكتوبر ١٨٨٧

القبيلة وتناصرها في الحق والباطل • وناهيك بقصة رفاة الهوى شاهدنا علمى  
مئات قوى العصبية القبلية بالجزيرة حتى العهد المهدوى • وانهم بهذا التماسك  
والتناصر نصروا المهدى وايدوه وبه أيضا حاربوا خليفة المهدى بالسيف •

ان تمرد رفاة الهوى ، وطول حربه ضد الخليفة ، وما كلفته الدولة من عناء  
وخسارة ، فتح بابا للخروج والعصيان فقد رأينا انها نالت سندا من قبائل اخرى  
مثل القلاطين والعقليين وغيرهم ، وليس غريبا ان تنقلب رفاة من التأييد المطلق الى  
المعارضة المطلقة فهناك قصة مماثلة تكررت في الجزيرة أيضا سقنا جانبا من تفاصيلها  
فيما مضى ، ألا وهى مسألة الحلّوين الذين رفضوا الجهاد مع يونس الدكيم وقعدوا  
عن حملته <sup>١</sup> •

لقد كان الحلّوين من المباديين الى نصرته المهدية ، بحكم ان فيهم زعامة  
السمانية - فى بيتى الشيخ البصير والشيخ القرشى ود الزين ، لكنهم بدأوا يتنصلون  
فى ايام الخليفة عن ذلك العهد - مثلهم مثل كثير من قبائل الجزيرة الاخرى • وان  
تنصلهم هذا لم يتجلّ فى رفض الجهاد وحده ، لكنهم أيضا كانوا يماطلون فى دفع  
الضريبة المستحقة عليهم او حقوق الله كما يسمونها احمد السنى • وقد شكاهم احمد  
السنى مرة الى الخليفة قائلا : انهم رفضوا دفع ما عليهم رغم ان انتاجهم من السذرة

---

١ لمزيد التفصيل فى ذلك انظر : ص ١٥٢-١٥٣

كان لوفر انتاج في ذلك العام وخبره بان ذلك يعتبر عديانا وتمردا على السلطة  
وعليه فانه قد رفع الامر الى محكمة الاسلام<sup>١</sup> .

لعل ذلك يعنى ان الحلاوين منذ سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦-١٨٨٧ م او قبلها  
ظلوا غير راضين عن الوضع السياسى اما عامة او بالنسبة لهم خاصة ، فبدأوا يجمعون  
اطرافهم للثورة او اخذ عدم الرضا ليمتجم الى عمل ، فاحذ هذه المظاهر التى  
تحدثنا عنها .

ومن القبائل التى عبرت عن امتعاضها واستيائها بمثل هذا الاسلوب ايضا  
الحسنات وكتانة والخواندة والشكرية وقبائل اخرى واناس كثيرون . ولقد رفع احمد  
السنى معروضين ضد الحسنات يشكو من انهم تسلطوا على مناديبه بالضرب حتى توفى  
بعضهم ، وانهم كذلك رفضوا ان يسمحوا له براءة مواشيهم ليقرر عليها الزكاة الشرعية ،  
بل عرضوا عليه اخذ ما تيسر منهم او تركهم وشأنهم . وقد حاول الخليفة ان يجعل حكما  
بينه وبينهم بعضا من قادة الحسنات وروء سائهم ولكنهم لم يصلوا الى حل بات<sup>٢</sup> .

---

١ مهديه ١ / ٩ / ١ / ٦٠ : من احمد السنى للخليفة : ٧ شعبان ١٣١١ / ١٣ فبراير ١٨٩٤ م  
٢ مهديه ١ / ٩ / ٢ / ١٦٣ : من احمد السنى للخليفة : ١٢ ربيع لخر ١٣١٥ / ١٠ سبتمبر ١٨٩٧ م  
ايضا : مهديه ٢ / ٧ / ١١ / ٥٧ : من احمد السنى ليعقوب : ٢٦ ربيع لخر ١٣١٥ /  
٢٤ سبتمبر ١٨٩٧ م .

أما كنانة فإن مشكلتهم بدأت تطل برأسها في ١٣١٥/١٨٩٢-١٨٩٨ م. إذ أصبحوا يماطلون أحمد السنن في دفع ما عليهم من حقوق ، فبسط أحمد السنن أمرهم إلى الخليفة عبد الله الذي حوّل الأمر إلى خليفة الفاروق الخليفة علي ود حلو ، فانتخب علي ود حلو بعضاً من رؤوس كنانة لنظر المسألة ، وأضاف إليهم أحمد السنن بعض أهل الخير من رجاله ، فلم يتوصل الوسطاء إلى حل مريح ، إذ إن كنانة قبلت أن تدفع حقوق الله على ألا تحصى ثروتها أو يراها أحمد السنن ، ولم ير أحمد السنن بداً من قبول هذا الحل ، رغم أنه يعلم أن كنانة لن تدفع إلا ما يريحها ويرضيها فقط .

وفي أوائل سنة ١٣١٦/١٨٩٨ م. ذهب مناديب أحمد السنن لآخذ الزكاة من كنانة ، فرفضت كنانة أن تدفع شيئاً البتة ، بل إنها فوق ذلك اشتبكت مع مناديب أحمد السنن في عراك شديد . فبلغ الخبر خليفة المهدي الذي بعث الشيخ إبراهيم عالم على رأس نفر من أمراء كنانة أوكل لهم أمر النظر في قضية كنانة وأحمد السنن . وبعث الخليفة إلى كنانة بزيادة كاف من النصائح والوصايا مع الشيخ يعقوب عمر . فحل الوسطاء الأشكال القائمة ، وسمح رجال كنانة لعمال أحمد السنن بجمع

---

الزكاة ، وقد كان لوساطة امراء كنانة اثر كبير في حل الاشكال <sup>١</sup> .

ولصبح احمد السنى يلون بالحلول المبنية على التراضى كل ما حدث عديان من قبيلة وقد تكرر هذا مع الشكرية القاطنين في اطراف حدود عمالة احمد السنى ، من الناحية الشرقية . هو لا ايضا منعوا الزكوات . حتى اضطر احمد السنى الى اخذ تعهد على الشيخ على ولد الهدى بأن يدفع له سنويا مبلغ الف ريال قشلى والف ثوب من الدمور ويجمع الزكوات من قبيلته بالطريقة التى يراها <sup>٢</sup> .

ان هذا السلوك في اهل الجزيرة اصبح مرضا وبائيا لقد فشا في كل الجزيرة ، واخذ الناس يتعلمون بعلل واهية للقرار من الضريبة ، كأن يزعم بعضهم انهم ليسوا اصلا من اهل الجزيرة او ان يمتنعوا ويماطلوا من غير سبب واضح <sup>٣</sup> .

ان اهل الجزيرة قد استجابوا للمهدية في شكل قبائل وطوائف <sup>٤</sup> ورحبوا بها . وحملت بعض القبائل السلاح في حماسة واندفاع . ولكننا كما رأينا منذ

١ مهديه ١ / ٩ / ٢ / ٢١٨ : من احمد السنى للخليفة : ٢ صفر ١٣١٦ / ٢٣ مايو ١٨٩٨

٢ مهديه ١ / ٩ / ٢ / ٢٢٤ : من احمد السنى للخليفة : ٢٧ صفر ١٣١٦ / ١٣ يونيو ١٨٩٨

٣ مهديه ١ / ٩ / ١ / ٧٤ : من احمد السنى ومحمد امام حبوبه للخليفة : ٢٤ شعبان ١٣١٢ /

٢٠ فبراير ١٨٩٥

ايضا مهديه ١ / ٩ / ٢ / ١٧٧ : من احمد السنى للخليفة : ١٢ جمادى اخر ١٣١٥ / ٨ نوفمبر

١٨٩٧

٤ سيأتى الحديث عن الطوائف والفقهاء في الفصل التالى .

بداية عهد الخليفة انقلبت كثير من قبائل الجزيرة الى جانب المعارضة واستشرى  
 بينها التمرد حتى بدا في هذه المظاهر القاتمة . وقد ادب الخليفة بعض القبائل  
 في بداية امره كما رأينا الحال مع رفاة الهوى والحلاوين الذين رفضوا الجهاد  
 ولكن لعله خشى ان تتفجر النار في كل مكان فيعجز عن اخمادها او مواجهتها  
 فجعل يلتمس طريق الوسطاء ، ويحول الاشكالات الى غيره من الخلفاء ، ويقبل  
 الحلول التي تملئها القبائل المعادية كما تريد . بهذا فان لبنات بناء الدولة ،  
 التي كانت مصدر قوتها وتماسكها ، اصبحت تتداعى شيئا فشيئا وبرز للخليفة الخطر  
 من مكمنه الذي كان يستتر به .

### رجال الطرق والفقهاء بين تأييد المهدية والاعراض عنها

وضحنا فيما تقدم ان التصوف في الجزيرة قوى الجزور مقين الاساس ، وان الطرق الصوفية السائدة في العالم الاسلامي قد انتقل كثير منها الى السودان عامة ، وكان للجزيرة منها نصيب وافر <sup>١</sup> . وقد ايد المهدية منذ الوهلة الاولى من مشائخ هذه الطرق رجال السمانية ، ولم يبرز فيهم معارض لها الا الشيخ محمد شريف ود نور الدائم ، استاذ المهدي وشيخه الذي سلك عليه الطريق في بادى امره <sup>٢</sup> . وقد رأينا من قبل انه خاض معارك الثورة الاولى في الجزيرة رجال من مشائخ السمانية مثل الشريف احمد طه وعبد الباسط الذي قاد واقعة الدويم الثانية وابى الحسنى اليعقوباني فسى سمنار وغير هؤلاء من المشائخ <sup>٣</sup> . ومن أهم من عارضوا المهدية في باطن امرهم ، واعتزلوها في ابان ظهورها مشائخ القادرية مثل العركيين <sup>٤</sup> والشيخ العبيد بدر <sup>٥</sup> ، وكان لهؤلاء اتباع كثيرون يحسب لهم كل حساب في النصر والهزيمة .

١ انظر : ص ٣٧-٤١

٢ انظر : ص ٤٣-٤٤

٣ انظر : ص ٧٩ وما بعدها

٤ Reid : Notes : p. 29

٥ سيأتى الحديث عن الشيخ العبيد في هذا الفصل : ص ٢١٥



وقد حارب المهدي الطرق الصوفية حرباً شعواء لكي يقوض دعائم نفوذ  
هو لاء المشائخ ويوجه لاء الناس الديني للمهدية وحدها ، وقد بلغ به العداء  
لاهل هذه الطرق والجراة على مشائخها أن نهى في منشوراته عن استعمال لفظ  
السيد والشيخ وهما اللقيان اللذان كان يخاطب بهما المشائخ <sup>١</sup> . بل ذهب إلى  
أبعد من ذلك ، فأمر الناس أن يتركوا جميع معارفهم ومعتقداتهم وينقادوا إليه  
لأنه ، كما زعم " خليفة رسول الله " <sup>٢</sup> ، ولقد حطم المهدي جميع التراث الذي  
خلقه الطرق <sup>٣</sup> . وسلك الخليفة طريقه أيضاً . وكان عمال الخليفة يلاحقون المتصوفة  
والمترزين بزيهم ، أو الذين يقيمون أذكارا مما كانت تعلمه الطرق . وقد قبض  
أحمد السني مرة على اثنين وسبعين من " حيران " وجماعة الشيخ عوض السيد  
حسن بالقطينة . وأجرى معهم تحقيقا عما كانوا يصنعون ، وأرسلهم إلى خليفة  
المهدي بتهمة عدم روية خليفة المهدي والانشغال " بالكثير " أي الذكر وعدم  
مناظرة البقعة <sup>٤</sup> .

---

١ منشورات : ص ١٩٢

٢ نفسه : ص ١٨٨

٣ Reid : Notes : p.15

٤ مهديه ١/٩/٨٣ : من أحمد السني للخليفة ، ومعه كشف بأسماء واعتراقات  
٢٨ محرم ١٣١٣ / ٢١ يوليو ١٨٩٥ .

ان الفقهاء ومشائخ الطرق بالنسبة لموقفهم من المهدي فثقتان فئة أبدت تأييدا مطلقا ، وفئة نافقت فصقت او حملت على التأييد حملا • وقد وضع المهدي رأيه في الطائفتين قائلا : " ... فاما العالم التابع لي في مهديتي فهو كالنبي الموعود ... والعالم المخالف لي كقرعون ... " <sup>١</sup> . وكان محمد الطيب البصير في مستهل عهد المهدي يعاني من العلماء المعادين للمهدية لانهم كانوا يفسدون كل جهد يقوم به لاقتناع الناس فكتب الى المهدي يشكو من هذه الفئة التي توالي الكفرة • وكتب له المهدي يطمئنه ان يستمسك بحبل الايمان ولا ييئس منهم وليدعهم اليه بالتي هي احسن فان ابوا فان حكمهم عند الله أشد من حكم الكفرة <sup>٢</sup> .

اذن ففضية المشايخ في الجزيرة من القضايا الكبرى التي كان لابد للمهدي ان يعطيها اعتبارها الكافي لاسيما وان الجزيرة اقرب مناطق السودان الى مركز السلطة • وبالفعل قد انفق المهدي جهدا كبيرا في ضم من استطاع من المشايخ اليه ومن لم يستطع ضمه هدهد واسكتة او حمله حملا على مبايعته والنهوض للجهاد

١ شقير ص ٩٤٥

٢ ٥٦ ف ٤ : من المهدي الى محمد الطيب البصير : ٦ ربيع ثان ١٣٠١ هـ / ٤ فبراير ١٨٨٤ م

معه على كره • ولعل خير من يمثل الموعدين من الفقهاء الذين حملوا مشعل الدعوة وشقوا طريقها مع المهدي هو الشيخ محمد الطيب البصير<sup>١</sup> • اما الذين نافقوا وآيدوا على كره منهم فكثيرون ، نتحدث على سبيل المثال في مايلي عن بعضهم وهم الشيخ المضوي عبد الرحمن والفقير محمد الازريق بود مدني والشيخ العبيد بسدر بام ضيان •

ان تأييد الشيخ محمد الطيب البصير وإخلاصه للمهدية لم يكن له نظير بين فقهاء الجزيرة ومشائخ الطرق فيها على الاطلاق • لقد كان محمد الطيب البصير متين الصلة بالمهدي • ان الوشائج التي تربط بين المهدي وود البصير كثيرة وقوية ، لانها تجمع بين صلات الدم والفكر والجهاد والشمس مشترك • كان المهدي متزوجا بالسيدة السرة بنت الشيخ محمد الطيب البصير<sup>٢</sup> ، وقد تركها المهدي مع ابيها حينما هاجر

١ قد سبق ذكر بعض من قادوا الحركة في الجزيرة من المشائخ مثل احمد المكاشفي والشريف احمد طه ومحمد زين التكروري الخ :

انظر : ص ٢٩ وما بعدها

٢ ذكر شقير ان زوجة المهدي هي اخت محمد الطيب البصير وكذلك قال المستر ريد ولكننا نأخذ برواية الشيخ دفع الله محمد امام حبوبه لحسن درايتة بهذه الحوائل ولما تربطه بها من صلات •

انظر : شقير : ص ٢٩٧

ايضا : Reid : Notes : P.16

الى قدير ، ومن ناحية اخرى فان الشيخ محمد الطيب البصير هو حفيد الشيخ  
القرشي ود الزين ، استاذ المهدي ، فام محمد الطيب هي السيدة كلثوم بنت  
الشيخ القرشي .

وكان الشيخ البصير والد الشيخ محمد الطيب قد اخذ الطريقة السمانية عن  
الشيخ الطيب راجل امرحى ، فاصبح شيخا مرموقا من مشائخها الذين تؤخذ على  
يدهم البيعة . ومن الذين اخذوا البيعة عن البصير واصلوا الطريق الشيخ القرشي  
ود الزين نفسه ، اى ان مشيخة الطريقة تربط بين الشيخ القرشي والشيخ البصير  
ثم تمتد هذه السلسلة حتى تشمل المهدي ايضا ، الى جانب ذلك فان المصاهرة  
تربط بينهم جميعا <sup>١</sup> .

كان محمد الطيب البصير لذلك من خواص المهدي الذين اباح اليهم المهدي  
بسرهم ومكتون امره ، قبل ان يعلن للناس مهديته . ولم يكن محمد احمد يخطو  
خطوة في سبيل الاعداد للاعلان المهدية حتى يكون محمد الطيب شريكا فيها .  
فبعد وفاة الشيخ القرشي مباشرة التقى محمد احمد بمحمد الطيب البصير وبعض

---

١ عن الشيخ دفع الله محمد امام حبيوه .

خواتمه الآخرين من مشايخ وحمد الحلاويين ووقع معهم عهداً " باقامة الدين " <sup>١</sup> .  
 ان ذلك الذي تعاهدوا عليه لم يكن يحتاج الى اكثر من هذه العبارة  
 " اقامة الدين " ، لان اقامة الدين وقطع العهد عليها قد تشمل عملاً كبيراً سراً  
 وعلانية ، قد يرقى الى درجة حمل السلاح والتضحية بالارواح . وظلت صلة محمد  
 احمد بمحمد الطيب البصير دائمة لاتنقطع فكتب له في شهر القعدة ١٢٩٢ هـ /  
 ٥ اكتوبر ١٨٨٠ م - ٣ نوفمبر ١٨٨٠ م كتب محمد احمد يعتذر عن عدم تمكنه  
 من الحضور شخصياً الى محمد الطيب البصير ، وأوضح ان السبب المانع له امر  
 هام ايضاً وهو متعلقة بذلك العهد الذي تعاهدوا عليه وطلب محمد احمد ممن  
 صاحبه ان يثبت ذلك العهد بين من يثق به من الناس على ان يظل في الكتمان  
 التام ، حتى يظهره الله ، وخيره بأنه قد امر جميع الذين التزموا بالعهد ممن

---

١ ذكر شقير ان / القرشي توفي في اواخر ١٢٩٢ / اواخر ١٨٨٠ م وربما كان هذا  
 العهد تم بعد وفاة الشيخ مباشرة لانها المناسبة التي نال فيها المهدي خلافة  
 الشيخ ولان الخطابات التي جاءت لمحمد الطيب هي اواخر ١٢٩٢ فيها بشائر  
 بشي<sup>٥</sup> سيحدث لمحمد احمد وهي غالباً ما تكون بعد هذا العهد .  
 انظر : شقير : ص ٦٤٢  
 ايضاً : درم / ١٠٠ / ١ / ١٢ : من المهدي الى الشيخ سليمان : ١٤ رجب  
 ١٢٩٢ / ٢٣ يونيو ١٨٨٠ م  
 ايضاً : انظر تفصيل حديثنا عن اطوار دعوة المهدي : ص ٤٥

أصحابه أن يخلوا أيديهم من كل شغل استعداداً لحمل أعباء ذلك الأمر<sup>١</sup> . وعلى ذلك يكون محمد الطيب قد شارك محمد أحمد حتى الآن في خطوتين : الالتزام بالعهد لنفسه ثم انتقاء من يصلح لحمل أعباء ذلك العهد حينما يظهره الله .

وقد ذكر محمد أحمد في هذا الخطاب أن هذه البشائر التي ظهرت له ترجع جذورها إلى إشارات وأوامر من الشيخين القرشي والبصير<sup>٢</sup> .

ثم أعلن محمد أحمد مهاديته في ربيع الثاني ١٢٩٨ / مارس ١٨٨١ فأسر بها إلى التعايش وبعض خلصائه ، وأنشأ يبعث بالمنشورات خارج أبا . وقبيل الهجرة في غرة شعبان ١٢٩٨ / ٣٠ يونيو ١٨٨١ م كتب إلى محمد الطيب البصير يستخلفه ويستنبيه عنه في الجزيرة ونواحيها ، ويدعوه أن يحث الناس على الهجرة

١ ٦٢ ف ١ : من المهدى إلى محمد الطيب البصير : القعدة ١٢٩٧ / ٥ أكتوبر — ٣ نوفمبر ١٨٨٠ م

٢ لعل الإشارة المعنية في هذا الخطاب هي ما روى لنا الشيخ دفع الله محمد أمام حبه عن الشيخ سالم مولى الشيخ القرشي من أنه كانت للشيخ القرشي فرس فمرضت ورفضت الماء والطعام ، فجاء الفكي سالم وأخبر مولاه بذلك ، فقال له الشيخ : "خلها ما بموت كان ماركب فيها المهدى" ، وبعد نحو عام من ذلك مرض الشيخ القرشي فأشار لسالم أن يسرج الفرس نفسها ويحضرها لمحمد أحمد ليذهب بها — يعلى بالناس صلاة العيد بدلا عن شيخه ، ومن هنا صار تلهيذ القرشي يعتقدون أن محمد أحمد سيصبح المهدى المنتظر لامتدادا على هذا التلميح بإركابه فرس الشيخ .

الى المهدي في قدير ، او ان يأخذوا البيعة على يد محمد الطيب نفسه ، ان  
انه اصبح النائب عن المهدي ومبايعته كمبايعته المهدي . وحمل لمحمد الطيب في  
ذات الخطاب نبأ حضرة نبوية تؤكد مهادنته التي حضرها من المشايخ القرشي  
والبصير واصيائه بالقصد على سنة النبي العدنان . ومنذ ذلك التاريخ اصبح  
الشيخ محمد الطيب البصير مثل المهدي الشرعي ، وعامله على الجزيرة ، والنائب  
عنه في جميع الامور ، حسبما اشار الخطاب <sup>١</sup> . وظل محمد الطيب على اتصال  
بالمهدي في هجره يقوم بكل مايوكل اليه من امر .

هذا وان هذا المنشور لم يحدد سلطات محمد الطيب البصير بدقة وانما  
ارسل عبارة معممه هي " وحيث انك النائب عنا في جميع الامور " ، لكنه جعل  
مهمة محمد الطيب الاساسية تزويد المحبين في الاوطان ، ودعوتهم الى الهجرة الى  
المهدي ، او بيعته محمد الطيب نيابة عن المهدي ، لكنا نرى ان سلطات محمد  
الطيب اخذت تتسع حتى اصبح العامل الاداري ، والقائد الحربي ، فمارس  
السلطات المدنية والقانونية مثل القضاء وجمع اموال الصدقات ، كما مارس الحرب ،  
ففي ربيع الاول سنة ١٣٠١ / آخر ديسمبر ١٨٨٣ - ٢٩ يناير ١٨٨٤ م كتب

المهدي الى محمد الطيب ان يفصل بما قضى الله في قضية بين عبد الجبار ابن  
الشيخ نور الدائم ، والقرشي الطيب البصير <sup>١</sup> ، وفي احد الربيعين من نفس العام  
بعث له المهدي بخطاب يحوي تعديلات لحكم اصداره محمد الطيب يقضي  
بفسخ نكاح امرأة من زوجها وتزويجها اخر غيره ، فعدل المهدي الحكم واعادها  
الى زوجها الاول <sup>٢</sup> .

الى جانب ذلك فان المهدي كان يعتبر محمد الطيب البصير القائد الاعلى  
لجميع الجزيرة ، فانه كتب الى كل من له تبعية ان ينهض للجهاد ، ويدخل  
رايته تحت قيادة محمد الطيب البصير ، ومن اولئك الشيخ العبيد <sup>٣</sup> وعوض الكريم  
احمد ابو سن والى <sup>٤</sup> ، وغير هؤلاء من القادة الدينيين وروؤس القبائل ، وكتب  
بهذا المعنى ايضا الى صالح المك حينما طلب منه التسليم <sup>٥</sup> . هذا وان محمد

١ ١١ ف ٣ : من المهدي الى محمد الطيب البصير : ربيع الاول ١٣٠١ / اخر ديسمبر

١٨٨٣ - ٢٩ يناير ١٨٨٤

٢ احكام : ص ٢٥٠

٣ انظر حديثنا فيما يلي من هذا الفصل عن الشيخ العبيد : ص ١٥٥

٤ انذارات : ص ٨٦ - ٩٠ : من المهدي الى علي عوض الكريم احمد ابو سن (والخرين

من آل ابي سن) : ربيع اول ١٣٠١ / ٣١ ديسمبر ١٨٨٣ - ٢٩ يناير ١٨٨٤

٥ درم ١٠٠ / ١ / ٢٤ : من المهدي الى صالح اغا ولد المك : ربيع اول ١٣٠١ /

٣١ ديسمبر ١٨٨٣ - ٢٩ يناير ١٨٨٤



الطبيب البصير قد مارس الحرب وقيادتها بالفعل ، فقاد الانصار في واقعة ود مدني  
 ضد صالح الملك ، وفي حصار صالح الملك في فداسي<sup>١</sup> ، وفي القلايات مع يونس الدكيم  
 فيما بعد<sup>٢</sup> الخ .

بعد هذا الجهد الذي بذله محمد الطبيب البصير ، من عمل سرى للدعوة  
 المهدية - حين كان ذلك العمل مخاطرة كبرى ، بحكم قوة السلطة التركية ان ذاك ،  
 وبعد أن شارك محمد الطبيب في لمّ شتات الثوار تحت قيادته ، وجعل منهم يدا  
 واحدة ضرب بها جند الحكومة ابان فتوتها ، بعد كل ذلك تمرد عليه الانصار ،  
 ورفضوا قيادته والانصياع لاوامره حتى اوشكت ان تسفك في ذلك الدماء لولا ان  
 تلاقى المهدي الامروا رسل محمد عثمان ابو قرجه اميرا على البحر<sup>٣</sup> . وكان خطاب  
 المهدي الذي عزل به محمد الطبيب البصير وخبره عن ولاية ابي قرجه رقيقا للغاية .  
 ذكر المهدي لمحمد الطبيب ان انصراف الانصار عنه لا يعني عدم كفايته أو فشله ،  
 ولكن الانصار لا يعلمون شيئا فليعذرهم محمد الطبيب ويحتمل نتيجة جهلهم بحقائق

١ انظر : ص ٩٢

٢ انظر : ص ١٥٣

٣ وردت الاشارة بتعيين ابي قرجه اميرا في خطاب من ابي قرجه<sup>المستقر</sup> الى محمد خالد زقل  
 برقم مهديه ٨ / ١ / ١ / ٦ (أ) : ٤ جماد الاخر ١٣٠١ / ٢ ابريل ١٨٨٤

الامور ، ورجا المهدي من محمد الطيب ان يصفح عما حدث حقنا للدماء واملا في  
تألف القلوب واجتماع الكلمة ، كما رجاء ان يظل قائدا لاهله ويؤثر ابو قرجة ،  
ونذكره بان مثله في هذا الموقف كمثل خالد بن الوليد الذي تنحى عن القيادة  
العلية واصبح جنديا لابي عبيدة في الشام<sup>١</sup> .

كان لابد للمهدي ان يتصرف هكذا لان ود البصير ، فيما يبدو كان  
فظا غليظ القلب ، فانه حتى بعد هذا الاجراء لم يسترح بال المهدي من ناحيته ،  
فقد فتح ابوابا اخرى للشقاق ، فأثار مشكلة مع ابي قرجة في تسليم صالح الملك ان  
كان يرى ان ابو قرجه تهاون مع صالح الملك اكثر مما ينبغي وكتب للمهدي بذلك ،  
فاجابه المهدي بأن ابو قرجه ربما اراد تأليف صالح الملك ، وذكر ود البصير  
بأن ابو قرجه رجل حسن التصرف وانه لم يخالف اوامر المهدي اذا ارسل صالح  
الملك للمهدي حسبما امر .

هذا الحدث الاخير اكد للمهدي ان ود البصير لم يكن راضيا عما حدث  
من ابعاده له عن القيادة ، واستبداله بابو قرجة ، فكشف المهدي لود البصير

---

١ ١٢٠ ف ١ : من المهدي الى محمد الطيب البصير : قبل جماد اول ١٣٠١ هـ /  
قبل ٣ مارس ١٨٨٤ م

عما يحبك في صدره من حقد على ابو قرجه ، ورجاه ان يظل عند حسن ظن المهدي به لانه ذوق قريب ومكانة عند المهدي ، وفي نفس الوقت امره المهدي بأن يظل في بيته لا يمارس شئون الحرب ، وان يرسل قومه الى حصار الخرطوم مع ابي قرجة ، حتى يصل المهدي الخرطوم ، وينظر في امره بنفسه<sup>١</sup> .

وتفاقت مسألة ود البصير وظهرت طويته جليلة للمهدي بأنه لم يكن راضيا عن مكانته وما حدث له فأصبح يسيىء الظن باصحاب المهدي وخلفائه حتى الخليفة عبد الله ويرميهم بالتهم ، فغضب المهدي من ذلك اشد الغضب ، لان طعن ود البصير بلغ قمة جهاز المهدية ، واذا فتح باب من هذا القبيل لن يغلق ، وسيكون عاملا لتفتيت وحدة هم في امس الحاجة اليها . ولكن المهدي لم يعاقب ود البصير واكتفى بتهديده منذرا وناصحا في خطاب له بتاريخ ٣ - ٩ - جماد اول ١٣٠١ / ٢ - ٨ مارس ١٨٨٤ ، ومن العبارات الشديدة الحاسة التي وردت في ذلك الخطاب " فانه من حسن الظن باصحابنا فقد حسن الظن بنا ومن اساء الظن بهم فقد اساء الظن بنا " . ثم امر المهدي محمد الطيب بموافقة

---

١ ٥٠ ف ٣ : من المهدي الى محمد الطيب البصير : بعد اخر جماد اخر ١٣٠١ /  
بعد ٢٩ مارس ١٨٨٤ م

من تعيين من قبل المهدي في الكليات والجزئيات ، وعدم مخالفة رأى  
المهدي <sup>١</sup> .

ولقد غضب الخليفة من طعن محمد الطيب فيه وتجريحه له ، ولكن المهدي  
تدخل ، ورجا الخليفة ان يغفو ويصفح عن اساءة ود البصير له فقد ندم ود البصير  
اشد الندم على ما بدر منه ، وذكر المهدي للخليفة ايضا ان محمد الطيب ينبغي ان  
ترعى له سابقة جهاده في المهديّة ومكانة اهله <sup>٢</sup> .

ولحل الدافع الذي حدا بمحمد الطيب البصير لاتخاذ هذا الموقف من اصحاب  
المهدي وخلفائه احد امرين ، فاما ان يكون محمد الطيب كان يرى انه لم ينسـل  
المكان اللائق به بين ابيكار المهدي ، ان اهمل في اخر الامر بعد ان نضجت الفكرة  
التي طالما غدوها وانموها ، منذ عهد السريه الى عهد الحرب والجهاد والنصر ،  
فربما كان ود البصير يتوقع ان يكون في منزلة احد الخلفاء او كبار القادة من اصحاب  
المهدي ، لما له من يد بيضاء على الحركة منذ نعومة اظفارها . والا فقد يكون

١ انذارات : ص ١٨٩ : من المهدي الى محمد الطيب : ٣-٩ جماد اول  
١٣٠١هـ / ٢-٨ مارس ١٨٨٤

٢ ٢٠٧ ف ١ : من المهدي الى الخليفة عبد الله : ٢٢٠٢هـ / ٢٢ اكتوبر  
١٨٨٤ - ١٠ اكتوبر ١٨٨٥م

ود البصير عظيم الاخلاص شديدا في الحق ، لا يخفر هفوة لمن هفا كائنا من كان ، فابو قرجة والخليفة عبد الله وسائر الناس عنده سواء امام الحق . ولكن ليس لمثل هذا التفكير مكان في تربية المهدي او تعاليمه لانه من التعاليم الاساسية في المهدية السمع والطاعة المطلقة ، وعدم التجاسر على امر المهدي ، لانه كما قال المهدي " امرنا ناشي " من الالهام الصائب والمشورة المسنونة " <sup>١</sup> . وكل اصحاب المهدي لم يكونوا يناقشون قرارات المهدي ، لانها اوامر ربانية او نبوية . اذن فمحمد الطيب غالبا ما كان ينفس عن غبن اصابه ، وخيبة امل حلت به ، ولكن المهدي احتمله كل الاحتمال حتى اجتاز تلك الهزة النفسية العصيبة ، وعاد الى نشاطه حتى عهد الخليفة كما ذكرنا من قبل <sup>٢</sup> .

وعلى كل ، سواء اصح ما افترضنا اخيرا ام لم يصح ، فان الجهود التي بذلها الشيخ محمد الطيب البصير منذ عهد ميثاقه مع المهدي عقب موت الشيخ القرشي حتى انتصرت المهدية في الجزيرة ، جهود كفيفة بان تضعه في مصاف اوائل رجال المهدية ، وحرية بأن يقدرها المهدي وقد فعل . ان الذين اشرنا اليهم فيما

---

١ منشورات : ص ٣٠

٢ انظر : ص ١٥٣

١ تقدم من رجال الطرق الذين ايدوا المهدية لم يكونوا اقل حماسة لها من الشيخ محمد الطيب البعير ، ولكنهم جميعا ذهبوا في الفوج الاول من شهداء الجهاد المهدوي . وظل محمد الطيب من بعدهم حافظا للمعهد .

اما الذين عارضوا ثورة المهدى فقد كان اغلبهم من الفقهاء الذين نالوا حظا من التعليم الفقهي المنهجي ، اما في الازهر او تلمذوا على علماء من هذه المدرسة ، وقليل من عارض المهدية من المتصوفة بل لانكاد نجد في الجزيرة من برز في معاداة المهدية من المتصوفة سوى رجال الطريقة القادرية <sup>٢</sup> . وقد حمل المهدى كثيرين من هؤلاء المعادين على التأييد رغما عن انفسهم حتى يضمن ولاه تبعيتهم او على الاقل عدم معاداتها .

كان الشيخ المصطفى عبد الرحمن من علماء الازهر المرموقين ولكنه لم يؤيد المهدية الا اضطرارا بعد شيكان <sup>٣</sup> . اشترك الشيخ المصطفى في اول واقعة فسي ١٣ مارس ١٨٨٤ م <sup>٤</sup> . ولكن المصطفى ظل مكرها على قبول المهدية ، مخادعا لها .

١ انظر : ص ١٩٨

٢ انظر : ص ١٩٨

٣ انظر تفصيل الحديث عنه : ص ٨٤-٨٥

٤ انظر تفصيل ذلك فيما يلي : ص ٢٢٢

وما ان وجد الفرصة في عهد الخليفة حتى اصبح من الدّ أعداء الخليفة واخيرا فرّ ناجيا بنفسه من بطش الخليفة الى الحبشة<sup>١</sup> .

ومثل الشيخ المضوي ايضا كان الشيخ محمد الازيرق • وقد كان يحفظ القرآن ويدرسه ، ويحسن معرفة الفقه المالكي • وقد ارتحل من الدامر ، واستقر في ودمدني سنة ١٢٢٥ هـ / ١٨٥٨-١٨٥٩ م ، واسس مسجدا هناك لتعليم القرآن • وعرف عن الشيخ الازيرق انه كان حريصا على المعرفة والعلم ، فكان يخط بيده كتب الفقه ، ينقلها من النسخ المطبوعة ، حتى اجتمع عنده ثمانون مجلدا خطيا • ومن فرط اهتمامه بدقائق الفقه كان يحتفظ بالكتاب الواحد على شرح ثلاثة من الشارحين • واتفق ان زار جعفر باشا مظهر مسجده بومدني ، فعرف عنه تلك الحقيقة فاكبرها ، وجعل لمسجده اعانة مالية من الحكومة •

كان الشيخ الازيرق ينكر دعوى المهدي ، ولا يؤمن بها ، ويسخر من المهدي قائلا " آه يا ولد نكتوت الذي شيعت الناس موت " <sup>٢</sup> • ومن شدة انكار

Holt : Mahdist State : p. 151

١ بابكر بدري : ص ٢٥

٢ وكلمة نكتوت اقرب شيء الى كلمة نقتنود الدنقلاوية ومعناها العبد ، وغالبا ماكان يحنى ذلك لان المهدي من بلاد الدناقلة •

الشيخ الازيرق على المهدي هجاء بشعراء فيه :

الحمد لله شديد البطش	بديع الاحوال مجيد العرش
مكور الليل على النهار	بدون اعوان ولا " انصار "
.....	.....
ان تنزل البأس من العذاب	على عتاه فرقه الاعراب
ان غرهم شخص الجزيرة ابا	يكونه المهدي ابا الله ابا

ولما دخلت جيوش ابي قرجة الجزيرة لاستلام فداسي وحصار الخرطوم اوشك

الامير نصر ، اخو محمد عثمان ابي قرجة ، ان يقتل الشيخ الازيرق ، غير ان الشيخ

اظهر توبة وقبولا للمهدية ، وهاجر للمهدي يستعته بقصيدة جاء فيها :

فأول الظهور من بطن ابا	بالسيد المهدي حبا لله حبا
.....	.....
محمد الازيرق بن الظاهر	يرجو العفو من عالم السراير
موءلا بالصفح بالبتول	وبأي السيطيين والرسول
من كل ماجنيت من انكار	ولست شافلا به افكاري

ولكن الشيخ الازيرق لم يكن مقتنعا بالمهدية ، ولم يؤمن بها قط ، انما

صنع ذلك تقية<sup>١</sup> .



ومن أهم المتصوفة من أهل الطرق الذين لم يؤمنوا بالمهدية منذ أول عهدنا ولم يحملوا رايثتها الا اضطرارا الشيخ العبيد بدر ، وقد كانت سلبية رجل كالشيخ العبيد تعتبر في حكم المعارضة الايجابية ، ولذلك هدد المهدى حتى ارغمه على حمل السلاح .

ولد محمد بدر المشهور بالشيخ العبيد نحو سنة ١٨١٠ م ، وسلك الطريقة الجيلانية ( القادرية )<sup>١</sup> على يد الشيخ عبد المحمود بالعقينة ، وحج البيت نحو سنة ١٨٤٠ م ، ثم جاء فأسس مسجده بأم ضبان نحو سنة ١٨٤٧ م ، فلقى شهرة وصيتا عظيما<sup>٢</sup> . واصبح له اتباع كثيرون فحينما ارسل ابنه ابراهيم والظاهر لحصار الخرطوم مثلاً خرج معهما من انصار ابيهما ما يزيد على الثلاثين الفا من الرجال<sup>٣</sup> . ولعله لاجل هذه التبعية الكبيرة كان اهتمام المهدى به كبيرا ، فقد اتخذ الشيخ العبيد من المهدية في بداية امرها موقفا غامضا ان لم يؤيدها كما أنه

١ لبعض التفصيل عن القادرية انظر : ص ٤٠  
٢ روى المسترديد ان الشيخ العبيد التقى بالسيد محمد عثمان الميرغني فتنبأ له بأنه سيؤسس مسجدا للقرآن بالسودان ومعلم مكان ذلك المسجد سدره طيقة بالذباب ، فتحققت النبوة وسمى مكان المسجد بام ضبان .

انظر : Reid : Notes : p. 40

٣ شقير : ص ٧٧٤

لم يعارضها صراحة ، لكن قرائن الاحوال تدل على انه لم يكن راضيا عنها .  
عرف عن الشيخ العبيد انه كان اذا استشاره اتباعه عن حقيقة المهدي قال لهم : " كان مهدي جيد لينا وكان مامهدي شن لينا " <sup>١</sup> ، اي لو كان مهديا بها ونحمت والا فما يضيرنا . وكان الشيخ العبيد معروفا بهذا السجع ، يرسله سهلا بيت تعاليمه من خلاله ، على طريقة الشيخ فرح ود تكوك . قيل ان عبيد القادر باشا حلمي كان يكثر من زيارة الشيخ العبيد ، ويعتقد ببركته ، فبعد أن أنفق عبد القادر كثيرا من الجهد في القضاء على الحركات المؤيدة للمهدي بالجزيرة <sup>٢</sup> ذهب للشيخ يستشير في جدوى ذلك الجهد ، فقال له الشيخ " جيت تشاور راعي الغنم الخريّف ، اب رايّا ما بكّيف ، اخير ليك تريّف ، قبال عليك تصيّف " <sup>٣</sup> ومعنى ذلك انك جئت تشاور راعي الغنم الذي لا يعلم اكثر مما يعلم الخروف ، ولن يسرك رأيه ، فالاحسن لك ان تذهب الى الريف ، اي مصر ، قبل ان تسدور عليك الدائرة .

---

١ عن البروفسور مكى شبكة

٢ انظر : ص ٨٣ وما بعدها

٣ عن البروفسور مكى شبكة وكذلك الشيخ عثمان على شيخ خط سنار

وقد حاول صالح الملك أن يستفيد من مشائخ الطرق ، ليرفع الحصار عن جيشه في فداسي<sup>١</sup> ، فاستعان بالشيخ حمد النيل الحركي وأدخله معه القفرة ليأمن عادية العركيين ، وطلب من الشيخ العبيد أن يدخل معه ليأمن عادية المسلمين وبذلك وتحت ضغط اتباع هذين الشيخين يرضخ ود البصير لشروط الصلح بينهما ، لكن الشيخ العبيد فطمح إلى أكثر من ذلك سيضعف من خمس النجاة ، وللو مستبته "بشور يقاد للساقية وهو غير راضى ولما يصل إلى القييف (حافة النهر) قرب الساقية يقرر قرارا جازما ألا يذهب إلى الساقية فيحرق ويضرب ولكنه يصبر

٢ يعنى الاجحار

٤ جمع صيره وهى حيوان صغير متوحش قريب من القط فى هيئته

٥ هذا مثل يضرب لمن ليس له خبرة فيحاول عمل ما لا قدرة له عليه فيزيد الطين بلة

بأكر يجرى إقترجه وتقيف المهرجة " <sup>١</sup> والكلام الأخير موجه إلى صالح الملك .

لم يتحرك الشيخ العبيد بنفسه قط للجهاد مع المهدي . رغم أن المهدي كاتبه مكاتبات شتى بدأت باللين واللفظ وانتهت بالإنذار والوعيد ، ولما رأى ألا مفر من النهوض مع المهدي دعا أنصاره بقيادة ابنه إبراهيم إلى الجهاد كما أمر المهدي فخرج أتباع الشيخ وأبنائه لحصار الخرطوم <sup>٢</sup> .

كانت صيغة خطابات المهدي الأولى لينة ضرب فيها للشيخ المشل ببعض المشائخ الذين جاهدوا ومانوا واستراحوا من عناء هذه الدنيا ، وذكره بأنه من أعظم من يظن بالصدق لله ، وليس من الذين يعميهم عن الجهاد ما يجدون من مكانة ودينوية بين أتباعهم أو رجاء ما بأيدي الناس من هدايا ، وطلب إليه أن يأخذ أتباعه ويحمل راية الجهاد <sup>٣</sup> .

ولم يجب الشيخ العبيد المهدي بسطر واحد ، ويبدو أن محمد الطيب البصير كتب للمهدي بأن الشيخ العبيد رفض أن ينضم إليه فهده المهدي قائلاً

١ بابكر بدرى : ص ٢٩

٢ مهديه ٨ / ١ / ١ / ٦ (ب) : من المهدي لمحمد خالد زقل : ٤ جمادى آخر ١٣٠١ هـ / ٢ أبريل ١٨٨٤ م

٣ إنذارات : ص ١٢٩ - ١٣٢ : من المهدي للشيخ العبيد : ربيع أول ١٣٠١ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨٨٣ م - ٢٩ يناير ١٨٨٤ م

"..... ويحصل جوابي هذا اليك ، اجمع همك في الله ، وارسل لجميع اتباعك ، واحبابك واهلك وعشيرتك في الله ، وجاهر في معاداة الكفرة ، واقطع السكك ، وبارز بالعداوة ظاهرا وباطنا ، بالقتل والاسر والرباط والحصار ، ولا تتوقف ابدا لامر ما ان كنت ممثلا مصدقا بمهديتنا ، افعل ذلك ولا تبال ، حكم ما فعل محمد الطيب البصير ، وان خشيت فانضم اليه ..... فلا يكون رضائي عليك الا بفعل ما امرتك به من احد الامرين مع عود الافادة الينا عاجلا لنعلم ما انت عليه والسلام ولا نتجاوبنا بغير ما امرناك به ولا تبسط لنا الاعتذار ، وهذا قد انذرناك ومن بلغه الانذار لاحق له في الاعتذار والسلام" <sup>١</sup> .

وقد شملت انذارات المهدي هذه تلاميذ الشيخ العبيد ، حتى لا تكون لهم معذرة ان تأخر شيخهم عن الجهاد ، ففي نفس تاريخ الخطاب الاخير كتب المهدي " الى كافة احبابه ، خصوصا صادق دفع الله ، تلميذ العبيد بدر " ، امرهم المهدي في هذا الخطاب ان يحاصروا الخرطوم من القبة شمال شرق الخرطوم

---

١ انذارات : ص ١٣٧-١٣٩ : من المهدي للشيخ العبيد بدر : قبل جماد اول ١٣٠١ هـ / قبل ٢٨ فبراير ١٨٨٤ م

بحرى حينما يعلمون بحلول المهدي على النيل الابيض ، وطلب المهدي من صادق

دفع الله ان يتعاون مع الشيخ العبيد واتباعه <sup>١</sup> .

ولما اشتد ضغط المهدي على الشيخ العبيد واتباعه ، اخذوا يزنون

الكفتين فتبين لهم افلاس الحكومة ، خاصة بعد ان جاء غردون بغير قوة تحميته ،

ويقصد اخلاء السودان - اي تركه للمهدي - فأروا أن يتخلصوا من ذلك الموقف

الذي اغضب المهدي عليهم <sup>٢</sup> . فقد ابناء الشيخ العبيد الجهاد يعينهم الشيخ

المضوي عبد الرحمن . وقد لعبت قوات الشيخ العبيد في حصار الخرطوم دورا

هاما ان وضعت غردون في موضع سيء للغاية <sup>٣</sup> اي انها اغلقت دونه طريق

الشمال .

واشهر الوقائع التي نازلت فيها قوات الشيخ العبيد جيش الحكومة خمسة

هي : واقعة الحلفاية الاولى ، فواقعة الشرق ، فواقعة الحلفاية الثانية ، فواقعة

العيلفون ، واخيرا واقعة ام ضبان .

١ اذاعات : ص ٣١ ١٣٩ : من المهدي للشيخ العبيد بدر : قبل جماد اول ١٣٠١ هـ /

قبل ٢٨ فبراير ١٨٨٤ م

Holt : Mahdist State : p. 88

Ibid : p.p. 90-92

ظل غردون يتحسس اخبار انصار العبيد بدر فحلم من جواسيسه انهم  
 تحركوا بجيش يزيد على الثلاثين الفا ، فقرر غردون حماية الحلفاية ، فارسل لها  
 خمسمائة من الشايقية ، الباشبوزق ، ولكن جيوش الشيخ العبيد ، وفي مقدمتها  
 الامراء ابراهيم والعباس العبيد والمضوى عبد الرحمن ، هزمت الشايقية ، واحتلت  
 الحلفاية في ١٣ مارس ١٨٨٤م . وكان غردون يشاهد الحرب بمنظاره من اعلى  
 السراى ، فلما تبين هزيمة جنوده ارسل لهم نجدة في باخرتين مشحونتين بالعساكر،  
 بقيادة ابراهيم فوزى فاشتبك فوزى مع الانصار ، ولكنه وجدهم قد اقاموا الطوابى  
 والمقاريس فمرو ووصلهم ، فاصر على الحرب حتى جاء الليل فعاد بجنوده الى الخرطوم  
 في نفس اليوم<sup>١</sup> .

وفي ١٦ مارس ١٨٨٤م ارسل غردون السعيد باشا وحسين باشا الشالى  
 على قيادة ثلاثة آلاف من الباشبوزق والى من الجهادية ، وامدهم بمدفع جبلى -  
 ارسلهم ليمحذوا الانصار عن الحلفاية ، ولكن الانصار التقوا بالجيش في منتصف الطريق ،  
 ودارت رحى الحرب في واقعة الشرق ، التي ظل الانصار يحصدون فيها جند

الحكومة والقائدان لا يأمران الجنود بالضرب ، حتى انهزم الجيش وفقد نحو  
اربعمائة من جنوده بينما فقد الانصار عشرين فقط . وقد فصل المهدي اخبار  
هاتين الواقعتين في خطاب منه لمحمد خالد زقل<sup>١</sup> .

وبعد واقعة الشرق اعاد ابناء الشيخ العبيد تنظيم الجيش ليحيط بالخرطوم  
من ناحيتي الشمال والجنوب ، فاقام ابراهيم العبيد في قبة خوجلي بالخرطوم بحري ،  
لكي يحاصر الخرطوم من الناحية الشمالية ، واجتاز اخوه العباس النيل ليحاصر  
الخرطوم من ناحية الجنوب في الجريف غرب<sup>٢</sup> .

ولما ضاق الخناق على غردون قام بمحاولة ثالثة ، في اواسط اغسطس  
١٨٨٤م ، فارسل فرقتين ، احدهما نيلية بالبواخر ، مكونة من ثلاث بواخر  
يقودها خشم الموس بك الشايقي ، والاخرى برية بقيادة فرج الله بك . ودارت  
رحى الحرب في واقعة الحلفاية الثانية ، من الصباح حتى الظهر ، واخيرا انتهت  
بجرح ابراهيم العبيد وتشتيت انصاره الذين فروا الى ام ضبا<sup>٣</sup> .

١ شقير : ص ٢٢٥

ايضا : مهديه ٦/١/٨ (ب) : من المهدي لزقل : ٤ جماد الاخر ١٣٠١هـ /

٢ ابريل ١٨٨٤م

٣ شقير : ص ٢٢٠

٣ نفسه : ص ٨١٢



ولكن الانصار سرعان ما تجمعوا في العيلفون ، وقبل ان يستردوا أنفاسهم  
 لاحقهم غردون وطاردتهم حتى ام ضبان ، وهناك قرروا ان ينتقموا هذه الهزائم  
 من غردون ، فارسلوا احد جواسيسهم الى قائد من قواد غردون الممتازين يحرف  
 بمحمد على ، فاوهم الجاسوس محمد على انه فار من الشيخ العبيد ، وانه سيعين  
 الحكومة على القضاء على انصاره فقاد محمد على داخل غابة كثيفة قرب ام ضبان  
 وقد جازت الحيلة عليه ، وهجم عليه الانصار وقضوا على ٨٠٠ من جنوده كان هو  
 في مقدمتهم وقد اغتم غردون لفقده وحزن حزنا شديدا . هذه الواقعة تعرف  
 بواقعة ام ضبان وكانت في سبتمبر ١٨٨٤ م .

هذا تصوير مبسط للجهد العظيم الذي قام به انصار الشيخ العبيد واتباعه  
 من اعمال جلييلة لصالح المهدي فقد اجهدوا غردون واقتلوا كثيرا من جنوده وقادته  
 الذين كان يعقد عليهم ، وفوق ذلك اشاع الهلع والذعر بين سكان الخرطوم  
 وحمايتها من الجنود حتى جاء المهدي . ولعل هذه الصورة على بساطتها توضح لنا  
 لماذا كان المهدي يصر على تأييد الفقهاء ورجال الطرق ويسعى لكسب جانبهم .

فقد استفاد فائدة كبرى مثلاً من الشيخ العبيد وانصاره واتباعه ، ومن اجل ذلك عمل على ان يكسب تأييد الشيخ الباطني ايضاً ليؤمّن من ظهوره للمستقبل ، فهو لم يكن مطمئناً الى الشيخ لما كان بدر منه من التلكؤ والابطاء في التأييد ، وما بلسخ المهدي من عدم تأييد الشيخ العبيد باطنياً فاستدعاه اليه في ام درمان في ابان وصوله لحصارها<sup>١</sup> ، ولكنهما لم يلتقيا ان مات الشيخ وهو في طريقه الى المهدي في في اكتوبر ١٨٨٤ م .

وبعد موت الشيخ العبيد حاول المهدي ان يكسب ابناءه ، ويجمع شتات اتباعه ، فكتب الى ابناء الشيخ يعزيهم ويخلف طيهم اخاهم احمد ، وخبرهم انه يحظى بمكانة طيبة عند المهدي<sup>٢</sup> . ولقد اكرم المهدي ابناء الشيخ العبيد بعد

---

١ في ٢٣ اكتوبر ١٨٨٢ م شيد المهدي رئاسة الحصار في ابي سعد جنوب غرب ام درمان .

انظر : Holt : Mahdist State : p. 93

لقد خبرنا الشيخ حسين العمدة بسوا شرق ، وكان ابوه تلميذاً للشيخ العبيد ، بأن الشيخ العبيد لم يكن يريد ان يلتقى بالمهدي ولم يكن مؤمناً بمهديته فسي باطن امره ولما استدعاه المهدي قال : " يا لقيوم مانعل الخرطوم " اي انه سأل الله ألا يلتقى المهدي ، وبالفعل مات الشيخ في الجريف شرق وهو في طريقه الى ام درمان ، ومكان موته يقدسه اتباع الشيخ حتى اليوم ويعرف بمكان روح الشيخ .  
٢-١١٧ ف ٢ : من المهدي لاولاد الشيخ العبيد : بعد ٩ ربيع ثان ١٣٠٢ هـ / بعد ٢٧ يناير ١٨٨٥ م

وفاة أبيهم ليشعرهم بأن مكانتهم محفوظة عنده ، فكتب الى احمد سليمان امين بيت المال ، ان يصرف لاولاد الشيخ العبيد ما يراه مناسبا لارضائهم وكسب قلوبهم<sup>١</sup> .  
 ان المهدي قد سلك وسائل مختلفة لكسب قلوب المشايخ وتأيدهم واعطاهم من الاهتمام قدرا كبيرا ، لانه كان يعلم ان المریدین رهن ارادة الشيخ ، وان التربية الصوفية تلزم المرید بالسمع والطاعة الى غير حدود<sup>٢</sup> .

---

١ ٢٠٧ ف ٢ : من المهدي الى احمد سليمان : بعد ٩ ربيع ثان ١٣٠٢ هـ / بعد ٢٧ يناير ١٨٨٥ م  
 ٢ ١٦١ ف ٢ : محمد المهدي الى عبد الله محمد جبارة : ٢٨ صفر ١٣٠٢ هـ — / ١٧ ديسمبر ١٨٨٤ م  
 أيضا : لتوضيح اثر مشايخ الطرق على المریدین انظر : ص ٨ و ما بعدها .

### تطبيق المهدي للنظم الاسلامية في الجزيرة

ان الدعوات الفكرية حينما تصل الى السلطة تكون قد وضعت نفسها في الميزان للناس ، فانها عادة تشق طريقها بين الناس بقيم معينة تدعو اليها ويستجيب المؤمنون لتلك القيم حتى تنتصر ، فاذا حمت السلطة تلك القيم امنت شر المؤمنين بها وضمت سندهم لها والا ساخت ارجلها الى باطن الارض وانهار كيانها .

هذا واننا نعتقد ان المهدي قد وضعت نفسها في هذا الميزان بعد ان دان لها السودان . لقد لقي المهدي كثيرا من سند العامة والخاصة لانه اطمح الناس في عود الى نظام اسلامي يملأ الارض عدلا الهيا بعد ان ملئت جورا<sup>١</sup> . ان الذي كان يحدث في الجزيرة في هذا الصدد شبيه بالذي كان يحدث في السودان عامة .

ان النسق الذي اختطه المهدي لنظام الحكم ( الامامة والامارة السخ )

---

١ لتفسير معنى كلمة " مهدي " ووظائف المهدي انظر : ص ٤٦

حاول ان يجعله مطابقا لنظام الرسول وخلفائه<sup>١</sup> حتى في اسماء بعض الوظائف وتقسيم مرافق الدولة وتسميتها<sup>٢</sup> . ولكن نظام المهدي والخليفة من بعده في الادارة لم يرق الى مستوى الدولة الاسلامية ، لافي صدرها ولا في عجزها ، ان كان في عهد المهدي تمهيدا لتركيز دعائم الدولة لم تكتمل فيه الادارة ، فضلا عن ان الحرب بينه وبين اعدائه لم تنته حتى مات المهدي ، وفي الجزيرة بالذات لم تسقط سننار عاصمة المديرية الا بعد وفاة المهدي ، وهناك اقاليم الاطراف والحدود كبنى شنقول وعمالات الشلك والدينكار لم تخضع تماما لنظامه وتعاليمه .

اما في عهد الخليفة فقد ذكرنا من قبل ان النظام الاداري في إقليم الجزيرة جملة روعي فيه تيسير الخدمات المالية اكثر من اى شىء آخر رغم أن العامل كانت تسند اليه بعض المهام الاخرى<sup>٣</sup> .

١ لتفصيل نظام الحكم في الدولة الاسلامية انظر :  
الاحكام السلطانية : تأليف القاضي ابي يعلى محمد بن الحسين : مطبعة  
 مصطفى الحلبي : ١٣٥٢ هـ  
 (فيما يلي نشير اليه : الاحكام السلطانية)

٢ انظر Holt : Mahdist State : p.p. 225-47

٣ انظر : ص ١١٦-١٢٩

كان النظام القضائي من الناحية النظرية يقوم على ثلاثة اسس : الكتاب ( القرآن ) والسنة النبوية ، وماحكم به المهدي . تلك الاسس وضعها الامام المهدي واحتفظ بها الخليفة ايضا . فقد رأينا المهدي حين كتب الى محمد الطيب البصير ان يحكم بين عبد الجبار ود نور الدائم والقرشي الطيب البصير امره ان يحكم في القضية بما قضى الله <sup>١</sup> ، ورأيناه اصدر فتوى بفسخ نكاح كان قد قضى فيه محمد الطيب البصير على اساس ان الزوج الاول لم يكن في المهدية ، اي كان تابعا للترك <sup>٢</sup> . هذا الاساس ، اعني معاملة من لم يكن مؤمنا بالمهدية معاملة الكافر ، قد أفتى به المهدي نفسه وعمل به قضاته ليس في الجزيرة وحدها وانما في عموم الدولة المهدوية ، ونحن فتواه في ذلك " . . . . . فالرجل الذي فسى بلدة الترك وله زوجة في بلدة المهدية ورغبت الطلاق فمن حيث ان الرجل مع الكفرة والمرء على دين خليله كما ورد ، ومن كثر سواد قوم فهو منهم كما ورد فلا يحتاج الى رغبتها في الطلاق ولا الى التخليق ، فهي مفسوخة بدليل قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن الله اعلم بايمانهن فلا نعلموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لانهن حل لهن ولا هم يحلون لهن " ،

---

١ انظر : ص ٢٠٦

٢ نفسه

وقد حكم محمد الطيب البصير على الزوج الاول بهذه الفتوى ، والخي المهدي

حكمه بحجة أن الجزيرة لم تكن حينئذ دانت للمهدية .

هذا الاساس الاخير مخالف لاسس القضاء المعروفة في الاسلام وهي

الكتاب والسنة <sup>١</sup> . وهو مبني بدوره على رأى المهدي بأن من لم يؤمن بالمهدية

فهو كافر <sup>٢</sup> . ولذلك اعتبر دار الترك دار حرب أي دار كفار تجب محاربتهم

ولا يعتبرون في دار الاسلام حتى يؤمنوا بالمهدية .

هذا وإن الحكم على اساس المهدية وما جاء تبعه في القضاء ونحوه أصبح

سارى المفعول منذ هزيمة هكس في الخامس من نوفمبر ١٨٨٣ م . وقد بين المهدي

أنه ليس لاحد من اهل الجزيرة الحق في استئناف حكم صدر قبل ذلك التاريخ

لانه حكم صدر قبل ان تصبح الجزيرة في المهدية <sup>٣</sup> .

ان فقد <sup>أدخل</sup> الخيل المهدي اساسا واحدا جديدا على القضاء وهو ما قضى واقضى

به المهدي ، مضافا الى القرآن والسنة <sup>٤</sup> .

١ لمزيد من التفصيل عن اسس القضاء في الدولة الاسلامية انظر :

الاحكام السلطانية : ص ٤٤-٤٨

٢ شقير : ص ٦٤٨

٣ ابوسليم : مخطوط : ص ٢٦١

٤ لمزيد التفصيل عن اجتهاد المهدي ومكانته بين التشريع انظر : ص ٦٣

وكان الخليفة من الناحية النظرية يعتقد أنه سائر على خطى المهدي  
محافظة عليها ، وبالفعل كان يحرم ما حرم المهدي - مثل " التنيك " الذي  
انفرد بتحريمه - ويحل ما حل ، وقد طلب من بعض المناديب ألا يتجاسروا  
على القضاء والفصل في أشياء ليست من اختصاصهم ، فيقتضون برأيهم ، بل لابد  
من ردها إلى الخليفة ، أو النظر فيها حسب منهاج المهدي <sup>١</sup> .

على أن النظام القضائي في دولة المهدية كلها - وليس في الجزيرة وحدها -  
لم يكن لديه من الاستقلال ما يمكنه من إقامة العدالة خلافا لما كان عليه الحال  
في الدولة الإسلامية <sup>٢</sup> .

وكان النظام المالي في الجزيرة يقوم على امرين : الأرض وما يخرج منها ،  
ثم الانعام وزكواتها . أما الأرض فكانت قسمين ، قسم يعرف بالاطيان ، أو اطيان  
الفى والغنيم <sup>٣</sup> ولها عمالة خاصة ، كان دخلها ومطلق التصرف فيها لبيت

- ١ مهديه ٢٣ / ٢ / ٨ / ٢٣٩ : من الخليفة إلى كافة المواطنين بعموم الجزيرة وخصوصا  
العملاء منهم : ٦ ربيع اول ١٣٠٣ هـ / ١٥ يناير ١٨٨٦ م
- ٢ لتوضيح حال القضاء في دولة المهدية انظر : ص ١٦٠  
ولتوضيحه في الدولة الإسلامية انظر : حسن ابراهيم حسن واخوه : ٢٢٥-٢٩٥
- ٣ والفى هو كل مال وصل من المشركين المسلمين غنوا من غير قتال ولا با يجاف خيل  
ولا ركاب اى ولا بالاسراع بالركائب للاستيلاء عليه . والغنيم اصطلاحا هي كل  
ما اصابه المسلمون من عساكر الكفار عن طريق الحرب .  
انظر : حسن ابراهيم واخوه : ص ٢٣٥ ، ٢٣٦



المال يزرعها بالكرج او يكرى ارضها<sup>١</sup> .

والقسم الثانى هو الارض المملوكة من قبل المهدية ، وقد قضى المهدى فى هذه الارض برأيين : فى بادئ الامر الخى الملكية الغاء تاما ، بأن جعل جميع الارض ملكا لبيت المال ، لا تورث ، ولا ينتفع صاحبها منها بكراء ونحوه ، ولا يمنح احد احدا منها بحجة انها ارض آبائه ، غير أنه جعل لصاحب الارض حق زراعتها ، على ان يدفع الزكاة الشرعية ذات المقادير<sup>٢</sup> .

ثم عاد المهدى فأباح فى المناطق النيلية - وتشمل الجزيرة - أباح ملكية الارض وما ينبع الملكية من منافع مراعاة للظروف والتقاليد التى درجت عليها تلك المناطق ، ولا نحسب أن فى هذه السياسة خلافا مع القاعدة الاسلاميـة الزكاة فى الزروع وثمار الارض التى يملكها المسلم<sup>٣</sup> ، وذلك يعنى انها اعترفت له

١ مهديه ٣/٢/٨/٢٢ : من الخليفة للعباس العبيد بدر : ٧ محرم ١٣٠٣هـ / ١٦ اكتوبر ١٨٨٥م

٢ ابوسليم : مخطوط : ص ٢٦٨-٢٦٩

٣ الارض غير التى يملكها المسلمون فى الاسلام مقسمة الى ثلاثة انواع :  
أ - ارض الخنيفة اى الارض المفتوحة عنوة واجبر اهلها على التسليم وهى اما ان تقسم للمحاربين فيدفعون عليها العشور ، او تترك لاهلها ويدفعون الخراج ، وليس من حق الاخيرين التصرف بالبيع ونحوه .

ب - ارض الفئ : وهى الارض التى دخلها المسلمون يصلح مع اهلها ، يحكمها اهلها ويدفعون عنها الخراج .

ج - الموات : وهى الارض التى لم تملك ولم تعمر

انظر : ابوسليم : مخطوط : ص ٢٦٦-٢٦٧

بحق تملكها شأنها شأن المال والانععام وكل ماتجب فيه الزكاة<sup>١</sup> . وقد فرض المهدى الزكاة ذات الانصبه الشرعية ايضا على ما يخرج من الارض<sup>٢</sup> .

لما الخليفة فقد دخل في تناقضات غريبة ان كان رأيه يخالف سلوكه في امر المال في الجزيرة حتى ادى ذلك الى ارتباك في السياسة المالية جردالى مفاسد كبيرة عجز عن حلها العمال والخليفة نفسه . فقد كان الخليفة - من الناحية النظرية - يدعى انه انما يجمع حق الله من الناس بمقتضى النصوص الشرعية . وكان بين الحين والحين يبعثر بالانذار والتحذير الى عماله ومناذيه بألا يأخذوا شيئا زائدا على الانصبه الشرعية<sup>٣</sup> ، والدعوة الى التزام الشريعة في المال لاتخالف رأى المهدى وترى بعض خطابات عماله كذلك انهم يعلمون ان النظام المالى سائر بمقتضى رأى الشريعة الاسلامية<sup>٤</sup> .

١ عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة : طبعة ثانية : القاهرة (بيروت) ٥٩٦ ج ١ : ص ٥٩٦

٢ ابوسليم : السنن مخطوط : ص ٢٧٤

ولتوضيح وضع الارض في عهد الفتح وماقبله انظر : ص

٣ مهديه ٦٠ / ٨ / ٢ / ٣ : من المخلصة الى عمال الزكوات والغنائم بالجهات عموما :

٨ ربيع اخر ١٣٠٣ هـ / ١٤ يناير ١٨٨٦ م

٤ مهديه ٣ / ١ / ٩ / ١ : من احمد السنن للمخلصة : ٢٢ ربيع اخر ١٣٠٨ هـ / ٥ ديسمبر ١٨٩٠ م

لأنفسهم مبالغ من المال ، فقد فرض عبد الله ود ابراهيم والزكي طمل على اهالي  
 جبل قولي وجبل هوروجبل ويركت وجبل الجريبين في جنوب الجزيرة بعمالة  
 عدلان محمد سرور ، مبلغ ٢٣٩ ر٥ ريالاً اقتسماء ذلك بعد ان الزما مقادير هذه  
 الجبال بالكتابة بان ذلك المبلغ هدية من الاهالي فرحة بنصرة المهدية على  
 ابي روف<sup>١</sup> .

هذا وان الزكاة في بعض المناطق لم تكن تؤخذ على النظام الاسلامي ،  
 وانما كان العامل يفرض مبلغاً من المال على رئيس القبيلة يومه كل عام ، كما  
 حدث مع الشكرية الداخلين في حدود احمد السني في الشرق<sup>٢</sup> وكانت بعض القبائل  
 تدفع ماترى ولا تسمع للعامل ان يحصى مواشيها مثلاً لتقرير ما يخصها من الزكوات .  
 ولم يجزوا الخليفة على حمل الناس على سوى ذلك<sup>٣</sup> . واين ذلك من رأى ابي بكر  
 في منع الزكاة ، حيث ادى الى حروب الردة ، واعتبر منع الزكاة ردة عمن  
 الاسلام .

١ مهديه ٢/١٥/٦/٣٢٥ : من مقادير جبل قولي وجبل دورو وجبل ويركت وجبل  
 الجريبين للخليفة : ٢٦ جماد ثان ١٣٠٥ هـ / ١١ مارس ١٨٨٨ م

٢ انظر : ص ١٩٦

٣ انظر : ص ١٩٣-١٩٤

ولقد كان النظام الاجتماعي في الجزيرة لعجب في المهدية . ان المرء قد يتصور ان المهدية قد غيرت هذا المجتمع واخضعته الى قاعدتها الاساسية وهي ملء الارض عدلا بعد ان ملئت جورا وظلما <sup>١</sup> - هذه القاعدة تحمل فكرة المجتمع المتأخى البعيد عن النحرات العنصرية والقبلية والطبقية <sup>٢</sup> ، ولكنا نلاحظ ان مجتمع الجزيرة في المهدية يمكن ان يوصف بكل هذه الصفات . فقد ظل الوضع القبلي كما كان ، ان لم يكن قد تفاقم في المهدية <sup>٣</sup> ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كان مجتمع الجزيرة ينقسم الى رقيق وحرار ايضا - وليس على قاعدة الرق الاسلامي وانما على القاعدة التي كان يستباح بها الاسترقاق في العهد التركي اي قاعدة اللون ، فالاسود رقيق وغيره سيد <sup>٤</sup> . وقد رأينا في حديثنا عن عمالات

- 
- ١ لمزيد المعلومات عن معنى المهدية انظر : ص ٤٦
  - ٢ تظهر صفات المجتمع المهدوي المنشود في كثير من منشوراته وكما يمكن ان ننظر المنشور الآتي :
  - ابوسليم / دكتور محمد ابراهيم احمد (تحقيق) : منشورات المهدية : الخرطوم ١٩٦٩ : ص ٣٦
  - ٣ انظر : ص ١٨٤-١٩٧
  - ٤ الرق في الاسلام لا يحدث الا للاسرى من غير المسلمين .  
ولتوضيح هذه القاعدة انظر : %  
حسن ابراهيم حسن واخوه : ص ٣٠٢-٣١٦  
ايضا : لمزيد التفصيل عن الاسترقاق في التركية : انظر : ص ٣٤

الجزيرة انه كانت تأتي للخليفة هدايا في شكل رقيق من عمالتي الشك والدنكا<sup>١</sup> ، كما رأينا ايضا في حديثنا عن ادارة عدلان محمد سرور ان التجار كانوا يجلبون الرقيق من جنوب الجزيرة وكان هو لاء المستضعفون يباعون ويشترون ويحرمون من جميع الحقوق التي يتمتع بها الاحرار ، كما رأينا ان تجارة الرقيق ازدهرت ونشطت في الداخل في عهد الخليفة<sup>٢</sup> .

اذن مما سبق يتضح لنا ان المهدية احتفظت بنظرية المجتمع المتأخى التي كان يتميز بها المجتمع الاسلامى ، لاسيما قبل عهد بنى امية وفشلت كل الفشل فى تطبيقها ، ووضح شىء فى تفاصيل هذه النظرية مسألة الرق الذى احتفظت المهدية او تبنت فكرته من الدولة الاسلامية ولكنها طبقت تلك الفكرة بتفسير يخالف نظرية الرق فى الاسلام .

اما نظام التعليم فاننا قد ذكرنا من قبل ان الجزيرة اصبحت فى عهد الفنج مهذا للعلم ، ودخلتها النظم التعليمية التي كانت تسود العالم الاسلامى حينئذ<sup>٣</sup> . ووضحنا انه حتى الطرق الصوفية فى الجزيرة اصبحت تسير وفق الانماط

- 
- ١ انظر : ص ١٢٦  
 ٢ انظر : ص ١٤٢  
 ٣ انظر : ص ٣٧-٤١

الصرفية في العالم الاسلامي<sup>١</sup> ، ولكن المهديّة قضت على كل ذلك ، على التعليم المحلي والوفاء وتقلت المنافذ التي كان يدخل منها العلماء بقطعها الصلّة بالعالم الاسلامي ، ولم يسمح الخليفة الا بعدد قليل جدا من الخلوي تمارس نشاطها شريطة ان تحفظ التلاميذ القرآن وراتب المهدي ، ثم يذهب بعضهم ليتعلم الكتابة الرسمية من الكتاب المستوظفين ممن بقى من العهد التركي<sup>٢</sup> .

فعلى العموم مما تقدم نستطيع أن نقول : ان المهديّة قد شالت حديدية ميزانها في الجزيرة ان وعدت الناس وعودا لم تف بها ، وعدتهم بقيم لم تحيها بينهم حينما استولت على السلطة ، وقد ضحى الناس ورووا تلك المثل بدمائهم وظلوا ينتظرون ثمارها لكنها لم تثمر ثمرا طيبا كما وضح . فآخذ هذا التراخي يأكل جسم الدولة كما تأكل الأرض لباب الحطب .

---

١ انظر : ص ٣٩

٢ Slatin : p. 549

## مراجع البحث

### ١- المراجع العربية

أ- مخطوطات ووثائق لم تنشر :

وتشمل وثائق المهدية المحفوظة بدار الوثائق المركزية بالخرطوم وهذه الوثائق مرتبة على أقسام يشار إليها بأرقام مثلا ١ / ٩ / ١٠ / ١١ معناه القسم الاول / الصندوق التاسع / الملف الاول / الوثيقة الخامسة . هنا سنكتفى بالإشارة للثلاثة أرقام الاولى والموضوع الافى المتنوعات ودفاتر الصادر والافلام المصورة لانه ليس لها مواضع محددة ، وفي دفاتر الصادر وضحا التواريخ التي تقع فيها الرسائل بداخل كل دفتر ، القسم الاول ( مهدية ) : رسائل متبادلة بين كبار الامراء والخليفة

١ / ٩ / ١٠ - ١ : من احمد السنى للخليفة

١ / ٩ / ١١ - ١٢ : من عدلان محمد سرور للخليفة

١ / ١٣ / ٣ : ملاحق

١ / ٤٢ / ٣ : خطابات الخليفة بعد سقوط ام درمان

١ / ٤٢ / ٨ : الضرائب في عهد الخليفة

١ / ٤٢ / ١٠ : خطابات متنوعة

١ / ٤٣ / ٨ : موظفو المهدية عند الفتح الانجليزى المصرى

القسم الثاني ( مهديّة ) : وهو خطابات متنوعة

متنوعات	٢ / ٢
"	٣ / ٢
"	٧ / ٢
"	٩ / ٢
"	١٣ / ٢
"	١٤ / ٢
"	١٥ / ٢
"	١٦ / ٢
"	٢٣ / ٢
"	٢٧ / ٢
"	٣٢ / ٢
"	٤٣ / ٢
"	٦٢ / ٢

القسم الثالث ( مهديّة ) : ويشمل دفاتر الصادر التي تتكون من ثمانية عشر دفترا -

بها رسائل صادرة من المهدي والخليفة الى اناس مختلفين :



- ١/٣ : ربيع اول ١٣٠٢هـ / ديسمبر ١٨٨٤م - شعبان ١٣٠٢هـ / مارس ١٨٨٥م
- ٢/٣ : ١٣٠٢هـ / ٢١ أكتوبر ١٨٨٤م - ١٣٠٣هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٨٥م - ٢٩ سبتمبر ١٨٨٦م
- ٣/٣ : رمضان ١٣٠٢هـ / مايو ١٨٨٥م - ٦ رجب ١٣٠٢هـ / ٢٦ فبراير ١٨٩٠م
- ٥/٣ : ١١ شعبان ١٣٠٢هـ / ٢٧ مايو ١٨٨٥م - ٦ رجب ١٣٠٢هـ / ٢٦ فبراير ١٨٩٠م
- ٧/٣ : ١٣٠٢هـ / ٢١ أكتوبر ١٨٨٤م - ١٣٠٥هـ / ١٩ سبتمبر ١٨٨٧م - ٦ سبتمبر ١٨٨٨م
- ٨/٣ : محرم ١٣٠٣هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٨٥م - ١٣٠٤هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨٨٦م - ١٨ سبتمبر ١٨٨٧م
- القسم الثامن (مهدية) : يحوي وثائق المهدي ، اى الرسائل المرسله من المهدي واليه :

١/٨

الوثائق المصورة : وهى مجموعة من الافلام بدارالوثائق تبدأ بالرقم ١ وتتسلسل ومعها مجموعة درم :

ف ١ ، ف ٢ ، ف ٣ ، ف ٤ ، درم ١/١٠٠

اوراق المخابرات : ومعظم وثائق هذا القسم باللغة العربية الا ان ترتيبها فى اللغات وفى قائمتها بالانجليزية ، اما التقارير التى كتبها الاجانب فبالانجليزية . والمخابرات قسمان بدارالوثائق المركزية بالخرطوم :

1- Cairo Intelligence Department (Cairint)

2- Sudan Intelligence (Intel)

<u>Report</u>	<u>Date</u>	<u>Subject</u>
Cairint 1/3/11	1882	Telegrams & Documents re affairs of old Sudan
1/10/53	1886-88	Reports on fall of Sinnar 1885
" 1/31/170	1890-91	Wingate Draft Reports on Sudan
Intel 1/43/360	No date	Report on the Fall of Sinnar 188
" 1/43/362	"	History of Fellata Fikis
" 9/2/25	"	Umana of Beit el Mal

بحوث لم تنشر : ترد بين هذه البحوث رسالة الدكتور صالح محمد نور ورغم ان التحقيق

بالانجليزية الا أننا نظرنا المخطوطة العربية المرفقة مع الرسالة .

١- ابو سليم / محمد ابراهيم احمد : مجموعة النجوم - مخطوط (رسالة للدكتوراه)

جامعة الخرطوم كلية الآداب ١٩٦٦

٢- قريب الله / حسن محمد الفاتح : التصوف في السودان الى نهاية عهد الفونج

(رسالة للماجستير) : جامعة الخرطوم ، كلية

الآداب ١٩٦٥

Salih Mohed Nur : A Critical Edition of The Memoirs of Yusuf Mikhail (a Ph.D.Th.): University of London, August 1962 —٢

١- أبو سليم / دكتور محمد ابراهيم احمد (تحقيق) : الفنچ والارض ، وثائق تملك : الخرطوم

١٩٦٧م

٢- أبو سليم / دكتور محمد ابراهيم احمد : المرشد الى وثائق المهدي : طبعة دار

الوثائق المركزية : الخرطوم ١٩٦٩

٣- بابكر بدري : تاريخ حياتي : الخرطوم ١٩٦١ : ج ١ ١٢٧٩-١٣١٦هـ

٤- حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية : القاهرة ١٩٦٢م

٥- الاحكام السلطانية : تأليف القاضي ابي يعلى محمد ابن الحسين : مطبعة مصطفى

الخلبي ١٣٥٢هـ

٦- شبكة / بروفيسور مكي : السودان عبر القرون : بيروت ١٩٦٥م

٧- شبكة / بروفيسور مكي (تحقيق) : تاريخ ملوك السودان : الخرطوم ١٩٤٧

٨- الشاطر البصيلي عبد الجليل (تحقيق) : مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة

السنارية : القاهرة ١٩٦١م

٩- ود ضيف الله / محمد ضيف الله بن محمد الجعلى : كتاب الطبقات : الطبعة الاولى ،

القاهرة ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م

١٠- عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الاربعة : الطبعة الثانية (غير مؤرخ)

١١- محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، سكانه وقبائله : الطبعة الثانية ،

القاهرة ١٩٥٦م

١٢- المقريري / احمد بن علي (تقي الدين) : كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط

والاثار : ج ٤ (تحقيق :

M. Gaston Weit : Le Caire,  
Institute Fram ars D'Arche-  
ologie, Orientale 1911-24)

١٣- منشورات الامام المهدي : تصوير وطبع ادارة المحفوظات المركزية ، وزارة الداخلية ،

الخرطوم ١٩٦٤م : ج ١ ، ٢ ، ٣ (منشورات ،

انذارات ، احكام بالتقالي )

١٤- نعم شقير : جغرافية السودان وتاريخه : بيروت ١٩٦٧م

٢- المراجع الانجليزية

A - Manuscripts :

- 1- Harrison, M.N. : Report On A Grazing Survey of The Sudan  
(typed copy University of Khartoum  
Library)

B - Published :

- 1- Barbour, K.M. : The Republic of the Sudan, A Regional  
Geography : London 1961.
- 2- Bruce, James : Travels to Discover the Source of the  
Nile, 1790-91:Vol. II. 1968-73 : Dublin, 1790-91:Vol. II.

- 3- Crawford, O.G.S. : The Fung Kingdom of Sinnar : Oxford 1951.
- 4- Gleichen, Count (ed) : The Anglo-Egyptian Sudan, A Compendium Prepared By Officers of Sudan Government : London 1905
- 5- Holt, P.M. : The Mahdist State In The Sudan : Oxford 1963.
- 6- Holt, P.M. : A Modern History of the Sudan : London 1961.
- 7- Macmichael, H.A. : A History of the Arabs In The Sudan : London 1967 : Vol I.
- 8- Reid, J.A. : Notes On The Tribes And Prominant Families In The Blue Nile Province : London 1935.
- 9- Slatin, Rudolf, C. : Fire And Sword In The Sudan (English translation by F.R. Wingate) : London 1896.
- 10- Theobald, B.A. : The Mahdia : London 1965.
- 11- Yusuf Fadl Hasan : The Arabs & The Sudan : Edinburgh 1967.

c - Periodicals :

- 1- Arkell, A.J. : "A Note On Early History Of Cotton," S.N.R. VI, 1923 : p.p. 231 f.f.

- 2- Arkell, A.J. : "Fung Origins", : S.N.R. XV, 1932 :  
p.p. 201 f.f.
- 3- Arkell, A.J. : "More About Fung Origins", : S.N.R. XVII,  
1948 : p.p. 87 f.f.
- 4- Chataway, J.D.P. : "Notes On The History Of The Fung,"  
S.N.R. XIII, 1930 : p.p. 247 f.f.
- 5- Holt, P.M. : Holy Families And Islam In The Sudan :  
Princeton Near East Papers, No 4 :  
Princeton University, 1967.
- 6- Jackson, H.C. : "Seed-Time And Har<sup>v</sup>vest," : S.N.R. II,  
1919 : p.p. 2 f.f.
- 7- Jackson, H.C. : "Two Gezera<sup>i</sup> Families," : S.N.R. III,  
1920 : p.p. 94 f.f.
- 8- Reid, J.A. : "Some Notes On The Tribes Of The White  
Nile Province", : <sup>S.N.R. XIII, 1930 :</sup> p.p. 149 f.f.
- 9- Willis, C.A. : "Religions Confraternities In The Sudan", :  
S.N.R. IV, 1921 : p.p. 175 f.f.

### ٣- روايات بعض المشايخ

- ١- الشيخ / المنوسى غية : يقيم حاليا بسنار وقد عمل جنديا تحت قيادة احمد  
فضيل في شرق السودان .
- ٢- الشيخ / الفضل محمد الفضل : يقيم بابي فروع قرب الحصارحيم وهو يروي عن أبيه .

- ٣- الشيخ / حسين العمدة : يقيم بسوبا شرق ، كان أبوه تلميذا  
 للشيخ العبيد بدر وهو يروي عنه •
- ٤- الشيخ / دفع الله محمد امام حبوبه : هو شيخ خط الحلاوين ، وقد حضر  
 المهدية ، وشاهد الخليفة وجلس في  
 حضرته مع أبيه ، وهو يروي عن  
 مشاهداته وعن أبيه •
- ٥- الشيخ / عبد الرحمن احمد السني : هو ابن الشيخ احمد السني عامل عموم  
 الجزيرة في عهد الخليفة •
- ٦- الشيخ / علي سالم جبارة : عمدة سنار في ايام الحكم الثنائي
- ٧- الشيخ / عثمان علي : شيخ خط سنار ويروي عن من حضر  
 من جيل المهدية •

أحمد وإبراهيم التسليم  
عبد السلام الخليفة

١٤٠ / ١ / ١٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لهن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لهن

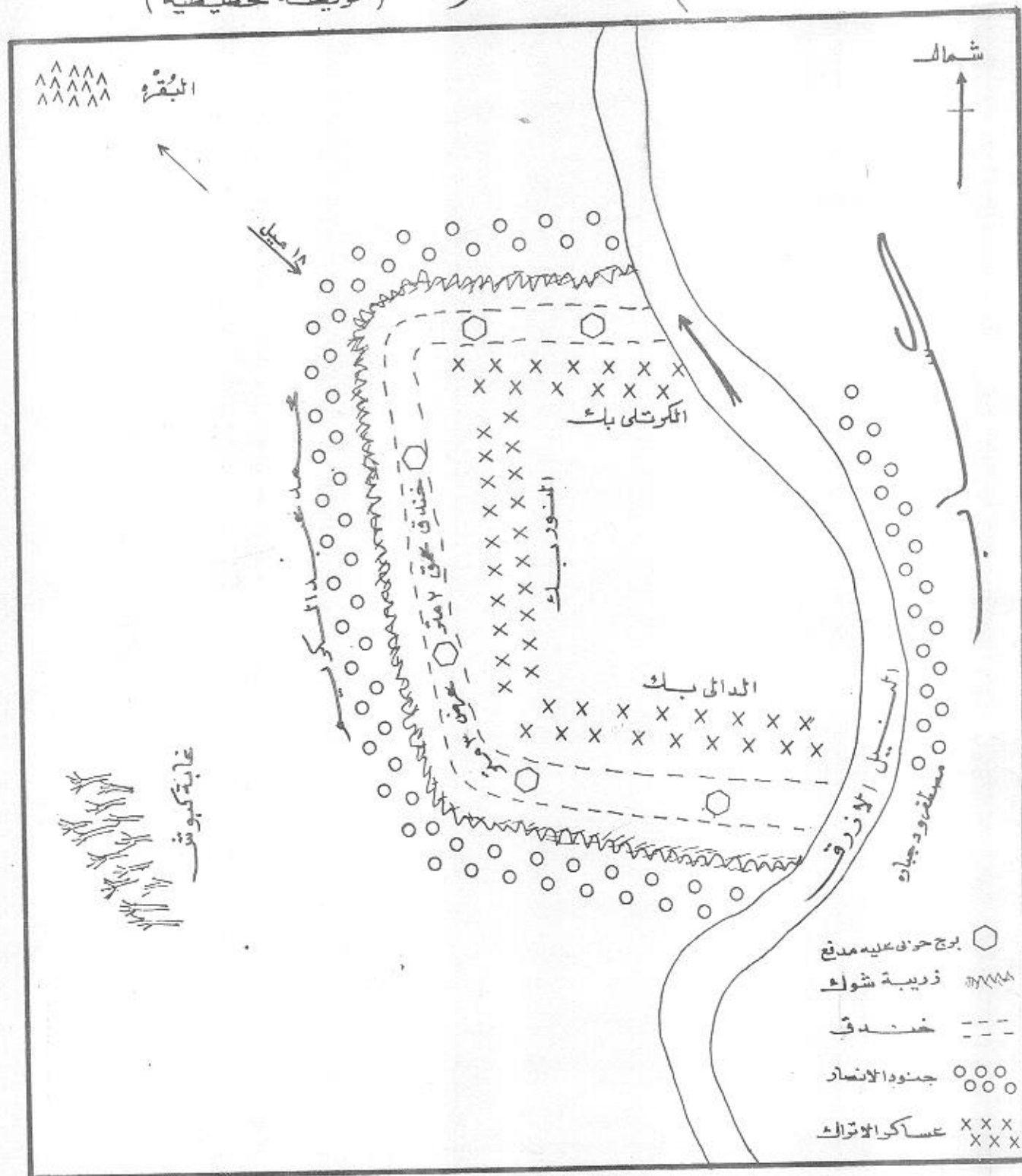
بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لهن

أمين وسبح  
الله دائماً





محمد بن بكر وعمر بن سنان  
(خريطة تخيلية)



## بعض المدن والمواقع التاريخية الهامة - بالجزيرة

